



سلسلة أنا هي الحري ٣٥

الحسن الخشوف و الصمت



سما سامحي

مركز الأدب العربي

الطبعة الأولى

لحن الخوف
والصمت

٣) مركز الادب العربي للنشر والتوزيع ، ١٤٤٨ هـ

سامي ، سما
لحن الخوف والصمت. / سما سامي - ط ١. - الرياض ، ١٤٤٨ هـ
٦٣٢ ص ٤ ..سم

رقم الإيداع: ١٤٤٨/٢٨٤٩
رسمك: ٧-٨-٠٨٦٢٢-٦٠٣-٩٧٨

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع

الموقع الإلكتروني :

Www.Adab-Book.Com

مركز الأدب العربي

@Services_Book

@ServicesBook1

مركز الأدب العربي

adabarabic7

aladab@subeie.com



طلبات النشر

+966582533504

+966590358100

المبيعات

+966561212210

+971569767989

+201120102172

+963959306669 النشر +963959307770 المبيعات

دولة الإمارات العربية المتحدة

جمهورية مصر العربية

جمهورية سوريا العربية

للطلب من المتجر الالكتروني



تنفيذ الطباعة

مطبعة الكتاب العربي - الرياض

الحقوق محفوظة : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه ، أو تخزينه في نطاق استعادة جميع المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن سابق من الناشر .

جميع العبارات و الأفكار الواردة في الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف دون ادنى مسؤولية على الناشر .

لحن الخوف والصمت

سما سامي



@samasami2828

١٤٤٨هـ - ٢٠٢٦م

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:

• أشرف غالب •

جميع الحقوق محفوظة ©



مكتبة ضاد الإلكترونية
t.me/twinkling4



أمسح الكود وانضم لأسرة ضاد
<https://t.me/twinkling4>

الإهداء

إلى الأرواح المهجورة..
الأرواح المهملة..
تلك التي تفقد دائماً..
ولكنها لا تُفقد..
أنتم أئمن بكثير مما قيل لكم..
وسياتي من يراكم كما تستحقون..

عزيزي القارئ

العاصفة قادمة لا محالة، فانعم بهذا الهدوء قدر استطاعتك،
لأنه استراحتك الأخيرة.
استرخِ وابدأ بالقراءة.









بعد الاختطاف

قبل رحيل كيارا



الارنباك الأول



كان الليل ساكنًا على نحوٍ غريبٍ في غابات النور، وتحديدًا في
أراضي عشيرة أفيتاز، فلم تهدأ الاحتجاجات منذ أن تولَّى وارويك
زمام القيادة قبل شهر.

سحرة ناقمون، يطالبون بحقوق أكبر لبني جنسهم، ويشككون
في قدرة وارويك على استعادة مجدهم الغابر، بل ويتكهنون بانحدار
شرفهم أكثر، بعد التدنيس الذي ألحقه والده بهم.

لكن الليلة كانت مختلفة، فلم يسمع وارويك سوى وقع خطوات
الحراس الهادئة في الممرات، وطققة النيران الدافئة للخشب، وصوت
صر صرة الحشرات من النافذة المفتوحة إلى جواره.

كان يجلس وحيدًا في مكتب والده القديم، مكان تجنب دخوله
خوفًا مما قد يجده فيه، أنزل نظراته إلى الطاولة أمامه، حيث تكدست
أوراق أثبتت له صدق إحساسه الغريب.

خرائط قديمة، تقارير سرية مختومة، ومجلدات تحتوي أسماءً ونقاطًا
محددة باللون الأحمر فوق الأقاليم الحدودية للممالك المحيطة بهم.

كل صفحة يقلبها، كل كلمة، كانت تؤكد له شيئًا واحدًا:



وهو أن والده لم يكن يطمح لإعادة السحرة إلى مقامهم الأول فقط، بل كان ينسج شبكة كاملة من المؤامرات التي ستتعدى أسكونزول إلى عالم البشر.

حتى رأسه فوق إحدى الخرائط التي كُتب بأطرافها بخط والده الذي يعرفه جيدًا:

«الخطة جارية، تم تحديد مكان المفتاح، والبوابة ستُفتح أخيرًا».

زفر ببطء وهو يتنقل بعينه بين الرموز المرسومة، يحاول فصل مشاعره الشخصية عن واجباته، لكنه لم يستطع أن ينظم أفكاره.

تارة يفكر بدفن كل الأدلة التي أمامه، ليحافظ على ما تبقى من شرف عائلته، وتارة يفكر بمصداقيته، والعهد الذي اتخذته بوضع مصلحة العشيرة أولًا.

وفجأة.. ضغط شيء ثقيل على صدره، شعور خانق، وكأن يدًا اخترقت ثيابه وأطبقت على ضلوعه بقوة.

تنهد وأغمض عينيه هامسًا لنفسه:

«تماسك، الأمر ليس جديدًا».



ثم بدأ يحاول ضبط تنفسه، لكن الضيق الذي اعتراه كان مختلفًا، فلم يكن نابعًا من نفوره المعتاد من الإرث المخزي الذي تركه والده، ولا حتى رهبة من هول الوثائق التي اكتشفها، بل كان شيئًا مبهمًا، شيئًا أعمق.

مشاعر لا تنتمي إليه، بل تأتي من مكان آخر تمامًا، من تريشا..

تذكر آخر لقاء بينهما في إيماتيروس، بعد يوم من اختطاف كيارا، حين شحب وجهها واختفت فجأة، تتمم بكلمات غير مفهومة عن الملك، ولم تظهر نفسها منذ ذلك الحين.

بقيت مشاعرها ملازمة له رغم غيابها، كانت في السابق متذبذبة في شدتها وحدتها، تتداخل مع مشاعره الخاصة تارة وتربكه تارة أخرى. أما الآن، فأصبحت غامرة، تعصف بداخله وتلجج قلبه.

اشتدت الحدة مجددًا، فمرت قشعريرة باردة بجسده جعلته يتلفت حوله بطريقة غريزية، كمن يبحث عن مصدر الخطر.



قابله المكتب الساكن بصدى يردد:

«تذكر، ليست مشاعرك».

كان يعلم ذلك، لكنه لم يستطع منع جسده من الارتعاش، وكأنه يعيش أسوأ كوابيسه، رفع رأسه وهدق بالسقف الخشبي العتيق، وشد قبضته حول ذراعي المقعد، محاولاً إيقاف أطراف أصابعه عن الارتجاف عبثاً، وعندما وجد الفشل يزوره كما اعتاد؛ قرر أخذ جولة بين ممرات العشيرة النائمة.

خرج من المكتب منشغلاً بأفكاره وتساؤلاته، فما فهمه حتى الآن، هو أن لا وجود لمرءٍ سري بينه وبين تريشا كالذي بين أليكس وكيارا، فهو لا يسمع صوتها، لا حديث بينهما، ولا تواصل، ولكن مجرد اضطراب عاطفي يربطهما عبر العوالم.

أدرك مبكراً أن الرابطة اشتدت قوتها بينهما بعد حادثة الكهف، وبالتحديد، بعد أن وضعت يدها فوق قلبه وامتصت آلامه، لينسكب جزءٌ كبيرٌ منه إليها، كان متأكداً من أن الرابطة كانت باهتة وضبابية قبل تلك اللحظة، بل بالكاد كانت تُرى، كما لو كانت تختبر توافقهما.



لكنها بعد ذلك الاتصال القصير تقوّت، وانقشع غلاف التردد عنها، ليشتد الخيط مؤكّداً على الصلة المقررة بين المشاعر، واختلط القلبان بلا رحمة لكلا الطرفين، فتتشابك الأحاسيس يوماً بعد الآخر، بشكل معقد وفي لحظات عشوائية، وبلا إنذار، وتجعله حائراً من نفسه طوال الوقت.

أكمل تجوله بين البيوت، يسمع أصوات محادثات منخفضة هنا وهناك، دون أن يتوقف للتجسس على أي منها، حتى أدركه الإرهاق وعاد إلى منزل والديه.

وفيا كان يخطو عبر بهو المنزل، ارتفعت الرهبة داخله قليلاً، ثم خفت، كأنها موجة مرّت واختفت، زفر نفساً مرتبكاً مثل قلبه، ثم همّ بإكمال طريقه، لكن صوت أنين مكتوم استوقفه..

كان يعلم مصدره، فقد تكرر كلّ ليلة، ومع ذلك، سار نحوه متأملاً أنه مخطئ هذه المرة، توقف أمام غرفة والدته، واسترق النظر عبر الباب الموارب، فرأى ما لم يكن مستعداً لرؤيته أبداً.

كانت والدته تجلس أمام الضوء الشاحب، تحتضن صورة والده



وتبكي، بكاءً غزيرًا صامتًا، تعض على شفيتها حتى تمنع عويلها من الانفلات.

انكسر شيء آخر بداخله، وازدادت جراحه عمقًا، فلم يكن معتادًا على رؤيتها بهذا الشكل، منهكة ومنكسرة، لا تشبه السيدة التي اعتاد أن يراها شاحخة حتى في أخطر المواقف.

شعر بعجزٍ ثقيل يطعن صدره، يرغب في الدخول، في قول شيء، أي شيء، لكنه ظلَّ واقفًا هناك، فكيف يخفف عنها بعد أن كان جزءًا من الفريق الذي سبب فقدها.

وعندما لم يعد يتحمل أكثر؛ انسحب بصمت، وخرج من المنزل مجددًا، ومشى بلا وجهة، تزايدت وتيرة خطواته تدريجيًا، حتى وجد نفسه في بقعة عشبية صغيرة.

بقعة متوارية بين أشجار غابات النور، المقر السري الذي كان يجمعه بإخوته حين كانوا يتآمرون على صنع المشاكل.

مكان كان يحمل أجمل الذكريات، لكنه بات خاويًا كقلبه الوحيد، فراغ يعكس له ما بداخله، فإذا بمشاعره تعتصره، وصوبت سهام



أفكاره نحوه بلا شفقة، تلومه على موتهم كلهم هامة:

«أنت السبب».

«أنت السبب».

«أنت السبب».

هبط قناع التماسك للحظة خاطفة، فأرسل ضربة مشتعلة زرقاء
نحو شجرة ضخمة، إلا أن حجمها لم يسعفها، وسقطت غير قادرة
على الصمود أمام قوته.

لكن ذلك التفريغ البسيط لم يخفف عنه، فكنتم أنفاسه محاولاً كظم
الأمم الدفين كما كانت والدته تفعل، فإذا بصوته الداخلي يهاجمه:

«كيف؟ كيف ارتبط موت كل فرد منهم بك؟ كيف كنت الحلقة
لكل قرار قاد إلى حتفهم؟ كيف كنت الجذر لكل ألم حطم والدتك؟».

فجأة، انشقت الضوضاء داخله بصوت غصن جاف ينكسر، رفع
رأسه بسرعة، وقفز قلبه من مكانه حين التقت عيناه بعيني تريشا، التي
كانت تنظر نحوه بصدمة شعر الاثنان بها.



وقفت هناك لاهثة، تنقل نظراتها بين وجهه وصدره، وكأنها ترى
الألم ينبعث منه، ثم رفعت يدها إلى صدرها، وربت على قلبها بخفة.
أما هو، فتجمد في مكانه، متشتتاً عن لحظة الانهيار بظهورها غير
المتوقع، لاحظ أنها تربت على نفسها، فعقد حاجبيه باستغراب.

تبدلت نظراتها إلى الارتباك أمام تحديقها، كأنها كشفت، فراجعت
خطوة متهربة، غير مستعدة للإقرار بما يجري بينهما.

أخذت خطوة أخرى، لكن الغابة بدت غير مكتفية بذلك اللقاء
القصير، فتعثرت قدمها بجذع شجرة لم تلاحظ وجوده لاضطرابها،
وسقطت إلى الخلف.

اندفع وارويك نحوها، وأمسك بيدها ليساعدها على النهوض،
لكن ما إن تلامست الأيدي حتى تجمّد كلّ شيء.

تدفق ناعم سرى بينهما، لا تُرى بدايته أو نهايته، بدا الصمت
كمعزوفة قديمة، مألوفة رغم غرابتها، وتباطأت الأنفاس الحارة
وحدها، يده على يدها، عيناها في عينيه، وكلّ شيء من حولهما يتبخّر.



لحظة سريعة انتهت قبل أن تبدأ، ثم ارتعشت الرابطة حتى أجفلا،
وتوهجت كما لو أنها شُحنت بقوة خفية.

وفي تلك اللمسة العابرة؛ فصلت الرابطة مشاعرهما المتداخلة عن
بعضها، وأعادت لكل قلب حدوده، فوقف كلٌّ منهما على طرفي الخيط
الذي تراخى وهدأ.

انتشلت تريشا يدها ووقفت بسرعة بنظرات متوترة، فرغم عودة
كلّ شعور إلى صاحبه، إلا أنها أحست بضياغ أكبر مما قبله.

أرادت أن تسأله عما كان يحدث معه، فتحت فمها، لكن الكلمات
رفضت الحضور، وهزّ هو رأسه بصمتٍ لعجزه عن الحديث مثلها
تمامًا.

استدارت وابتعدت نحو شجرة قريبة، وانسلت إلى داخلها هاربةً
منه بوضوح، فظل يحدّق في تلك الشجرة بعدم تصديق، ثم توجّه إلى
الجدع الذي تسبب في كسره، وجلس عليه بهدوء، مذهولاً من كلّ
شيء.^{٥٤}

بَدَا بَدَا



حل الصباح على المملكة الدموية منيرًا قصرها البديع، لكن الظلام
خيم على جناح تاشا منذ أن عادت من الكهف المشؤوم، وأبت الستائر
الثقيلة أن تسمح لشعاع الشمس بالتسلل، وكأنها تستجيب لرغباتها في
العتمة، في العزلة، وفي الاختباء.

جلست على الأريكة قرب المدفأة الحديدية، تلفت نفسها بغطاء
سميك، عيناها زائعتان، لا تركزان على شيء، مثل أذنيها اللتان لم
تصغيان لتوسلات والدها إليها.

خرج جانكو بعد لحظات من جناحها مطأطئ الرأس، يحمل صينية
طعامها التي لم تلمس، وبدأ يعود أدراجه يائسًا، لكن زي صادفه في
الممر، وألقى نظرة واحدة على الطعام البارد، نظرة كانت كافية لضيق
ذره.

توجّه إلى الجناح، وفتح الباب دون طرقة، مسح المكان بنظرات
سريعة توقفت عندها، وحدّق بها للحظات، لكنها لم تلتفت إليه.

شد قبضته، ثم تقدم بخطى عازمة نحو النوافذ، وجذب الستائر
جانبًا بحركة واحدة.



اندفع الضوء إلى الداخل وغمر أركان الجناح، منقّضاً على وجه
تاشا الذي انكمش ليتجنبه، قبل أن ترفع غطاءها وتختبئ خلفه.

استدار زي نحوها وقال بحزم لا يقبل النقاش:

«ستخرجين اليوم من الجناح».

لم تجبه، فتقدم إليها حتى وقف إلى جوارها، كانت عيناه خاليتين من
الشفقة، لكنهما لم تكونا قاسيتين كذلك، وتابع:

«لقد نجوت، لقوا حتفهم بينما بقيتِ أنتِ على قيد الحياة، لماذا ما
زلتِ سجينه لهم؟».

أنزلت الغطاء عن وجهها بتردد دون أن تقابل عينيه، انزلت
نظراته إلى رسغها الملفوف بالضماد، فشهقت بخفوت وكأن نظراته
لامست الجرح هناك، وسحبت رسغها لتخفيه عنه.

قال بصوت أخف:

«لقد حطمتُ قيودك في الكهف، وتركت لكِ تحطيم القيد الذي
بداخلك، لكنني لن أنتظر بعد الآن».



اقترب أكثر، رفعت عينيها نحوه ببطء، رأى الرعب يغشى
نظراتها، ممزوجة بشيء آخر، شيء يشبه الندم، أو ربما الذنب.

حدّق بها مطوّلًا حتى اكتملت الأحجية، قال محدّدًا نفسه:

«ليس الخوف ما يقيدك إذن».

ثم جثا بجانبها على ركبة واحدة، وقال بصوت دافئ منخفض:

«تشرعين بالعار لما تسببت به دماؤك، أليس كذلك؟».

أخذت نفسًا عميقًا وارتعش جفناها، كانت على شفا السقوط،
لكن نبرته أمسكت بها حين أضاف:

«لا تعاقبي نفسك على أمر لم يكن لك حكم فيه، فاللوم على من
استغلّك سلاحًا لأذية الآخرين».

مد يده إليها، يدعوها إلى النهوض، نظرت إليها لبرهة ثم رمقت
الباب المفتوح بنظرة خاطفة، قرأ فيها رهبتها، فوعدها مطمئنًا:

«لن تلمسكِ يدٌ لا ترحبين بها، فأنا هنا الآن، ولن أترككِ من

جديد».



كانت نبرته هادئة على السطح، ولكن أسفلها غضبًا يغلي، زئيرًا
مكتومًا لرجل فشل حين وجبت عليه الحماية.

تعلقت نظراتها بيده لوقت طويل، قلبها يحمل الثقة، وجسدها
مشلول بالتردد والخوف، انتظرها بصمت وصبر، فقالت بصوت
بالكاد يسمع:

«تحدث معي».

تراجعت يده وهو يحجبها:

«ربما من الأفضل أن تتحدثي أنتِ هذه المرة، أخرجني ما بداخلك،
فأنتِ من تحتاجين إلى ذلك».

هزّت رأسها بخفة ثم همست:

«لم تفهم...».

أطرقت رأسها، فاقترب حتى يجذب نظراتها نحوه، وعندما نجح
والتقت عيناهما قال:

«اشرح لي إذن».



حدّقت بعينيه بنظرات مترددة لبرهة، ثم أردفت بصوت مبحوح

خافت:

«عندما تتحدث معي؛ تسكن كلّ الأصوات التي تتنازع بداخلي،
كأنك تطردها بعيداً.. لتخلف هدوءك».

رفعت يدها ونقرت جبينها، فظهر رسغها الذي خبأته للتو، لكنها
لم تهتم لإخفائه حين تابعت:

«درعك الذي يحمي أفكارك وذكرياتك؛ يتسع ليحتويني معك
عندما يصلني صوتك».

ارتفع حاجباه قليلاً، وبقي صامتاً حتى استقر المعنى بشكل واضح
في رأسه، فأوماً لها وجلس إلى جوارها، ثم بدأ بالحديث عن يومه، عن
تدريباته، ومخاوفه التي تلف حولها.

تحدّث عن كلّ فكرة عبّرت خلاله في تلك اللحظة، حتى فرغت
منه الكلمات، وحين مد يده إليها مجدداً؛ أمسكت بها رغم ارتجافها
الشديد.



لامست أصابعها أصابعه برقّة، ثم تشبّث بها كحبلِ نجاة، فابتسم
بخفة، ابتسامةً فخرٍ وانتصارٍ ضد ظلالها الحالكة.

نهض وجذبها معه بلطف، يقودها إلى الخارج، ورغم تفاقل خطاها،
فإنها قاومت ومشّت معه نحو الممر، وعيناها تنتقلان بذعر بين الزوايا
والوجوه.

كانت محاولتها الأولى ضعيفة، والثانية مهزوزة، والثالثة مترددة،
لكن الرابعة كانت أحسنهن، ومع كلّ محاولة، تراجعت السلاسل عن
عقلها، ربما ببطء، ولكن بوتيرة ثابتة.



بداية السم



اتجه رو نحو جناح أمبر في الصباح الباكر، ليأخذها إلى تدريبها
الأول بعد تحولها، وقلبه مليء بالحماس والتوتر.

طرق الباب برفق وسرعان ما فتحته، رمقته بنظرة هادئة وباردة
كعادتها، فيما حدّق بها هو ممتنّاً لسلامتها بعد أن ظن أنه سيفقدّها، ثم
مسح على شعرها مبتسماً:

«جاهزة؟».

أومأت بصمت محاولة إخفاء ارتباكها من لمسته، وتبعته خارج
الجناح صوب الساحة الجنوبية المحاطة بأشجار الصنوبر المغطاة
بالثلوج.

كانت الأرض مهيأة للتدريبات، تحيط بها حواجز جليدية منخفضة،
وتتوزع فيها أهداف خشبية على مسافات مختلفة.

وقف رو في المنتصف، وأوماً لها مشجعاً:

«حسناً، دعينا نبدأ بشيء بسيط، هاجيني بسرعة وحاولي إسقاطي
أرضاً، كما لو أنك تواجهين خصماً مجهولاً».



كانت ملاحظها جامدة، لكن قلبها اضطرب حين تذكرت المثلثين،
واستنكرت أن تصب غضبها منهم على رو، ولكنها في النهاية أطاعته،
مرجحة أنها لن تصيبه على أية حال.

انطلقت بجسدها الجديد نحوه، بسرعة فاجأتها قبل أن تفاجئه هو،
فارتبكت خطواتها وخرجت قوتها عن السيطرة، مندفعة نحوه بعنف
هائل.

تحول رو إلى غراب وتفادها في اللحظة الأخيرة، فارتطم جسدها
بأحد الأعمدة خلفه بقوة كادت تكسره، ضحك منبهراً وهو يعود إلى
شكله الآدمي:

«رائعة! لنحاول تخفيف الحماس قليلاً فقط».

زمت شفتيها وأومات بضيق، ثم هاجته مجدداً، وهذه المرة؛ أخطأت
التقدير وصدمت كتفه بقوة جعلته يترنح.

همّت بالاعتذار، لكنه ابتسم بضحكة خفيفة، مشجعاً رغم الألم:

«أوه! هذه أفضل من السابقة».



قطبت حاجيها:

«أملك ليس مضحكاً، لا أريد إيذاءك».

قال ممازحاً وهو يفرك ذراعه:

«فعلت ذلك سلفاً، لكنني ما زلت حيّاً، وهذا بحد ذاته إنجاز».

لاحظ عدم استمتاعها بمزاحه، فأضاف مطمئناً:

«أنا ساحر يا أمبر، أستطيع إيقافك إن أردت، كما أنني قادر على علاج جسدي إن أصبتي».

لم تبدُ راضية تماماً، فأمسك بكتفيها وأدار جسدها ثم دفعها برفق لتعود إلى بقعتها:

«هيا، مرة أخرى».

أرادت الاعتراض، لكن زي خرج من القصر حينها، وبدأ يراقب من مسافة قريبة ما يجري، فدفعته كبرياًؤها على المتابعة.

استمرت المحاولات، ولكن مع كل حركة؛ كانت سرعتها تزيد وسيطرتها تقل، حتى كادت تصيب رو في رأسه لولا تحوله السريع.



تردد زي في التدخل لوقت طويل، لكنه لاحظ اضطراب رو يتزايد
مع كل فشل، فرفع صوته قائلاً:

«أنت تدرّبها بشكل خاطئ تمامًا».

زفر رو بارتياح:

«أخيرًا، ظننتك لن تدخل أبدًا، قوتي الجسدية تختلف عنها كثيرًا،
ولا أعلم من أين أبدًا».

ابتسم زي ابتسامة جانبية خاطفة قبل أن يدخل الساحة، وقال
لأمبر بصوت منخفض حازم يعلم أنها ستسمعه من مكانها:
«أولاً: ستتعلمين التحكم، لا الهجوم».

نظر حوله ثم اختفى من مكانه في ومضة، وعاد في لحظة سريعة،
متابعًا تعليقاته:

«ستحضر الخادمة طبقًا من البيض، ستمسكين واحدة في كل يد،
وتدربين وأنتِ تحملينها، إن كسرتها؛ ستعاقبين».



وصلت الخادمة بعدها ووضعت الطبق أمامهم، ثم انسحبت دون تعليق، ناول زي أمبر البيضتين وهو يقول:

«الجميع هنا يمتلك السرعة، ما سيميّزك عنهم حقًا هو أن تصبحي أسرع من غضبك، لا من خصمك».

بدأ يبتعد إلى الجهة المقابلة من الساحة بخطوات المارشال الهادئة:

«سأهاجمك دون إنذار، وسأضربك بقوة، إن استجبتِ لاندفاعك الأول، وتركتِ جسدك يسبق وعيك؛ ستعاقين مرة أخرى».

تجهمت مستنكرة تدريبه الغريب، فوضح لها بنظرة جادة:

«إن لم تقودي غريزتك؛ فستفقدك هي إلى هلاكك».

فرّق قدميه بشكل بسيط استعدادًا للهجوم، لكنه توقّف فجأة، وسأل متحققًا بطريقة مباشرة:

«هل التعرّض للضرب تجاوز لخطّ أحمَر؟».

ترددت في الإجابة، فلم تكن واثقة إن كانت ذكرياتها ستطفو



وتوقظ شيئاً دُفن لسنوات، أحاسيس قائمة قمعتها لوقت طويل حتى
تعفنت، لكنها قد تعود في لحظة.

وقبل أن تتمكن من ترتيب أفكارها، كان زي قد ظهر أمامها بطوله
الفارع ونظراته الحادة:

«أنتِ الآن وحش، إن أتقنتِ السيطرة؛ سيصبح هذا الجسد سلاحاً
لك، وإن فشلتِ؛ فستكونين مجرد فريسة بدرع قاتل، سرعان ما
سيلتهمها من هو أشرس منها، القرار لك».

كادت تشد قبضتيها حول البيضتين، لكنها صرّت على أسنانها،
وأومات بقبولها لتعليماته، استدار ليعود إلى مركزه قائلاً:

«لا تقلقي، جسدك يشفى بسرعة، الدرس في تحمّل الألم، وتعلّم
المواصلة رغم الإنهاك».

وصل إلى موقعه، ثم ألقى نظرة نحوها، يسأل بعينه:

«هل أنتِ مستعدة؟».

أومات من جديد، وفي لحظة خاطفة، اختفى من مكانه وهاجمها



بعنف، ارتطم جسدها بقوة بجذع شجرة لم تكن قريبة منها أبداً،
والبيضتان تهشمتا بين يديها.

رفعت عينها إليه بصدمة وغضبٍ عارم، لكنّها كبحت جاحها
سريعاً، فرمقها بنظرة موافقة:

«جيد، لكن فهمك للدرس لا يكفي، فالبيض يجب أن يبقى سليماً».

كرّر الهجوم مراراً، ضربة، ألم، ارتطام، غضب، وكلّ مرة تنتهي
بتكسر البيض في يديها، حتى شعرت بالإحباط ينهش أعصابها.

حملت في زي بحق مسعور، تود تمزيقه حتى العظم، تخيلت عدة
طرق لقتله، لتعذيبه، وكأن ذلك سيسفي غليلاً دفيناً في أعماقها.

وفي تلك اللحظة، اجتاحتها إدراك مفاجئ بأن غيظها المتزايد لم يكن
ردة فعل طبيعية على التدريب، بل كيأناً مستقلاً، يخرج كلما شعرت
بتعرضها للهجوم.

كلما نظرت إلى زي تفاقم ذلك الشعور في صدرها، يحارب
للانفلات من يدها، وكأن المارشال هو العدو وليس المدرب، وحينها
فقط تيقنت أن منبع الإحساس مختلف تماماً.



فقد كان استياؤها المزمّن نتيجة عجز قديم، ورغم أنها تبدّلت
وأصبحت مخلوقاً صلباً، فإن المشاعر بقيت وتحوّلت معها، رافضة
التبدّد مع الماضي بسهولة.

كانت تحمل ذاكرة الضعف في جسد لم يعد ضعيفاً، تجرّ ألم طفلة
كبرت منذ وقت طويل، لكنها لم تُشفَ بعد.

أغمضت عينيها لتستجمع شتات ذاتها المتناثرة، ثم أخذت نفساً
عميقاً بطيئاً، تحاول به انتشال قلبها من ساحة المعركة.

وحين فتحت عينيها مجدداً لم يكن زي في مكانه، فثبتت البيض
في راحتيها برفق، وحافظت على استقرارها حين شعرت بالهجمة،
وكتمت أنفاسها حين اعترى الألم جسدها، وصرّت على أسنانها حين
ارتطمت بالأرض.

وحين رفعت يديها لترى إن كان البيض سليماً؛ لم تتفاجأ برؤية أنها
نجحت أخيراً، ليس في التمرين فحسب، بل في الانفصال عن ماضيها
أيضاً، ولو للحظة واحدة على الأقل.

ابتسمت لنفسها ورفعت عينيها إلى زي الذي أثنى عليها بنبرة سطحية:

«أحسنِتِ، الآن دورك، ردّي الهجوم».



تلاشت الابتسامة وكأنها لم تصدق أن الفرصة أتحت لها، سقطت
الييضان من يديها مثلما سقط الحاجر الذي بنته للتو، وعاد الغضب
كنار متفجرة.

انطلقت نحوه بقوة عارمة، لكنه تفادها بسلاسة، وأعاد توجيه
اندفاعها بخطوة مدروسة، لتصطدم مباشرة برو الذي كان يراقب من
الجانب بصمت.

حدث كل شيء بسرعة، فلم يستطع رو تفاديها، ولم تستطع هي
السيطرة على جسدها، وسقط كلاهما على الأرض.

نهضت آمبر بسرعة وهي تلهث، تريد أن تطمئن عليه، لتدرك أنه
لفّ ذراعيه حولها ليحميها من وقع السقوط.

قال والألم يضغط أنفاسه:

«هو من يدربك هذه المرة، لماذا أصبتي أنا؟».

ارتبكت محرجة:

«آسفة».



رمت زي الواقف في مكانه بنظرات حادّة، فرفع كتفيه غير
مكرث، ثم أشار إلى البيضتين اللتين ألقت بهما قبل الهجوم، وقال
ببرود:

«اتبعتِ غريزتك وفقدتِ عقلك، لو كنتِ تسيطرين؛ لتذكرتِ أن
البيض يجب أن يبقى سليماً طوال الوقت».

زفرت بانزعاج، ثم وقفت ممتعضة وابتعدت لتكرر المحاولة،
عندها التفت زي إلى رو، وبدا للغراب أنه متردد على غير عادته، لكنه
سرعان ما فهم سبب تلك التعابير حين تحدث المارشال:

«سأكمل التدريب مع أمبر، اذهب أنت إلى تاشا».

فتح رو فمه ليخبره أنه لم يتقرب من تاشا كثيراً، فكيف سيكون
عوناً لها؟ لكنه لم يرد رفض طلبه كذلك فأعاد إغلاقه شفثيه.

رأى زي السؤال في عينيه، فأجاب زافراً بإحباط، كمقاتل يعترف
بهزيمته بعد حرب طويلة:

«أظنها بحاجة إلى من يراعيها أكثر ممن يوجهها».



شد قبضتيه بغيظ داخلي من نفسه، وتابع:

«وأنا لا أستطيع الجلوس والانتظار فقط؛ بينما تبدو هي بتلك الحالة».

أوما رو متفهماً، وربت على كتفه ليطمئنه:

«لا تقلق، ستتجاوز الأمر قريباً، وستعود كما كانت».

رد متهمكاً بحدة:

«أقصد كما عادت كيارا؟».

ارتفع حاجبا رو متعجباً من انفعاله، ثم علت تعابيرُه ابتسامةً حزينة:

«لا تتشابه مخاوف كيارا وتاشا، كيارا عادت من الموت، فقد مات قلبها حين مات أليكس».

تنهَّد زي معتذراً بعينه على حدّته غير الضرورية، فابتسم له رو ليخفف عنه، ثم قال:



«سأذهب إليها الآن».

أخذ عدة خطوات تجاه القصر قبل أن يلتفت نحو أمبر بنظرات غريبة، كان يكره عجزه عن تدريبها، وتكونت بداخله مرارة مألوفة، ثم غشي عينيه ظلٌ حالك.

فرع لعودة تلك المشاعر، فقمعها سريعاً حتى لا تعاود الظهور، وهزَّ رأسه حتى عبرت الغمامة من داخله، ثم انسحب بهدوء نحو وجهته.

أخذت أمبر بيضتين جديدتين، وتقدّمت إلى منتصف الساحة من جديد، لم تكد تأخذ موقعها حتى أتها ضربة زي، ارتطمت بجدار القصر القاسي وتهشمت البيضتان وهي تسمع صوته يذكرها:

«أخبرتكَ أنني سأهاجم دون إنذار، لماذا تخلّيتِ عن حذرك؟».

زَمَّت شفتيها واستعدت من جديد، ثم أخذت بيضتين وحافظت عليهما جيداً في الهجوم التالي، أشار زي إليها بالموافقة بعد نجاحها، فاندفعت نحوه أسرع من ذي قبل.



لكنها لم تكن أسرع منه، فتفادها مرة أخرى، ورفع ساقها بقدمه
ليخرجها عن مسارها، ثم دفعها إلى الوراء كما لو كانت دمية خفيفة،
فانقلبت على الأرض.

تردد صوت ارتطامها بين ضلوعها، لكنها لم تصرخ، بل استلقت
في مكانها لبرهة، تلف أنفاسها حول الألم حتى يتلاشى، ثم نهضت
وهي تتن داخلًا، دون أن تبدي ضعفها لأحد.

أمرها ببرود:

«مرة أخرى».

عادت وحاولت ثانية، ثم ثالثة، وفي كل مرة كانت تقترب وتكاد
تلمسه؛ يُفلت منها في اللحظة الأخيرة، لئسقطها أو يدفعها، ويُعيد لها
إلى نقطة البداية مُصابة.

أطالت استلقاءها مجددًا، تلتقط أنفاسها تاركة الثلج الذي أحاطها
يطفئ حرارة جسدها، تنتظر أن ترمم عظام ذراعيها المكسورتين.

سار زي ببطء حولها، يوجّهها دون تعاطف:



«يجب عليكِ فصل مشاعرك عن التدريب لتجدي توازنك، توقفي
عن الهجوم انتقامًا لنفسك».

كانت ذراعاها تؤلمانها، أنفاسها ساخنة، والغضب الذي تحاول
حجزه يعاود الظهور متغلغلًا في عروقها، ولم تعلم كيف تجسده
بالكامل بعد.

«مرة أخرى».

سقوط.

«مرة أخرى».

ارتطام.

«مرة أخرى».

ألم.

«مرة أخرى».

ضعف.



«مرة أخرى».

ردّدها كثيرًا، حتى أحسّت بشيء ينصر بداخلها، راقبته لاهثة،
بينما حرارة التمرين لا تزال محتدمة في صدرها، لكنها وجدت اللحظة
المناسبة للسؤال الذي كان عالقًا في رأسها منذ البداية.

نظرت إليه وعيناها متقدتان بالفضول واليأس:

«لماذا تُدرّبني؟».

التفت وثبت نظراته عليها دون إجابة، فتابعت أكثر إلحاحًا:

«ما دافعك الحقيقي؟ لماذا تواصل تدريبي رغم الفشل؟».

لم تعلم إن كان السؤال موجّهًا له حقًا أم لنفسها، كان الإحباط
يمزق عزيמתها، ويسلط الضوء على كلّ ما لا تطيق رؤيته في نفسها.

ورغم تكرّر السؤال برأسها، إلا أن الإجابة كانت واضحة لها، فقد
كانت تواصل التدريب لتتخلص من ذاتها القديمة.

أما هو، فدوافعه ظلت مجهولة، لم تفهم لماذا يتحمل كلّ هذه المشقة



معها؟ وفي كل مرة عجزت عن رؤية السبب؛ زحف الشك إلى قلبها،
يشَّتُّها ويسحبها بعيدًا عن تركيزها، كانت بحاجة إلى معرفة نواياها،
لتصمت، لتُرْكُز، لتترك كل شيء جانِبًا.

لم يجيبها على الفور، بل اكتفى بالنظر إليها لبعض الوقت، ثم قال
ببساطة:

«لأن تاشا تحتاجك».

لم تستطع إخفاء دهشتها، ولم يمهلهما لتردّ، بل أردف بنبرة قاطعة
ومحدّرة:

«ولن أسمح لكِ بالاقتراب منها، حتى تتقني السيطرة على
جسدك».

أدار وجهه عنها، وأضاف محدّدًا بالقصر:

«أي نوايا طيبة لن تُقنّعك، ولستُ مضطرًا لتبرير أي شيء لكِ،
ولكن يا أمبر...».

التقى بعينيها من جديد، وقال بحدّة منخفضة:



«أعلم أنك لن تؤذي تاشا عمدًا، لكن ذلك لن يجعل حسابك أقل

قسوة».

تبادلا النظرات الصامتة للحظة، دون أن يفصح أيٌّ منهما عما بداخله، رغم أن كليهما يعرفان عن الآخر أكثر مما يظهران، لكنها لن تخبره أنها تُقاتل لتُصبح قادرة على حماية صديقتها، ولن يخبرها هو أنه يُدربها لتمكن من حماية نفسها أولاً.

لهذا، أنهى حديثه بنبرة ألطف:

«لا يمكنك حماية أحد، إن كنتِ أنتِ الخطر الذي يهدده».

تركها لتفهم مقصده كما تشاء، واستعد للدورة التالية من التدريب، كانت تنظر إليه بطريقة مختلفة، ولا تدري بعد، إن كانت تكرهه، أم تقدره وتحترمه.



لمسة خفيفة



كانت أيام وارويك مزدهة، مليئة بالاجتماعات والتقارير،
والأوامر التي تصل إليه من كبار العشيرة أو التي يصدرها بنفسه.

لكن تركيزه كان متذبذبًا، يفرُّ من بين يديه بين الحين والآخر
إلى خصلات حمراء تتمايل مع النسائم، وعينين خضراوين ترمقانه
بمشاعر مختلفة.

يحاول الانصراف إلى مهامه وأداء واجباته، لكن مشاعرها تسَلَّت
إليه، تبدأ خافته في البداية، ثم تطغى مع مرور الأيام.

مضى على آخر لقاء بينه وبين تريشا عدة أسابيع، لكن الرابطة لم
تهْدَأ، والخيط الذي تراخى بعد أن لامس يدها بدأ يتوتر من جديد،
واشتد شيئًا فشيئًا حتى بلغ حد الارتعاش.

يغمر الضيق صدره فجأة، وتجتاحه رغبة ملحة في التنفس، تتجمد
عضلاته وتتسارع نبضاته، كما لو أن غريزته تنبَّه بخطر وشيك، كأن
شيئًا سينقضُّ عليه من مكان ما.

لكنه كان يعلم أن لا خطر حوله، لا صوت، لا حركة، لا تهديد،
فما يشعر به لا يأتي منه، بل من الرابطة التي تفتح نافذة على قلب تريشا
المرتجف بشكل متواصل، فيسقط هو في أعماق خوفها دون مقدمات.



حاول جاهداً تجاهل تلك المشاعر أو طردها، وعندما فشل؛ لجأ إلى
دفنها أسفل أكوام من العمل والمسؤوليات.

لكن الرابطة لم تكن تطلب الإذن أو التفريغ، بل تشق طريقها نحوه
وتفرض سيطرتها على مشاعره، وكلما قاوم أكثر، بعثرت مشاعرها
أكثر.

حتى وجد نفسه الليلة يسير بلا هدف، قدماء تتحركان وحدهما،
وجسده يقوده باحثاً عن احتياج ما زال جاهلاً له.

تجاوز المنزل، ثم الساحة، ثم حدود العشيرة، حتى تغلغل في الغابة،
وتابع السير دون أن يفكر في اتجاهه أو التحقق من موقعه، حتى رأى
البقعة الصغيرة نفسها المتوارية بين الأشجار، فتوقف.

وفي ذلك المكان الذي حمل ذكريات أكثر من أن تُحتمل؛ رأى تريشا
واقفة بتعابير ضائعة، وكأنها أتت دون إدراك منها هي الأخرى.

لطالما أتت تريشا من مملكة الجن وحدها، لكنها لم تبدُ له وحيدة
حتى تلك اللحظة، تنظر حولها كمن يبحث عن شيء ليس موجوداً.



ثم بدأ يدرك أنه شعور نابع منها، وحدة عميقة متجذرة، وعندما حاول تذكّر أي معلومة تخصّ عائلتها توجهت عيناها إليه، فتبعثرت كلّ أفكاره، ونسي كلّ سؤال كان يدور في رأسه.

تلك العينان البراققتان، والنظرات الرقيقة التي تتبدل كلما وجدته، فأحياناً تبدو خائفة، وأحياناً منزعة، وأحياناً حانقة، أما الآن فكانت مترددة.

لم يتحرك أو يتكلم أيّ منهما، وقفا يتشاركان النظرات المشوشة فقط، كأنهما خائفان مما يعنيه كلّ ما يجري بينهما، وفي لحظة الخوف تلك ارتعش الخيط الذي يربطهما بتوتر صادر من الطرفين، حتى شعرا به يشتدّ حول قلوبهما.

وقف وارويك ساكناً وعضلاته مشدودة، محاولاً قراءة ملامحها، أما تريشا، فتحرّكت قدمها خطوة لا إرادية للأمام، ثم عادت وثبتها في مكانها وكأنها تقاوم اندفاعاً داخلياً.

وفي النهاية، تشجّع هو وقرّر المبادرة، أخذ خطوة واحدة، فوصله ارتجاج داخلي قادم منها جعله يتوقف مجدداً، كأن جسده يستجيب تلقائياً لخوفها.



وبالرغم من مراعاته؛ فإن خوفها أزعجه، فلم يفهم سببه أبداً،
وعندما قرر المواجهة؛ رآها تمسح كفيها ببعضها البعض وتزدرد
ريقها، علامات واضحة لا شعورية على التوتر، فرقت عيناه وأخذ
خطوات بطيئة وحذرة، حتى لا تلوذ بالفرار.

توقّف عندما أصبح على بعد ذراع منها، وتصاعد الارتباك حتى
بات في أقصاه، فتساءل إن كان يتخيل أم أن الهواء ثقل.

وفي ذلك الصمت المطبق؛ كان صوت أنفاسهما اللاهثة أعلى من أي
قرع، ونظراتهما الحائرة لا تبتعد عن بعضها البعض.

رفع يده بهدوء لكيلا يخيفها، ليختبر ردة فعلها، فتتبع حركته
بنظراتها، وعندما وجدها لا تبتعد؛ قرب يده حتى لامس إصبعه يدها،
لمسة خفيفة للغاية بالكاد تُحس، لكنها أحدثت انتفاضة قلبية لم يشعرا
بمثلها قط.

وكما حدث سابقاً؛ استجابت الرابطة لذلك التواصل بشكل
فوري، وهدأت العاصفة دفعة واحدة، وتراخت أعصابها.

لكن مشاعرهما ظلت مشحونة، لا تغمر الآخر، لكنها تحوم حول
الحدود، كما لو كانت تنتظر لحظة الانقراض.



رفعت نظراتها المندهشة إليه، لكنه أبقى عينيه على إصبعه الملامس لها، كمن اكتشف المفتاح للغز أهابه، قال بصوت شبه هامس:
«يا لها من رابطة غريبة».

أكملت عنه بصوت بالكاد يسمع:

«يبدو أنها لا تحتمل الابتعاد».

سحب يده رويداً، يختبر ما بينهما من جديد، وفي لحظة الانفصال عادت مشاعرها بداخله، خفيفة لكنها واضحة، الارتعاش المعتاد، والخوف الذي لا يخفي، فتيقن بشكل قاطع، أنها تصمت باللمس.

ارتجفت أنامل تريشا حين ابتعد دفء يده عنها، فسارعت إلى شد قبضتها لإخفاء الأمر، لكنه لاحظ كل شيء، فرفع عينيه إليها وتبادلا نظرات طويلة.

كانت تريشا حائرة للغاية، لا تعرف كيف تتعامل معه أو مع الرابطة، أما وارويك فكان يتساءل عن رهبتها التي لا تفارقها ما إن تطأ ماجيسيا، كما لو كانت في صراع دائم هناك.



لكنه لم يعلم إن كانت ستجيبه إن سأها، فاكتفى بالتحديق بها
علّه يجد الإجابة في عينيها، وعندما شعرت بفضوله، تجنبت نظراته
بالكامل خشية أن يجد ما لا تريد لأحد أن يعرفه، أو أن تريبه الرابطة
شيئاً لا تستطيع هي البوح به.

وتحت ضغط نظراته قررت الهرب كعادتها، وبقي هو يتأمل بقعتها
الخالية كعادته.

ارتفعت زاوية فمه قليلاً، ثم انفجر ضاحكاً حتى صدح صدى
قهقهته في أرجاء الغابة، وحين خمدت ضحكاته زفر طويلاً وطيف
الابتسامة لا يزال ملازماً شفتيه:

«آه.. رابطة مأكرة».

حك رأسه مبعثراً خصلات شعره الداكن بعشوائية:

«لا مجال للفراق إذن».

توجّه نحو الشجرة التي كسرهما، ليجلس على جذعها، وعقد
حاجبيه متذكراً أنه من تسبب بذلك، فالتفت إلى الجذع متردداً لبرهة،



ثم ربت عليه متمتاً:

«لم أقصد أن أكسر ك، المعذرة».

انتظر تأنيب صوته الداخلي، أن يتهمك على سخافته لاعتذاره
لشجرة، لكنه تفاجأ بهدوء أفكاره، فابتسم بخفة، ثم أسند مرفقيه على
ركبتيه، وتأمل البقعة حوله من جديد.

ورغم أن هدوء هذا المكان كان يؤله من قبل، ويذكره بكل ما فقد؛
إلا أنه جلب له سكون غريبة هذه المرة، سكون لم يشعر بها منذ زمن،
وكانها تحمل له وعداً بأمان سيأتي قريباً.



علاقة معقدة



ليلة العشاء الأخير



اعتادت تريشا ألا تظهر وجودها فور وصولها لأي مكان، لذا لم يتنبه إليها أحد عندما وصلت إلى قصر إيماتيروس.

وقفت بصمت في مكانها، تراقب وارويك وهو يتحدث مع رو، وكيارا تقف أمام أليكس، كادت تعلن حضورها بعد برهة، لولا أن استوقفتها ضحكات وارويك.

تأملته بدهشة وكأنها تراه لأول مرة، لم يكن متجهماً أو باردًا كما كان معها، بل يتحدث بعث ويلهو بعفوية، وكانت تصدر منه ضحكات حقيقية ونادرة لعينيها، تحمل من الخفة ما لم تعتد رؤيته على ملامحه.

شيء في ابتسامته جعل مخاوفها تتراجع، وتخلّى قلبها عن وضعية الدفاع الملازمة لها في تلك اللحظة، ناسيةً تمامًا لماذا كانت تحيطه بالأسوار، ولوهلة قصيرة كادت تقسم إنها شعرت بالرابطة تهدأ كذلك.

تساءلت إن كانت تلك طبيعته، وليست التي يظهرها لها، أم أنه كان مرتاحًا الآن لأنه لم يعلم بوجودها بعد.

لم تميّز السبب حينها، ولكن تلك الفكرة كونت غصة صغيرة بداخلها، وجعلتها تظهر وجودها فوراً، لتؤكد إن كان حضورها هو ما يبدد سعادته.



لكنه سكت فجأة عندما رآها، فرمقته بنظرات مؤنبة تحاول إخفاء الحقيقة خلفها، ما جعله يتجنب نظراتها بارتباك.

ثم بدأ يقول متلعثماً أشياء ساذجة، حتى بدأ أصدقاؤه يسخرون منه، إما بنظراتهم أو بضحكاتهم، فعبّرت من جانبه وقالت منزعة: «اسكت...».

صمت فوراً، وأوماً عدة مرات، أرادت أن تخبره أنها انزعجت منهم، وليس من حديثه العفوي، أرادت أن تعيد المحاولة وتقولها بنبرة ألطف، لكن جسدها لم يطاوعها، فذهبت لاحتضان كيارا وأفكارها مشغولة به، حتى سألتها صديقتها:

«ما الذي حدث لك؟ اختفيت فجأة ولم توضحي سبب اضطرابك».

أجابتها بنبرة معتذرة:

«أعلم أنني أقلقتك، لكنني لم أجد الوقت المناسب للانسحاب من القصر».

تمنّت ألا يدركوا تحايلها بالكلمات، فلم تكن في القصر كلّ تلك



المدة، واجهت صعوبة في الانسحاب لوقت قصير، أما بقية أيامها
فقضتها مخبئة في بيتها الصغير.

سحب وارويك انتباهها إليه حين سأل:

«القصر؟».

أيقظ صوته شيئاً بداخلها، فراشات تراقص لم تعلم أنها موجودة،
فاتسعت عيناها بشكل طفيف، وسحبت نفساً عميقاً حتى لا تظهر
مشاعرها للبقية.

تراجعت خطوة متوترة، واستعدت لإخبارهم السبب في اختفائها،
نقلت نظراتها بينهم جميعاً، وتجنب وارويك لأسباب لم تعلمها بعد، ثم
قررت الاستقرار بعيني أليكس حين أعلنت أخيراً:

«لقد سقط رينيسك زاد».

بدت الصدمة على وجوه الجميع، عدا كيارا، فقررت تريشا النظر
إليها لكيلا يكشفوا خوفها، وبدأت تدعو بداخلها ألا يسألها أحد عن
التفاصيل، ألا يرى أحد العرق الذي بدأ يتكون على جبهتها.

ولم تنتبه لاقتراب وارويك منها حتى شعرت بحرارة جسده



بجانبيها، كادت تشهق، لكنها منعت نفسها، واكتفت بالنظر إليه متفاجئة.

لكن عينيه لم تقابلاها، بل تفحصتا جسدها، كمن يبحث عن مصدر الأذى بها، فتذكرت أن الرابطة مفتوحة لأنها لم يتلامسا بعد، وتساءلت إن كانت مشاعرها الجديدة تجاهه قد اختلطت باضطرابها من كشف الحقيقة حتى ظنها ألماً، تجنبته بتوتر والتفتت قائلة بتحفظ:

«لقد حدث انقلاب داخلي، وسقط الملك إثره، يجلس على العرش

الآن..»

تردّدت في عراك داخلي بين ما يجب قوله، وما عليها إخفاؤه، ثم

أكملت:

«يجلس على العرش الآن بناته الثلاث».

تمنّت أن ينتهي الأمر هناك، لكن أليكس سأها:

«ثلاثتهن؟».

أومأت وقلبها يردد:

لا تسألوا أكثر.



اقترَب وارويك مثيرًا الرابطة، مبعثرًا مخاوفها، وسألها بصوت خافت:

«هل أنتِ بخير؟».

تعلم أنه يعرف الجواب بسبب الرابطة، لكنه سأل ليسمعها تقول الكلمات، فخفق قلبها بشدة، وعاد إليها خوفٌ أعمق وأكثر تعقيدًا، خوفٌ من أن يراها على حقيقتها فيجد أنها غير جديرة باهتمامه.

وصل قلقه إلى قلبها وبدا واضحًا بعينه، وكأنه يكشف لها مشاعره قاصدًا ذلك، وفي نزوة قلبية قرّرت أن تسمح له بالاقتراب أكثر، ألا تقاوم هذا الشيء بالتحديد، وأن تخبره لاحقًا بأن قلقه عليها يعني لها الكثير.

ابتسمت ونطقت الكلمات التي يريد سماعها، قالتها ببطء ونعومة، وتمنت أن يصدقها رغم أنها لم تكن الحقيقة التي يبحث عنها حينها:

«أنا بخير».

كانت تعلم أنه سيشعر بامتنانها قبل أن يراه في عينيها، ولكن حين



طال التبادل في النظرات ارتبكت وأخفضت نظرها بسرعة، ثم تحاشت
عينه حياءً، وأدّعت البهجة وهي تقول لكيارا:

«وأحمل خبراً سعيداً أيضاً!».

ولكن حين ابتسمت كيارا وسألت بفضول:

«خبر سعيد؟».

تحولت بهجتها المصطنعة إلى حماس حقيقي:

«الملكات يرغبن بضم تاشا لحماية الجن رسمياً، كغيرها من الغريو».

سعدت كيارا، لكن احتفالها لم يدم عندما لاحظت ارتياح وارويك
وأليكس، وحين توجهت نظراتهما إلى تريشا، رأت الإدراك فيها:

(ملكة الجن لم تعد مسالمة).

لكنها لا تستطيع الخوض في ذلك النقاش، خوفاً من الملكة،
وخوفاً من كشف ما فعلته بنفسها، فاستطردت بسرعة:

«أنا جائعة جداً».

وهُمُّوا بالتوجه إلى طاولة الطعام، لكن وارويك استوقفهم بنبذة



ملیئة بالحماس:

«قرر السحرة بناء مملكتهم من جديد... بقيادتي».

وكانت فرحته تلك هي السبب في هبوط درعها المنيع، ودَّت لو تعرض مساعدته، لو تهنَّته، لكن لسانها انعقد من الحرج، فقررت إخباره لاحقًا، عندما يكونان وحدهما.

كانت أجواء العشاء دافئة بطريقة غير معتادة، مزيج من الألفة والحنين، زينتها ضحكاتهم وبهجتهم، يغمرهم شعور بالراحة ظلَّ غائبًا عنهم لوقت طويل.

كانت تريشا تسترق النظرات إلى وارويك بين الحين والآخر، نظرات قصيرة وسريعة تظنُّ أنه لا يلاحظها، لكنه كان ينتبه لكلِّ واحدة.

وحين يضحك أو يمازح الآخرين، كانت تحدِّق به بدهشة دون أن تشعر، حتى يلتقي بعينيها، فتشيع بنظرها فورًا وقد فوجئت بانكشافها.

أما هو فكان يختلس النظر حين يظنها منشغلة، يراقب ردود أفعالها الصغيرة، ليرى إن كانت ستبتسم إن ذكر أحدهم شيئًا عنه، أو إن كانت ستحدِّق به إن علق أحدهم على طباعه القديمة.



كان الارتباك خفيًا على العشاء، لكنه حي عبر الرابطة، يتسلل إليهما حين تلتقي الأعين، وفي تلك اللحظات القصيرة كان كلُّ ما حولهما يتلاشى.

لكن كلَّ شيء تغير؛ حين أعلنت كيارا أنها ستغادر للتدرب مع آلير إلى أجل غير معلوم، خبر صادم قلب أجواء عشاءهم بشكل كامل.

كانت تريشا لا تزال تحاول استيعاب الأمر حين داهمها الخوف الذي اعترى وارويك، وتسرَّب إلى قلبها مثل نفحة حارقة.

استرقت النظر نحوه لفهم السبب، لتجد قناعًا محكمًا يغلف حقيقة مشاعره، فكلُّ ما رآته في وجهه كان يعكس اهتمامًا حقيقيًا بكيارا، ولا شيء أكثر، لا غضب أو انزعاج، مجرد صمت حذر أخفى تحته خوفًا متأصلًا في العمق، لا يشبه الخوف الذي يلازمها في الآونة الأخيرة إطلاقًا.

ورغم صمته وملامحه الهادئة، فإن مشاعره كانت تصرخ عبر الرابطة، كانت تشعر بها بطريقة واضحة وعارمة، فعلمت أن شيئًا ما بداخله ينهار، وتلك الرابطة البائسة لا تبلغها بالأسباب، بل تُغرقها في بحرهِ بلا تفسير.

انسحب من العشاء بعد أن ودع كيارا دون أن ينبس بكلمة لها،



وتجاهلها ببرود ظنت أنه لن يعود بينهما، فودعت كيارا بعده، ثم غادرت القصر متوجهة إلى غابات النور، إلى البقعة التي أصبحت مقر لقائهما دون اتفاق.

وهناك، وجدته جالسًا على جذع الشجرة المكسورة، يحدق في الفراغ، لم تعلم إن كان قد لاحظ وجودها وتجاهلها عمدًا، أم أنه منغمس بالفعل في أفكاره.

ولكن ما جعلها تتردد في مواجهته؛ هو معرفته أخيرًا لما كان يحدث في ماجيسيا، لما كان يسبب توترها وخوفها المستمر.

فحين أخبرتهم بأن تاشا باتت تحت حماية المملكة، رأت شيئًا من الحقيقة يكتمل في عينيه، ولم تعلم إن كان سيصارحها الآن لعدم وجود البقية، أم سيحترم صمتها ويترك الأمر بالكامل.

أرادت الهرب حينها، وتجاهل أمر الرابطة المعقدة، حتى لا يسألها عن دورها في كل ذلك، فلم تكن المسألة في عدم استطاعتها لإخباره فقط، بل في عدم رغبتها بإخباره بما فعلت.

لكنها لم تستطع تجاهل وجهه المغموم كذلك، لم تستطع أن تتركه وهو على تلك الحالة، أرادت أن تقترب منه، أن تواسيه، أن تسأله



ببساطة:

«ما الذي أخافك فجأة؟».

لكن السؤال نفسه أخافها، لأنها تعرف أنه إن فتح فمه وسألها في المقابل:

(وأنتِ؟ ممّ كنتِ تخافين طوال الأشهر الماضية؟).

فلن تقدر على الإجابة، لذا.. بقيت مكانها، ترى ألمه، وتلمسه في قلبها بصمت، إلى أن بات خوفه يخنقها أكثر مما تحتمل، فتقدمت نحوه وتوقفت على بعد خطوات منه، لم يتفاجأ من حضورها، لذا لم ينظر نحوها.

حيثُ تأكدت من أنه كان يتجاهلها عمدًا، ورغم استنكارها أمره، سألته بصوت رقيق:

«هل.. نحدد نظامًا؟».

كان فيها بقايا من أملٍ واهٍ، فقد قررت إعطاء هذه العلاقة فرصة عادلة، لكنه رفع حاجبه دون أن يلتفت، فأضافت بسرعة:

«أقصد، لقاءات منتظمة، لموازنة الرابطة فقط».



طال صمته وكأنه يفكر، وكأن الأمر يحتمل الرفض، والحقيقة هي أن الرابطة الغريبة تجسدت ككيان ثالث بينهما، يفرض نفسه ويتخذ القرارات التي لا يجرؤ أيٌّ منهما على اتخاذها.

كان الخيط الذي يربطهما مشحونًا، والمشاعر تنتقل بحرّية أرهقت تريشا كلما طال انتظارها لوارويك، فاقتربت خطوة علّها تهدئ من حدة الاتصال، لكن نفوره الداخلي من اقترابها وصلها كصفعة، وجعلها تراجع فورًا، مصدومة من شدة مشاعره.

وحين رفع عينيه إليها صُدمت أكثر من قسوة تعابيره، تلك النظرة التي أعادتها إلى أول لقاء جمعهما وبددت كلّ خيال ظنته ليس مستحيلًا. وقف بهدوء، ونظر إليها قائلاً بجفاء:

«مرة في الشهر تفي بالغرض، في هذا المكان».

مدّ يده نحوها وانتظر، أطرقت رأسها ونظرت إليها بضيايع، لم تعلم إن كان يريد المصافحة لتوثيق اتفاقهما أم لموازنة مشاعرهما المتشابكة، ورغم شعورها برفضه الداخلي لها؛ صافحته على أية حال، جسدها يتحرك كأن هناك قوة خفية تحركه.



ومثلما حدث في المرتين السابقتين، خمد التوتر وسكنت الرعشة،
وعادت الأنفاس إلى وتيرتها، وذابت فوضى المشاعر، لكن تعابيره
القاسية بقيت مكانها.

كانت الصدمة قد أبقته معلقة، وحينها فقط استفاق قلبها ووصله
الاستيعاب المؤلم، لم تأت الغصة في حنجرتها من كلماته ولا من نبرة
صوته، بل من دفعه المفاجئ لها بلا سبب، من إدراكها أنه كان يشيد
جدارًا باردًا بينهما ويضعها خلفه عن قصد، بعد أن هدمت جدارها
له بكل سذاجة.

وفي هذه المرة كان هو الهارب، وهي من بقيت تحدد في مكانه
الخالى، ولم تعلم من أين أتت الدموع، لكنها شعرت بها تلسع خديها
قبل أن تدرك أنها تبكي.

كانت تنظر إلى الفراغ الذي تركه، تحاول استيعاب ما حدث، تحاول
إنكار غبائها لإنزالها أسوارها، ثم تذكرت ضحكاته على العشاء.

حين كان يمازح كيارا أو يعلق على أليكس أو يتبادل النكات مع
رو، كيف أن صوته بدا حينها ناعمًا ودافئًا، ولذلك مالت نحوه دون
أن تشعر، ولم تكن الرابطة هي من هدأت قلبها، بل طريقته وحضوره.



تذكّرت كيف بدا ساحرًا طيبًا أكثر من كونه قاتلًا مرعبًا، لذلك
تركت حذرها، نسيت كلّ ماضيها وراقبته بابتسامة خفية ظننت أنه لم
يلاحظها.

لكنها أدركت الآن الحقيقة المؤلمة؛ وهي أنها لم تكن تنتمي إلى ذلك
الجزء من حياته، لم تكن من الذين يضحك معهم بذلك الشكل، ولم
تكن من أولئك الذين يشهدون خفته، بل كانت غريبة، قطعة زائدة
خارج الدائرة، عبثًا لا يريده، ووجوده معها مجرد ضرورة أجبر عليها
لا أكثر.

وذلك الإدراك هو ما سحقها، وجعلها تتيقن أن مزاحه أخطر
من كراهيته، لأن لهوه يُسقط عنها دفاعاتها، ويتركها بلا سلاح أمامه،
يجعلها تتمنى أن يقترب، وتنتظر أن يبتسم لها، أن يلتفت نحوها فقط،
وهي تعرف تمامًا أنه لن يفتح لها الباب.

أما جفاؤه، فرغم قسوته وحدته فإنه يحميها ويذكرها بمكانها،
يربها خط الحدود، وأقسمت حينئذ إنها لن تتجاوزه مجددًا.



الصفحة الأولى



عاد وارويك إلى المنزل مثقلًا بأفكاره ومخاوفه، كان إعلان كيارا
برحيلها أشبه بجرس إنذار أعاد إليه معلومة كان قد تجاهلها مؤخرًا.

وهو أن الرابطة لا تقي من الانفصال، بالرغم من قوتها الكامنة.

أنّب نفسه لنسيانه تلك الحقيقة، لترك أفكاره تتبدل بعد حادثة
الكهف، حيث ظن أن هذا الخيط سيحميه، وأنه إذا اشتد فلن يقطعه
شيء.

ولكن ها هي كيارا، رغم رابطتها، رغم الحب، رغم كل ما مرّت
به مع أليكس، سترحل وستتركه خلفها، ولم يستطع وارويك الذي
جرّب الفقد سابقًا أن يتحمل الفكرة حتى كاحتمال.

كان قد نسي الأمر أمام عيني تريشا، وحين رأى مشاعر الخيانة
مرتسمة في تعابير أليكس على طاولة العشاء؛ تذكر السبب الحقيقي
الذي جعله يرفض الرابطة منذ البداية، لأنها ستجعله يتمسك بتريشا
ويتعلق بها، دون أن تضمن له شيئًا، تمنحه وهم الاستقرار، ثم تتركه
عاريًا أمام الخوف حين تبتعد وتتركه، أو أسوأ، حين تموت، فينتهي
به الأمر كوالدته التي لم تحجب دموعها بعد، ورقة بالية لا تعرف كيف
تعود إلى الحياة.



فقد الخوف تصرفاته وكان الأساس الذي بُنيت به قراراته، خوف من أن يتكرر كلّ شيء، أن يفقد من جديد، أن يُنسى رغم كلّ ما شعر به، لذا جعل لقاءاته التالية مع تريشا قصيرة ومختصرة، تؤدي الغرض الذي نُظمت من أجله وحسب، كما قال لها تمامًا، يتوجه إلى البقعة ويختفي بسحره حتى تظهر الجنية، فيُظهر نفسه لها ويصافحها بسرعة، لمسة بالكاد تدوم، ثم ينصرف دون أن يلتفت.

أبقت أعمال ترميم مملكة ستوننج منشغلًا بها فيه الكفاية، لا وقت للحوارات الداخلية، ولا مكان للأفكار المتصلة بتريشا، وكان راضيًا بذلك الإيقاع لشهور عدة، حتى الآن..

لم تكن مشاعرها كما اعتادها، فلم تجلب الرابطة التوتر أو الخوف، بل جلبت الحزن هذه المرة، كان هامسًا أولًا، ثم تكثّف، ثم أقام لليلة كاملة.

شعر به يخيم عليه كسحابة ثقيلة وخانقة، لا تُحتمل، حاول أن يطرد تلك المشاعر، أن يدفنها كعادته، لكنه فشل، فتريشا التي يعرفها، بخوفها وميلها للهرب، لم تكن تثير فيه الأسئلة، وذلك ما ساعده على تجاهلها، أما حزنها؛ فكان شيئًا آخر؛ شيئًا جديدًا أيقظ فضوله.



فتساءل:

(ما الذي قد يحزن جنية بذلك اللطف؟)

من الذي كسر فيها شيئاً بهذا العمق؟)

لذلك أتى إلى اللقاء التالي بفيض من الأسئلة، ووقف منتظراً في البقعة وهو يشاور رأسه وقلبه، متردداً في التعبير عن فضوله، ويرفض الاعتراف بقلقه.

وصلت تريشا من بين الأشجار، وعندما لاقت عينيه؛ شعر بحدة وحدتها، وكأنه هو السبب فيها، حاول أن يفهم الأمر، لكنه جعله محتاراً منها أكثر.

لم تُظهر تعابيرها الكثير، لذا لم يستفد كثيراً من مراقبتها، لكنه شعر بتوجسها من نظراته المطولة، من فضوله المفاجئ بعد تجاهله السابق، ومع ذلك لم يبعد عينيه.

فاقتربت هي لتنهى اللقاء، ومدت يدها إليه ليؤديا طقس الرابطة السريعة كما اعتادا، فمد يده علّ فضوله يزول ويرتاح، لكنه حين



أمسك بها؛ علم أن رأسه اتفق مع قلبه ضده، وبات الاثنان يرددان
اسمها بلا توقف.

خمدت عاصفة المشاعر، فهمت تريشا بالرحيل، لكنه لم يسحب يده
ككل مرة وبينه اللمسة كأنها التزام مؤقت؛ بل ثبتها وشدَّ عليها، ما
جعلها تلتفت نحوه باستغراب.

خرج السؤال منه دون تفكير أو تحكُّم:

«من الذي أحزنك؟».

تجمدت للحظة واتسعت عيناها، ثم تصدَّع شيء فيها، فلم تذكر
آخر مرة سُئلت فيها عن أحزانها، ارتعشت شفتاها بشكل خاطف،
فأطبقتها بسرعة ولم تجب سؤاله، لكنه رأى الوحدة تنزف من نظراتها.
لم تكن مستعدة لآكترائه، لم تتوقعه أصلاً، لذا سحبت يدها سريعاً،
وقد نسيت أن الرابطة تفضحها وتكشف ما تريد إخفاءه، فعاد تدفق
المشاعر الطبيعي، ليشعر وارويك بامتنانها يتسلل إليه، ويتيقن أنه
سيخسر أمامها مجدداً.



لم يعرف كيف يتعد، كيف يغادر ويصدّها كما خطّط وهي بهذا
القدر من الانكسار، حتى إنّ مجرد سؤال هزّها، كانت مخاوفه تشلّه عن
التعمّق، وشفقته تقيده عن الرحيل ببساطة، فنقل الحديث لمكان آخر
علّها تؤخر هروبها قليلاً، وألقى سؤالاً بقي على لسانه لوقت أطول
من اللازم:

«لم تهاين الرابطة؟».

كان يعلم مصدر مخاوفه، لكنه لم يفكر بالأمر من منظورها، لذا
وضح سؤاله أكثر عندما نظرت إليه بعدم فهم:

«أنت تتجنّبين لقاءنا منذ البداية، لماذا؟ ما الذي يخيفك؟».

زفرت متهمّة، وقالت باستنكار لعدم معرفته:

«أنت!».

أمال رأسه بابتسامة عابثة، ابتسامة حاول أن يخفي خلفها تضايقه
من ذلك التصريح، من خوفها منه، ولم يعلم أنها الابتسامة الأولى منذ
تلك الليلة التي صدّها فيها.



ارتجف قلبها عندما رأتها، لأنها السلاح الذي يفتك بدفاعاتها، لأنها ما يجعلها تنسى، ما يجعلها تصدق أنها واحدة من أولئك الذين يبادلهم المزاح بسهولة، والحقيقة أنها مقصاة منهم.

لكن ما أخافها حقاً، هو رغبتها بالاستسلام له، وترك قلبها ليميل إليه، حتى وإن كانت الهاوية قريبة، لكن ضيقه لم يتأخر كثيراً، أتاها كإجابة صريحة عبر الرابطة، جارحاً في وضوحه.

فعلمت أن تلك الابتسامة لم تكن سوى قناع لمشاعره نحوها، قناع يخفي به انزعاجه من وجودها، من ارتباطه بها رغماً عنه.

انكشمت داخل نفسها، وتراجعت قدماها خطوة لا إرادية، واعتصر قلبها ألماً تعيشه كل يوم، حزن لم تتردد الرابطة في إرساله إلى الضفة الأخرى.

لم يعتد أيٌّ منهما بعد على شفافية المشاعر المفروضة بينهما، لذا ظن وارويك أن ابتسامته أخفت كل شيء، ولم يستطع تفسير حزنها المفاجئ، بل لم يستطع التفسير لنفسه سبب رغبته باحتضانها حتى يزول الألم.



ضحك بلهول لم يعكس مشاعره الحقيقية:

«يا للهول! كيف أصبحت أنا؛ المسالم للغاية، منبع خوفك؟!».

كانت ضحكاتها أعلى منه، وسخريتها أحدًا، كما لو أنها كانا يتنافسان
الادعاء والتمثيل، بينما الاثنان مكشوفان أكثر مما يدركان:

«مسالم؟! أنت؟».

تلاشت ابتسامته وعقد حاجبيه بحيرة حقيقية، فتقدمت خطوة
جعلتها ترفع رأسها لتقابل عينيه، وقالت من بين أسنانها وهي تضغط
بسبابتها على صدره:

«أنت قتلت فراشتي».

ارتسمت علامة استفهام كبيرة على وجهه:

«فراشة؟».

تراجعت جميع مخاوفها ومشاعرها السابقة، وتقدم الغضب، تبدلت
تعايرها لعدم التصديق، ممزوج بطيف احتدام يهدد بالاشتعال، وقالت



بصوت هادئ للغاية:

«ألا تذكر فراشتي التي قتلتها بيدك؟».

حدّق بها بضياّع، كمن يبحث في شريط ذكرياته، تتلو اللقاءات
واحدًا تلو الآخر، يحاول تذكر موقع تلك الفراشة المزعومة، لكن
ذاكرته لم تسعفه، فرمقته تريشا بعينين متسعيتين من الاهتياج، وشفتين
مزمومتين، وأنفاس متسارعة، ثم غادرت قبل أن تفعل شيئًا تندم عليه
لاحقًا.

أما وارويك فعاد إلى عشيرته مشغول البال، لا يفكر بشيء سوى
تلك الفراشة الغامضة، وبعد أيام من التردد، وضع ورقة أمامه، وبدأ
يعد لقاءاتهما عليها، يسترجع كلّ تفصيل، لكنه توقف عند اللقاء
الأول، فهناك كانت الجريمة.

تذكر فعلته بشكل طفيف، فلم يكثرث بالأمر حينها، ولم يعاود
التفكير فيه، أما الآن؛ فتصاعد الانزعاج داخله مع كلّ يوم، والتوتر
بلغ ذروته عند الموعد التالي.

ذهب مبكرًا إلى البقعة، ووقف هناك منتظرًا قدومها عاقد الذراعين



ومقطب الحاجيين، وما إن وصلت حتى توقفت في منتصف المكان رافعة حاجبيها، فلم تتوقع رؤيته هناك بهذا التجهُّم والوقفة المترصدة.

وقبل أن تنطق، بدأ هو بالثرثرة بكلمات سريعة وكأنها كانت محسورة داخل قلبه منذ أيام:

«تذكّرتها! إحدى الفراشات التي كانت تحوم حولك، لكن هل من المنطقي أن تحاسبيني على فراشة؟! أنا حتى لا أذكر لونها! ثم إن الفراشات هشة للغاية، يكفي أن...».

قبض كفه أمامه معيدًا تمثيل المشهد، وتابع بنبرة مستنكرة:

«هكذا فقط، وتحطمت، لقد كانت فراشة يا تريشا! حشرة، تطير، كم تعيش تلك الحشرات أصلاً؟ يومين؟ ثلاثة؟ وأنتِ بقيتِ خائفة مني كل ذلك الوقت بسببها؟!».

كان يتحدث وهو يخطو جيئةً وذهاباً، كأنه يلقي مرافعة أمام محكمة غير عادلة، لكن تريشا لم تتحرك، لم تقطع كلامه، ونظرت إليه بنبات.

وجهها ساكن كبركان خامد، سطحه صلب وعمقه يغلي، فتعجبت من عدم شعوره بكلّ تلك المشاعر رغم اشتداد الخيط.

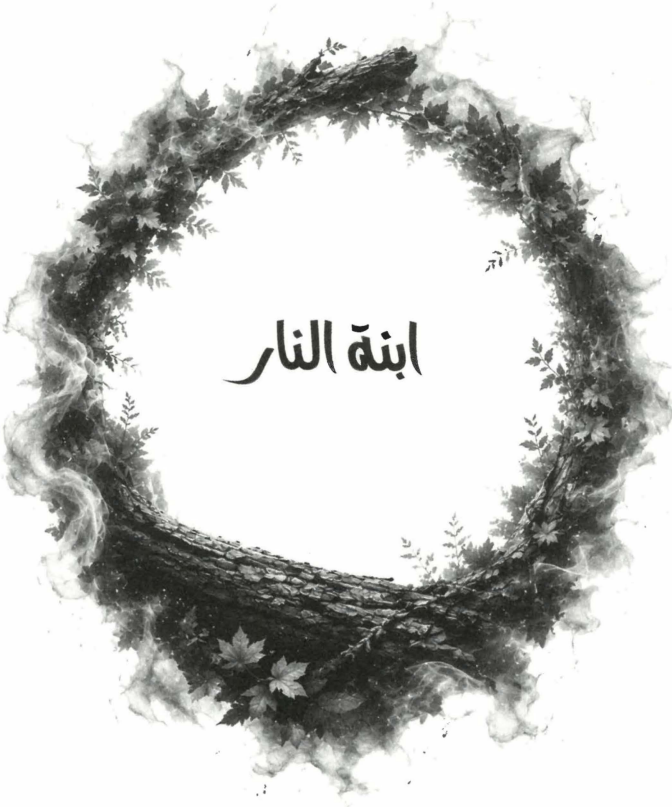


وأخيرًا، تقدمت نحوه بهدوء تام، وتوقف هو عن الحديث عندما وجدها أمامه، وفي تلك اللحظة فقط؛ غمرته مشاعرها المستاءة، فرمقها بحذر، مدركًا متأخرًا أنه تجاوز حدوده.

انتظر -بفضول- نوع الكلمات القاسية التي ستأتي من ذلك الوجه اللطيف، بل تاق إلى سماعها، لكنها لم تنطق، وبانسياب حاد، وبكلِّ ما اخترنته من استياء؛ رفعت يدها وصفعته، صفعة قوية سقطت على خده بشكل مثالي، وكأن القرار كان ينتظر التنفيذ منذ اللقاء الأول.

في اللحظة التي أصابت يدها خده؛ اكتملت طقوس الرابطة الشهرية دون قصد، لكن ذلك كان كافيًا للجنية، فتراجعت وأدارت ظهرها له، ثم غادرت بصمت كما جاءت.

أما وارويك، فظلَّ في مكانه لوقت طويل، مذهولًا مما حدث، وأخيرًا.. رفع يده إلى خده مدركًا أنها لم تكن مجرد فراشة.



ابنة النار



فتحت كيارا عينيها في منزل المير على أصوات الطيور، غمرها
شعور بين الترقب والرغبة، فالיום هو اليوم الأول، بداية الطريق الذي
اختارته بنفسها.

نهضت من فراشها وأعدت نفسها، وأفكارها تتأرجح بين توق
لتحدّي ذاتها ورغبة في إثبات شيء ما، لكنها لم تكن تعلم ما هو ذلك
الشيء ولا لمن؛ لنفسها؟ للعالم؟ أم لأصدقائها الذين اضطروا لإنقاذها
في كل مرة؟

خرجت لتجد آليمر واقفاً أمام نافذة المطبخ المطلة على فناءه الخلفي،
يرتدي ثيابه البسيطة المعتادة، وقد عقد يديه خلف ظهره.

لم يلتفت حين اقتربت، بل قال بصوته الجاف العميق:

«اتبعيني».

خرج إلى فناءه وسار على مهل، فتبعته حتى وصلا إلى صخرة داكنة
برزت عن الأرض، صخرة ملساء وسط السهول الخضراء التي تحيط
منزله، تشبه مذبحة قديماً لتقديم القرابين.



أشار إليها أمرًا:

«اصعدي».

ترددت لوهلة، فنظر إليها بملامح جامدة، بعينين خاليتين من أي عطف، وكانت تلك النظرة كافية لتدفع قدميها إلى التحرك فورًا.

قال بنبرة رتيبة، كأن الأمر بأكمله يبعث فيه الملل:

«درسك الأول بسيط للغاية ومباشر، لا تفكير فيه ولا تحليل».

صمت قليلًا، فأومأت في انتظار التوجيه، لكنه صدمها حين تابع بكل بساطة:

«أحرقني نفسك».

ارتجفت دون وعي:

«أحد.. أحرق نفسك».

قاطعها بصوت غليظ هادئ:

«أول خطوة هي أن تنهضي من رماك، لا شيء يبدأ حتى ينتهي
هذا الدرس بنجاح مثالي».



كانت تعلم ذلك، توقعت أن يكون هذا أحد الدروس، لكنها لم تتخيل أنه سيكون الأول، لم تكن جاهزة، ولم تظن أنها ستجد الشجاعة للاحتراق مجددًا أبدًا.

وحين داهمتها تلك الأفكار؛ أدركت حاجتها لهذا التدريب، فانتظار الوقت المناسب أو انتظار الجاهزية هو ما أخرها حتى الآن، لكن الخوف أقوى من أن يُمحى بفكرة.

تساءلت وهي تنظر إلى يديها، هاربة من عينيه:

«كم سيستغرق الأمر؟».

أجاب دون أن يرمش:

«ثوانٍ قصيرة، لكن لا تراجعني، إن بدأتِ، فعليكِ أن تكلمي حتى النهاية».

أخذت نفسًا عميقًا وأومأت، ثم أغمضت عينيها ببطء واستحضرت نارها، لم يكن ذلك الجزء صعبًا، فهي ابنة النار، وسعيرها يشتعل في جوفها دومًا، لكن احتواء اللهب وتوجيهه نحو ذاتها أمران مختلفان تمامًا.

همست تشجّع نفسها:

«ثوانٍ فقط، وسأكون بعدها بخير».



ثم أطلققتها دفعة واحدة، لكن الأمر لم يكن ثواني قصيرة كما قال،
بل جحيمًا أبديًا.

في الثانية الأولى، انهار صوتها من شدة الألم، وفي الثانية التالية،
اختنق الصراخ في صدرها قبل أن يولد، وفي الثالثة، تراجعت قوتها
على نحو تلقائي أمام العذاب، وانكمشت النار داخل جسدها قبل أن
تُتم مهمتها، لكن الضرر كان قد وقع.

نصف جسدها ذاب، جلدها تشقق، أطرافها تشوهت، والرائحة..
الرائحة مقرزة حد الغثيان، ارتعشت وسقطت على الصخرة تتلوى،
تتنفس بصعوبة، تئن باسمه مستنجدة بيأس:

«آل...مير».

اقترَب ببطء شديد، وأنزل نظره نحوها، لكن رأسه ظل ثابتًا
كجسده، لا ينحني أبدًا، فبدا وكأنه ينظر إليها بدونية، ثم قال بلا
شفقة:

«أخبرتكَ ألا تتراجعي».

همست بضعف:

«ساع...د...ني».



رد ببرود:

«أنهي مهمتك، إما أن تحترقي، أو تعاني حتى الموت، الخيار لك».

ثم التفت وتوجه نحو منزله، تاركًا كيارا فوق الصخرة لتتقذ نفسها، وحينها فقط أيقنت، أن غريزتها تراجعت لأنها اعتادت أن النجدة تأتي دائمًا، لكنها لن تأتي هذه المرة، فلا وجود لأصدقائها هنا.

مرّت الدقائق، أو الساعات، لم تعلم، لكن الألم ظلّ حاضرًا بلا حراك، والأرض الباردة التصقت بجسدها المحترق.

توسّلت، ولم يجيبها أحد، حاولت الزحف، ولم تستطع، تمتت الموت، ثم خافت منه، ارتجفت وبكت، وبكت، وبكت.. ولم يأت أحد.

سمعت صوت رياز من بعيد، يذكّرها محذرًا:

«عجزك عن إنقاذ نفسك في الكهف تسبب بموت زوجك، وعودته تسببت ببتّر الأمل في عودة والدك، عدم اتخاذ القرار في الأوقات الحاسمة؛ لا يختلف عن اتخاذ القرارات الخاطئة، كلاهما يتبعهما عقبات وخيمة».



ثم أردف مشجعاً، بصوت شابه صوت والدها:

«أنقذي نفسك، هيا، اتخذِي القرار لنفسك».

لكن بردًا لطيفًا وجد طريقه إليها، بدأ من أطرافها، وزحف نحو قلبها بتأن، وحين كاد يغلفها بالكامل؛ ابتسمت وهي تحديق إلى السماء، شاعرةً أن الخلاص بات قريبًا.

كانت الشمس مائلة، وأشعتها رقيقة في ذلك الوقت من اليوم، لكنها حُجبت فجأة بجسد كبير، أليكس.. أتى لإنقاذها.

اقترب منها بوجوم، يرمقها بازدراء لم تفهم سببه، حتى جثا إلى جوارها، واتضح ملامحه بعض الشيء، سمعته يقول:

«الخوف هو ما يحكمك إذن».

لكن ذلك لم يكن صوت أليكس، بل آلير الذي أضاف بصوت راكد معلناً نتيجة أول يوم:

«لقد فشلت».

ثم وضع يده برفق فوق جبينها، وأرسل ناره ليكمل ما طلبه منها.





عندما نهضت كيारा من رمادها، وجدت ثيابًا جديدة موضوعة بالقرب منها، مطوية ومهيأة بعناية، ثيابًا أعدها أليمر من أجلها، فلم يسكن هذه السهول سواه.

التفتت نحو المنزل، كان الظلام دامسًا، والقمر لا يشع بتوجهه المعتاد، لكن الضوء المنبعث من النوافذ أثار الفناء بما يكفي لتبصر محيطها دون الحاجة إلى استخدام قوتها.

أخذت الثياب وارتدتها بغیظ مكتوم، وما أن انتهت حتى انتقلت مبتعدة عن المكان، ظهرت بالقرب من جبال الميركور المتجمدة، وهناك لحقتها أفكارها العقلانية.

تساءلت بصوت داخلي مهتز:

(هل أترك التدريب حقًا؟ هل أعود بعد يوم واحد فقط؟ بعد فشل واحد؟ بعد ألم واحد؟ ثم ماذا؟ أغرق بين قوتي بعجز، وأتركهما تقودانني كما تشاءان؟)

كانت تعرف جميع الإجابات، لكن القرار لم يكن سهلًا، لم تتذكر لحظتها لماذا قررت المجازفة والذهاب إليه رغم تحذيرات الجميع، لكن عقلها أجابها فورًا بصور من الماضي، القريب والبعيد.



كل موقف، كل لحظة، كل إصابة، كل هجوم كان موجَّهًا إليها،
واصطدم بأصدقائها بدلًا منها، كل خوف مرَّ في تعابيرهم، كل جرح،
كل موت اقترب منهم أكثر مما ينبغي.

انهارت على ركبته، وغطت وجهها يديها المرتجفتين، وانهمرت
دموعها حارَّة، كانت تكره الطريق الذي فرض عليها، وتكره القوة
التي لم تخترها، تلك التي جرَّت عليها المشقة والأعداء معًا.

وبعد أن جفَّت دموع الشفقة على نفسها، نهضت مثقلة، وانتقلت
عائدة إلى منزل آلير، فتحت الباب ودخلت دون إصدار أي صوت.

استقبلتها رائحة طعام دافئة، وصوت السكين وهو يضرب لوح
التقطيع، وذلك الهدوء الذي ظنَّته سكونًا في وقت سابق.

توقف آلير عن عمله ملتفتًا نحوها، مرَّت عيناه على جسدها
بصمت، شعرها وجلدها مغطيان بالرماد الذي نهضت منه، بنطالها
متسخ من الركبتين فما أسفل، عيناها وأنفها محمرة، وأطرافها ترتجف
بخفة.

وبالتعابير المتخشبة نفسها، استدار ليكمل إعداد الطعام، ثم قال



بلا اهتمام:

«تحممي، ثم تعالي لتناول العشاء».

أرادت أن تكون عنيذة معه، أن ترفض الطعام، لكنها كانت تعلم أنه لن يهتم، وأنها ستكون الخاسرة الوحيدة.

كما أنها لم تجد سببًا منطقيًا لتصب غضبها عليه، وبعد نوبة البكاء تلك، كانت تعرف أن كل ذلك الحق، لم يكن موجَّهًا إليه أصلًا، بل إلى نفسها.

صعدت إلى غرفتها حاملةً جراحها الداخلية التي لا تندمل، حتى وإن نهض جسدها من رماده؛ يبقى قلبها على حاله، دون أن يُشفى أو يتبدل.

تركت الماء يغمرها، لكنه لم يطفئ شيئًا مما يضطرم في صدرها، وعلى النقيض، كان جسدها يرتعش من دوامة المشاعر التي عصفت بها.

لكنها قاومت تلك الرجفة، ورفضت أن تدعها تُقيد حركتها أو تُهيمن على جسدها، لذلك انتهت بسرعة، وارتدت ثوبها الجديد، ثم نزلت.



كان آلمير جالسًا أمام طاولة الطعام الصغيرة، يتناول عشاءه كأن شيئًا لم يكن، وأمام الكرسي المقابل له، وضع طبقًا دافئًا لها، كأنه كان يعلم أنها ستعود.

جلست دون أن تنبس بحرف، تراقب يديه وهما تتحركان بثبات كأني ليلة عادية، بينما عقلها يعيد سرد الوقائع القاسية التي جعلها تواجهها اليوم.

راقبته بشرود وحيرة، تحاول فهم دوافعه، بعد أن تركها لساعات طويلة من الألم فوق الصخرة، الحريق، ثم البرود القاتل في نبرته، وفي النهاية يضع لها العشاء.

فتساءلت إن ذلك جزءًا من التدريب، أم عقابًا مستورًا؟ أيُّ رجلٍ هذا، يجمع بين العذاب والعناية معًا؟

بدأت تأكل بلا شهية، لتواكب الموقف فقط، وبعد دقائق من الصمت، قال دون أن ينظر إليها:

«ماذا فعلتِ اليوم؟».



تصلبت يدها، تفكر بأيِّ فعلٍ يقصده؟ تراجعها عن الاحتراق، أم
فرارها المؤقت، أم شيء آخر لم تدركه بعد؟ اختارت الأوَّل، وقالت
بهدوءٍ متوتر:

«تراجعتُ عن حرق نفسي».

سكت، ولكن الأجواء باتت مشوبة بشيءٍ لم تفهمه، وكأنَّه كان
ينتظر جوابًا آخر، ولمَّا هَمَّت بالكلام من جديد، قاطعها بصوته الرزين:
«وكيف ترين ذلك القرار؟».

لم تأخذ وقتًا لتجيب، فقد كانت تعيد الجملة نفسها مرارًا في رأسها
منذ لحظة تراجعها:

«قرار خاطيء».

ثم بررت بسرعة:

«لكنه كان لا إراديًا».

قال دون أن يرفع نبرته:



«الإرادة لا تُترك دون قيادة، إن لم نسُقها، سارت بنا نحو الهاوية،
ردود الفعل اللاإرادية تكون قاتلة في اللحظات الحرجة».

أومأت بخفة، دون أن ترفع بصرها إليه، لكنّه عاد يسأل، بصوته
نفسه، وبالهدوء نفسه:

«ماذا فعلتِ اليوم عدا ذلك؟».

شعرت بأن السؤال هذه المرة يحمل معنىً مختلفاً، أو لعله هو المعنى
الذي قصده منذ البداية، قالت بصوتٍ خافتٍ مُثبطٍ بالخزي:

«عدتُ إلى الملكة».

لم يردّ، فتابعَت محاولة الدفاع عن نفسها مجدداً:

«وقفت عند جبال الميركور فقط، ثم عدتُ أدراجي».

لاحظ أنها توقفت عن الأكل، فقال بنبرة صماء:

«أكملي طعامك».

تحركت يدها ببطء، ورفعت المعلقة إلى فمها، لكنّه سأل قبل أن



تصل إلى شفتيها:

«وكيف ترين هذا القرار؟».

تجمدت يدها في الهواء، فأغلقت فمها وأعادت اللقمة إلى الصحن،
وقالت بصوتٍ منخفض:

«خاطيء».

تابع دون لوم أو رضا:

«لم؟».

أجابت بصدق:

«لأن التدريب بدأ للتو، ومن المشين التراجع قبل أن أكتسب شيئاً».

أوماً دون تعليق، وظلَّ يراقبها بصمتٍ وهي تأكل بتماسك
مصطنع، بينما كانت تتجنب نظراته، كأنها تعرف أنها ستتهار لو التقت
عينها بعينه.

وفجأة، قال بنبرة متسائلة:

«لماذا جئتِ إلى التدريب إن لم تكوني مستعدة لعملية الاحتراق؟».



شدّت قبضتها على الملعقة، وتأخّرت في الرد تستجمع القوة
للتحدث، لكن صوتها خرج هامساً ومنكسراً، كأنّ الجواب ما زال
مؤمّلاً بنفس الدرجة:

«لأنه مات بسببي، رأيته يموت.. شعرتُ بغياب..».

توقفت الكلمات في حلقها، كأن حنجرتها انقبضت، ابتلعت ريقها
وهزّت رأسها تحاول طرد الصور التي عادت إليها.

لم تضيف شيئاً بعدها، ولم يسألها هو أيضاً، قام بهدوء وأخذ طبقه، ثم
غسل ما كان فيه، لم يطلب مساعدتها، ولم يوجّه لها نظرة ثانية، وحين
أنهت طعامها؛ رفع صحنها من أمامها، ونظّفه كما فعل بصحنه، وأعاد
كل شيء إلى مكانه المخصص.

وقبل أن يغادر المطبخ، التفت نحوها وقال:

«نامي مبكراً، غداً نعيد الكرّة».

اتسعت عيناها للحظة قبل أن تتدارك تعابيرها، رافضة الانجرار
خلف خوفٍ مبكّرٍ من الغد، تحاشت عينيه بعدها، لكنه رصد التردد
في نظراتها، وعرف في تلك اللحظة أنها لن تكمل هذا الدرس بسهولة.



ترتبت خطواته القادمة من تلقاء ذاتها، ثم مضى نحو غرفته، تاركاً وراءه صمتاً يُشبهه، لا يحمل طمأنينة ولا سكينه، يشبه صمت النار بعد أن التهمت كل شيء.

بقيت كيارا في مكانها لبعض الوقت، ولم تنهض حتى صار الهدوء صدى لصوت أفكارها المبعثرة، فحملت نفسها إلى غرفتها، تجرّ خطواتها نحو الفراش.

استلقت وهي تفكر باليكس، تتساءل عن يومه الأول وحيداً، وإن كان أصدقاؤها يحيطونه ليخففوا عنه رحيلها، هل يفتقدها منذ الآن، أم يتظاهر بالتماسك كما اعتاد؟

ودّت لو تعبر الممر بينهما، وتحطّم الجدار لتطمئن عليه، لتأخذ لمحة واحدة فقط، لكنها أجبرت نفسها على البقاء خارجه، أجبرت نفسها على ممارسة الحرمان، كي تتعلم السيطرة.

أغمضت عينيها بقوة، تحاول فرض النوم على عقل يضج، لكن روحها رفضت الراحة دون أن ترى نصفها الآخر.

كانت تميل نحو الممر المظلم بدافع فطري، تنادي اسمه من صميم



كيانها، لكنها كانت تعلم أنها إن ذهبت الليلة، فستذهب إليه في كل
ليلة، أو ربما لن تعود مجددًا.

لذا ضمت نفسها وتكورت كطفل يبحث عن الأمان، وكرّرت نداء
روحها بهمس لا يُسمع، تردد اسمه مرارًا كتهويدة، حتى غفت عيناها
أخيرًا، وابتسمت.. لأنها رآته خلف جفونها، يربت على كتفها بحنان،
ويمنحها تلك الابتسامة الرقيقة، التي لا يُظهرها لأحد سواها.



قِسْوَة لَازِمَة



في اليوم التالي، جفلت كيارا مستيقظة، كانت أنفاسها اللاهثة
الصوت الوحيد من حولها، وبشرتها تتصبب عرقاً حتى ابتلَّ الفراش
أسفلها، فيما ظلَّ صدى صرخاتها يتردد في أذنيها.

لم تر حلمًا أو كابوسًا جديدًا، لكنها سمعت صرخاتها من جديد،
وشعرت بحرارة النار، وكأن جسدها عاجز عن التخلي عن ذاكرة
الاحتراق، وبات الخوف ساكنًا بين عضلاتها.

بقيت مستلقية للحظات، تحدق في سقف غرفتها، تحاول إقناع
نفسها أن ما حدث بالأمس لن يتكرر، وأن اليوم سيكون مختلفًا، لكنها
ما إن هبطت السلام حتى رأت آليز عبر نافذة المطبخ المطلة على فناءه
الخلفي، واقفًا عند الصخرة، كما لو كانت نقطة لقائهما المتوقعة.

خرجت على مضض، وما أن اقتربت منه حتى رفع عينيه نحوها، لم
يقُل شيئًا، لكن نظراته وجهتها بنفس التعليقات السابقة.

فصعدت الصخرة بخطوات مترددة، ووقفت في موضعها السابق،
حاولت استحضار النار، لكن شيئًا في داخلها تجمَّد، نوع غريب من
الشلل أصاب قوتها، كأن جسدها تذكَّر قبل عقلها، ورفض التكرار.



زحفت الثواني رويدًا أمام نظرات أَلير الجادة، توقعت منه تعليمات حادة النبرة، أو تأنيبًا على تأخيرها، أو تضجرًا على الأقل، لكنه ظل صامتًا، منتظرًا، وحين استمر شللها، ولم يحدث أي شيء؛ استدار ببساطة، وتركها هناك، متوجهًا نحو المنزل.

ما أن أغلق الباب خلفه، حتى جلست في مكانها، تتنفس بصعوبة، ظنت أنه سيعود بعد برهة، أن يضغط عليها للاستمرار، أن يعود بأداة مميزة تساعد على النجاح، لكنه لم يفعل.

ارتفعت الشمس في السماء قليلًا، وهي ما زالت فوق الصخرة، لا تستطيع استدعاء نارها، ولا تستطيع النزول من الصخرة، وكأن ذلك إعلان صريح بفشل تدريب اليوم أيضًا.

حتى اكتفت من الانتظار، ونزلت من مكانها، وتوجه إلى الداخل، لتتفاجأ برؤيته يعد الإفطار، تحركاته هادئة ومنظمة، وكأنه لم يتركها معلقة قبل دقائق.

شعرت بالتوتر يتسرب إليها، وجودها قربها كان كافيًا لجعلها تشعر بالذنب، كأن فشلها يقف بينها وبينها في مساحة المطبخ الصغيرة.



فاقتربت دون وعي، تناوله سكينًا هنا، وتقطع الخضار بيدين
ترتجفان هناك، رغم أنه لم يطلب مساعدتها، لكنه لم يرفضها أيضًا.

تناولا الإفطار بصمت، ولم يذكر آلير درسها الأول الذي لم تكمله
بعد، ولم يتحدث أيُّ منهما، ثم انصرف ليومه ومهامه حول المنزل،
وتبعته هي كقطعة ضالة، راقبته وهو يصنع سكينًا غريبة الشكل، ذات
مقبض منفصل بسهولة، ساعدته بما تستطيع، وانتظرت انتهاءه بصمت
عندما عجزت عن فهم ما يفعل، وانتهى يومهما بعد ذلك.

في اليوم الذي تلاه، تكرر الأمر، وقفت على الصخرة، وتجمدت،
فغادر.

وفي اليوم الثالث، لم يأخذها إلى الصخرة أصلاً، بل تجاهلها بشكل
كامل، تركها تنظف، تطبخ، تجلس، تنتظر.

كل لحظة كانت تتوقع أن يفعل شيئاً، أن يعاقبها، أن يواجهها
بفشلها، لكنه لم يفعل، وذاك الصمت كان مهيباً أكثر من الدرس الذي
طلبه.

حتى جاء اليوم الرابع..



استيقظت على ألمٍ حاد مفاجئ، جعل صوتها يحنق بصرخة مكتومة،
رفعت يدها إلى عنقها، وشعرت بدفء دمائها.

ارتجفت أصابعها وهي تلمس المعدن المغروس قرب حنجرتها، في
موضع محسوب، لا يقتلها سريعاً ولا يتركها تعيش كذلك.

بحثت بأصابعها عن مكان المقبض، شيء تسحب به ما كان
مغروساً بها، لتعالج نفسها سريعاً، لكنها لم تشعر إلا بطرف معدني
قصير لم تتمكن أصابعها من إمساكه.

نظرت إلى الأمير الواقف بجانب السرير، يراقبها بلا تعابير، وعندما
أنزلت نظراتها، فهمت غاية السكين الغريب الذي كان يصنعه، السكين
الذي ساعدته في صناعته، فقد كان المقبض المنفصل في راحة يده.

ومن بين جميع الأدوات التي ظنت أنه سيستخدمها لمساعدتها، لم
تتوقع أن يختار شيئاً بتلك البدائية والشناعة.

اقترب منها بهدوء، وحملها بين ذراعيه بلطفٍ مريب، كأن فعله لا
يمتُ بصله لما غرزها في جسدها، لم تقاومه، فالألم كان يُضعفها، ووعياها
يتلاشى ببطء.



وضعها على الصخرة برفق، وقال ببرود قاتل:

«إما أن تحترقي أو تنتظري الموت، الخيار لك».

لكنها لم تمتلك وقتًا للاختيار، كان الخوف يتنازعها، والألم يشتت قدرتها على التفكير، والدم يتسرب من عنقها، ويسحب الحياة قطرة فقطرة.

حتى وصلت إلى الحافة الأخيرة أسرع مما توقعت، وحين وجدت أن في برد الظلام سلامًا أكثر من الاحتراق؛ كادت تستسلم، تترك نفسها لتتلاشى.

ولكن في خضم كل ذلك، تصدّع الجدار الذي أقامته بينها وبين أليكس، فاخرقها صوته، ووصلها نداؤه عبر الممر، نداء خافت، لكنه كان أكثر حضورًا من كل شيء آخر في تلك اللحظة.

سمعت اسمها من بين شفتيه، ولم تعلم إن كان وهما أم ذكرى، لكن نبرته كانت حقيقية بما يكفي؛ نبرة مملوءة بالشوق والألم، بالافتقاد الذي مزّقها ذات يوم.



تذكّرت، وتذكّرت كيف بدا حين احترق لئبقها، وكيف فقدت
هي رغبتها بالحياة حين فقدته، وكيف كادت تعيش بعده بنصف روح.
ولو هلة، خافت أن يكون هو الآن من سيشعر بذلك الفقد، وهي
من ستركه وراءها، ودون أن تدرك متى قررت، أغمضت عينيها،
وأحرقت نفسها.

لم تراجع هذه المرة، لم تفكر، ولم تصرخ، صرت على أسنانها،
واحترقت بصمت.



نجحت.. لكنها كرهته، كرهته بعمقٍ بارد، كرهت الصخرة،
والنار، وكرهت نفسها أكثر، لأنها لم تنهض إلا حين لم يبق خيار آخر.
حين نهضت من الرماد، وجدت مرة أخرى ثيابًا نظيفة ومطوية
بعناية موضوعة قربها، ارتدتها بيدين متيبستين، ثم دخلت المنزل
بخطوات ثقيلة.

كان المير جالسًا أمام طاولة الطعام يرتشف الشاي، ويتنظر، المطبخ
نظيف على نحوٍ يدل أنه أنهى وجبته منذ وقت، وكلّ شيء أعيد إلى
مكانه.



وأمام الكرسي المقابل له، كان طبقها بانتظارها، جلست وجسدها ما زال يحمل رماد الاحتراق، وصدرها يحمل ثقلًا لا يُرى ولا يُزال بسهولة.

نظرت إلى الطعام طويلاً، لكنها لم تستطع أن ترفع الملعقة، كان الجوع موجوداً، لكن الرغبة غائبة.

راقبها أمير لبرهة، لم يعتذر أو يعلق، ولم يبد الرضا أو الاستياء، بل سألها بصوته الهادي:

«ماذا فعلت اليوم؟».

شدّت قبضتها تحت الطاولة، وتضاعف حنقها لسؤاله الغبي، ثم قالت دون أن تنظر إليه:

«أحرقت نفسي».

رأى الكراهية في عينيها منذ أن دخلت، وسمع مشاعرهما في صوتهما، لكن كلّ ذلك لم يغير شيئاً في تعابيره، وسأل بعدها مباشرة:

«وكيف ترين هذا القرار؟».



انطبقت أسنانها بقوة، أرادت أن تصرخ بأنه لم يكن قرارًا، ولم يكن خيارًا أيضًا، بل كان إجبارًا محضًا، لكنها كانت تعرف أن قول ذلك لن يغيّر شيئًا.

نهضت فجأة، دافعة الكرسي بقسوة دون كلمة إضافية، ودون أن تمسّ الطعام؛ اتجهت نحو غرفتها عازمة على إنهاء هذا اليوم كما هو، وقررت حينها، أنها ستعود إلى الممر كلّ ليلة، فهو الشيء الوحيد الذي سيحافظ على اتزان عقلها وهي مع هذا العنقي المختل.

لم يوقفها آلير أو يؤنبها على أسلوبها، وكأنّ تجاهله كان اعتذارًا حفيّا لما هو آتٍ، ففي الأيام التي تلت ذلك، لم يُعدّ الدرس بالطريقة نفسها، ولم يكن يهاجمها كلّ يوم، بل كان ينتظر، يتركها تنسى، يترك جسدها يطمئن، وفي لحظة ضعف، في وقتٍ لا تتوقعه، يوقظها بألم جديد، إصابة محسوبة أخرى، جرح لا يقتل، لكنه يفرض القرار.

ورغم أن كراهيتها كانت تتجدد مع كلّ إصابة، فإنها كانت تفهم المغزى مع نهاية اليوم، وأن الدرس لم يكن النهوض من الرمد وحده، بل منظومة كاملة من الدروس المتداخلة.



لم يكن ألمير يدرب قوتها وجسدها فحسب، بل كان يصقل الغريزة
نفسها، يعلمها أن الخطر لا يهجم حين تكون مستعدة، بل حين تظن
نفسها آمنة.

وكانت تلك القسوة التي فكك بها أجزاءها قبل أن يعيد تشكيلها
أكثر ما كرهته فيه، ولكن الآلام التي جردها بها من أوهامها ثم لقنها
بها حقيقتها هي ما جعلتها تبقى.



معنی مفقود



يمرُّ قصر إيماتيروس بمرحلة سكونٍ موحِشة، كأنَّ الحياة فيه
انكشمت، أنفاس خافتة تتردَّد في الممرَّات ثم تختفي عندما يسمعون
وقع خطوات الملك.

الأبواب تُفتح وتُغلق على استحياء، وقع الأقدام يلين عمدًا قرب
جناحه خشية أن يوقفوا غضبًا لن يتحملوا انفجاره، همسات تنتقل
بين الخدم لغياب الملكة، تساؤلات عن مكان ذهابها، وسبب تركها له.

كلُّ شيء بات معلقًا، الاجتماعات في القاعات الكبرى، القرارات
المصيرية للمملكة، حتى الضوء الذي يدخل من النوافذ العالية، كأن
كلَّ شيء تجمد بعد أن فقد الملك مغزى عودته لهذا المكان.

كان أليكس يتحرَّك في هذا الهدوء كظلٍّ فقد مصدره، يعبر الممرَّ
المؤدي إلى جناحها، يتوقَّف عند العتبة واضعًا كفَّه على الخشب الذي
يعرف برودته عن ظهر قلب، ثم يغمض عينيه.

وهناك، يعبر الممر المعلق بينهما، ذلك الجسر الذي صنعه من أجله،
ثم هجرته من أجل نفسها، كان في السابق يناديها دون أن يعبر، فتأتيه
طواعية، أما الآن، فيصطدم صوته بجدارٍ بارد لا شكل له.



كأنَّ سدًّا صلْبًا تكوّن في الوسط، لم يكن منيعًا تمامًا كي ييأس، ولا رقيقًا بما يكفي ليطمئن، كان شيئًا بين البين، مقاومةً صامتة متألّمة، كأنها صنعتها ناعمًا من جهته حتى لا يتأذى بخشونته، وأجرَدَ غليظًا من جهتها كيلا تتقهقر أمام اشتياقها وتعود إليه.

كان أليكس يأتي إلى الجسر كلّ حين، في الصباح حين يخفُّ ضجيج الخدم، وعند الغروب حين يتوارى الضوء، وأحيانًا في عمق الليل حين يصبح القصر أشبه بروح فارغة، فتبدأ روحه هو بالبحث عنها.

يجرّب كلّ ما جربه وما لم يجربه من قبل، يناديها باسمها، يبعث إليها بطيف من صوته لا يسمعه أحد، يذكرها بأماكن صغيرة لا يعلمها سواهما، يمرّر كفّه على الجدار بنعومة كما لو كان يلمس وجنتها.

ولكن.. لا شيء.

فيضغط براحته على الحجر أكثر، علّها تلاحظ وجوده، لكن الصمت يأتيه ويذكره بأنها انسابت من بين أصابعه سلفًا.

يومًا بعد يوم، كانت حدةً عجزه تتضاعف، لم يكن يُظهر استياءه لأحد، لكنه كان يخلف أثره في كلّ مكان يعبره:

نظرات الخدم إن اقترب، وارتباك الحُرّاس إن لمحوه في ممرّ ليس من



طبعه أن يرتاده، كما لو أنَّ غمامة غير مرئية من الكدر تكونت حوله،
تتحرك بصحبته وتمسُّ كلَّ شيء يلمسه.

كان القصر يستشعر ارتجافه الداخلي الذي كان هو غافلاً عنه،
فتتوتر الأجواء تلقائياً، وتنقبض الأعصاب ثم تنبسط في وتيرة متعبة.

في إحدى الليالي، عاد إلى جناحها الفارغ دون أن يدخله، اكتفى
بفتح الباب قليلاً، ووقف في الشقِّ الضئيل بين الحاضر والذكرى.

رائحة عطرها الخفيف الدافئ، وسادتها عند النافذة، غطاؤها
المطويُّ بعناية على الكرسي، زجاجة العطر التي لم تُحْكَمْ إغلاقها فبقي
شيءٌ من رائحتها عالقاً في الهواء، كلُّ تلك البقايا كانت تصيبه في الجزء
غير المحمي من قلبه، وتبقيه متماسكاً في الآن نفسه.

لذا، عندما دخلت خادمتان لتنظيف جناح كيارا، في عملٍ روتينيٍّ
لا جديد فيه، تسرب من أليكس ما لم يعد قادراً على كتمانها، ووقف لهما
كأنهما تحاولان سرقة ما تبقى له منها.

أمر ببرودٍ قاطع:

«لا تنظفا الأجنحة الملكية».



توقفنا في موضعها، وتبادلنا نظرة خاطفة حذرة، فتابع بنبرة أحد
والوعيد بها أشد:

«اتركا كل شيء كما هو، لا تُبدّلا موضع غرض، ولا تغسلا أي
غطاء، ولا تفتحا نافذة، إن اختفت رائحتها؛ سأخفيكما من الوجود».

كان صوته هادئا، لكن حدوده مسورة بالأشواك، فانسحبنا دون
جدال، ومرّت الهمهمة عبر الممرّ، لكنها ظلت تتردد داخله كأصداء
وجعه الذي لا يهدأ.

لم يمضِ كثيرٌ من الوقت حتى ظهر وارويك عند الباب، ألقى نظرة
سريعة على المكان ثم نقل نظراته إلى صاحبه قبل أن يعبر العتبة، تنهد
قائلا بنبرة منخفضة:

«هل بتّ تهدد الخدم الآن؟».

لم تحمل نبرته الاستنكار، ولم تحمل الشفقة كذلك، بل استقرت في
نقطة محايدة كان يعلم أن أليكس لن يقبل غيرها.

التفت أليكس نحوه كمن أدرك وجوده للتو، وبدا على وجهه ذلك
الإرهاق الثقيل الذي يتبع مقاومةً طويلة. تقدّم وارويك حتى جلس



إلى جواره، ونظر إلى عينيه بنظرات تحته على الحديث، فقال وهو يحدّق خارج النافذة:

«أريد أن أبقى آثار وجودها السابق في القصر، رائحتها أو هالتها، أي شيء، وتنظيف مكانها سيمحو ذلك، سيسقط آخر ما أملكه منها هنا».

سكت لبرهة، ثم أضاف بصوت خافت كأنه يحدث نفسه:

«المرء بيننا مسدود، أحاول عبوره إليها كل يوم، ولكني لا أجدها، فأخرج كما دخلت.. خالي الوفاض».

كاد وارويك يربت على كتفه، لكنه تدارك نفسه سريعاً، يدرك أن اللمسة الآن ستكون ثقيلة، وأن أليكس -من بين الجميع- لن يتقبلها، فحدوده غير موجودة لكيارا، لكنها شديدة الوضوح لغيرها، لذا شكّل خيوطاً سحرية صغيرة بأصابعه ليشغل يديه، وبات يحركها ويلعب بها وهو يواسيه:

«كلانا نعرف كيارا جيداً، وكلانا نعلم أن العنقي الأول هو من أمرها بقطع التواصل، هل تظنها ستتخذ قراراً مماثلاً بنفسها؟ ألا تدرك كم يعتمد قلبها عليك؟».



«بلى، ولكن إلى متى؟».

لم يُجبه وارويك، يعلم أنه لا يحمل العلاج، وأي شيء سيقوله الآن هو مجرد غطاء لشيء مكسور، فأشاح بوجهه قليلاً وقال متفهماً:

«سأوجه الخدم، لن يقترب أحد من الأجنحة».

ثم نظر نحوه وأضاف بنبرة حازمة:

«ولكن عليك العودة إلى العرش».

نظر أليكس لعينه للحظة، ثم أوماً على مضض، فتم القراران، لكن القصر وإن تأدب؛ تتلاشى قواعده غير المنطقية مع الأيام، أما في الوقت الحالي، فتحوّل التوتر إلى طبقةٍ شبه مرئية تُغطّي الأسطح.

صار الخدم يمرّون بمحاذاة الأجنحة كما لو أنهم يمرّون بمحاذاة ضريح، وتتبادل العيون إشاراتٍ قصيرة عند رؤية أليكس، ثم تستعيد حيادها المصنوع على عجل.



وعندما استوعب الحال الذي أوصلهم إليه؛ حاول ضبط نفسه
قدر ما يستطيع، لكنه يتعثر ويُفلت منه شيءٌ صغير في موضعٍ لا يُتَوَقَّعُ.
كأس دماء يترك نصفه بإهمال ثم يسكب فوق وثيقة مهمة، خريطةٌ
تُطوى بعنفٍ أكثر من اللازم وتتمزق، جملةٌ تُقال بحدّةٍ غير ضرورية،
ثم تُلغى باعتذار مقتضب.

وكلُّ ذلك يقود إلى النتيجة نفسها، ويثبت الحقيقة الجلية، وهي أنَّ
ما ينهار فيه يوماً بعد الآخر ليس عقلاً يمكن إقناعه، ولا جسماً يمكن
إراحته، بل شيءٌ أعند.. قلب يأبى تقبُّل الواقع الجديد، حين يُحاصر
ولا يجد منفذاً آمناً، أمل يتأكل في صمت.

فصار أليكس يقصد الممرَّ في أوقاتٍ أبعد عن المنطق، مرةً قبيل
الفجر، حين تكون الظلال متراخية، وسط جلسة تدريبية مع الجنود،
ومرةً بعد الظهر، حين ينعكس الضوء على الثلج فتتحول نثراته
إلى أسلحة صغيرة تُؤذي العين، وسط اجتماع مهم مع المستشارين،
ومرات كثيرة يذهب وقت الغروب الذي كانت تفضله كيارا، حين
يلفظ الضوء أنفاسه الأخيرة، وسط جلسة استماع إلى احتياجات شعبه.



كانت عيناه تخفيان شروده، فيبدو حاضراً معهم، لكن الحقيقة أنه داخل الممر، يبعث بنداء مكسور، ثم يصطدم بالحائط.

ورغم كل خيبة، فإنه لا ييأس من المحاولة مجدداً، لكن شيئاً فيه كان يتشقق في كل مرة، يراقب نفسه وهو يضعف، وكان ذلك أشدّ قسوة عليه من أي خسارة سابقة.

حتى انفلت جزء من غضبه مرة أخرى، كانت إحدى الخادومات تمسك بدلو ماءٍ صغير لتمسح عتبة الجناح من الخارج، فخطأ أليكس نحوها وهو يقول بصوت أعلى من المعتاد:

«أتعارضين أوامري؟!».

ارتبكت الفتاة وهي تهمهم باعتذار، وكادت تسكب الماء على حذائه أثناء محاولتها الانصراف بسرعة من أمامه، وفي تلك الليلة، حضر وارويك مجدداً.

فكلما شعر الخدم بقرب انفجار الملك، تحدثوا إلى رو وزبي، وهما يبلغان وارويك بدورهما، لا أحد يعرف كيف يتصرف، وكان وارويك مثلهم تماماً، لكنه يأتي في كل مرة ليدعم صديقه، ولو بالحضور الصامت.



سارا معًا إلى الشرفة المطلة على الباحة المظلمة، ووقفًا فيها والهواء
البارد يضرب وجهيهما بلا رحمة، أسند وارويك ساعديه إلى السور
الحجري، شاعرًا بنظرات أليكس نحوه، يسأله بعينيه عن سبب
حضوره هذه المرة، فقال:

«أردت تذكيرك باتفاقية العدل التي وقَّعتها».

عقد أليكس حاجبيه، فمشاعره الطاغية أعمته عن رؤية تصرفاته
التي اخترق الاتفاقية بها، فوضح له وارويك فورًا:

«تظن نفسك هادئًا، والحقيقة هي أنك تصرخ عليهم وأنت ساكت
طوال الوقت، تعاقبهم دون أن ترفع يدك، والعنق.. يحاولون ألا
يتدخلوا احترامًا لك، لكنهم يراقبون، وسبارك سيتصرف في النهاية».

لم يجادل، بل لم يكن لديه ما يجادل به، واعترف بصوتٍ مُنْهَك:

«لو كان هناك عدوٌّ لأقتله لفعلت، لو كان هناك ساحرٌ لأدمره
لانتهى كل شيء، لكن....».

سمع وارويك تصدعًا طفيفًا في صوته، لكنه ادعى أنه لم يلحظ،



فتابع أليكس بعد أن تمالك نفسه:

«لا يوجد خصم، بل مجرد جدار مقيت، جدار لا أستطيع تحطيمه خيفة إيدائها».

أجاب وارويك بعد أن استقام وعقد ذراعيه:

«إذن، خصمك الآن هو الزمن، وسلاحك ضده هو الثبات».

زَمَّ أليكس شفتيه غير راضٍ عن تلك الإجابة التي يرفض تقبلها، فظلاً واقفين في صمت، بينما كانت نسائم الصنوبر تصل إليهما خفيفةً من البعيد كلما حرك الهواء الأشجار، القمر ساطع وسط نجومه البراقة في السماء، وفي الأسفل يمرُّ حارسٌ بطيء الخطى كلَّ حين، وينصرف فور ملاحظتهما.

بعد لحظات، قال وارويك أخيراً بصوت يحمل الاهتمام والصرامة الهادئة:

«لا تحدث في القصر ضجةً أخرى، سأتكفل أنا بالحديث مع الجميع، إن أردت أن تُبقي الأجنحة كما هي؛ فستبقى كما تريد، ولكن.. لا تُحاربهم».



تنهّد بعدها ورقّت نبرته حين أضاف:

«ولا تحارب نفسك أكثر».

بدأ أليكس يهزّ رأسه، ليخبره أن الكلمات أسهل من أن تُنفذ، فسبقه صديقه بالقول:

«أنت تعيد تشكيل المكان الذي ستعود كيارا إليه، وإن بقيتَ على هذا الحال، فستعود إلى قصر مليء بالخونة الذين صنعتهم أنت بترهيبك لشعبك».

أمال أليكس رأسه إلى الخلف، ونظر إلى السماء مدركاً أنه عاجز عن تغيير نفسه، ورغم هدوئه الظاهر فإنه كان يحمل أثرين متناقضين في داخله، ألماً مكظوماً، وسكينة متكلّفة لن تصمد طويلاً.

قاطع وارويك شروده:

«أنا هنا».

التفت أليكس نحوه، لكن الآخر أبقى عينيه بعيدتين، حتى يتمكن من قول ما بقلبه دون تراجع أو خجل:



«قد أكون غير قادر على أن أصدّ ما يجري في داخلك، فأنا أعلم جيداً أن نزيف المشاعر أطنى من أن يُكبح، لكنني سأقف حيث ينبغي، قريباً بما يكفي لأسندك إن سقطت...».

بادله النظرات حينها وتابع بسخرية حاول بها تخفيف حقيقة وعده:

«وبعيداً بما يكفي لتظنّ أنني لا أشفق عليك، أيها المسكين».

ابتسم أليكس أول ابتسامة له منذ وقت طويلة، تلاشت بسرعة، لكنها كانت صادقة، وردّ بنفس النبذة الساخرة:

«أخبرني أيها المتحاذق، أين هي تريشا؟».

تبدلت تعابير وارويك فوراً، وتجهّم وهو يتذمّر ممتعضاً:

«تبّاً لك أيها المكتئب! لا تفرك الملح على جراحي الحديثة».

ضحك أليكس بخفة، فلحقه وارويك بأخرى مشابهة، وعاد الصمت بينهما، لكنه كان أخف وألطف على قلبيهما.

استأذن الساحر للعودة بعد لحظات، وهمّ بالخروج من الشرفة، لكنه توقّف مدركاً شيئاً، فالتفت قائلاً بنبذة متفكرة:

«الحائط الذي يصدك.. ربما يشعر بك».



استدار أليكس نحوه بنظرات متسائلة عن مقصده، فأضاف
وارويك بنبرة نقلت عدم يقينه:

«أعلم أن الذهاب إلى الممرّ والعودة منه بلا شيء أمرٌ مؤلمٌ لك،
ولكن عدم الذهاب.. قد يكون مدمراً لها».

تبادلا النظرات للحظة، ثم انصرف تاركاً أليكس لتجديد أهدافه،
عاد حينها إلى الممرّ الأصمّ، نفس المكان الخالي والبارد، لكنه رآه
بنظرات مختلفة، وعوضاً عن التفكير بجهته المظلمة، فكر بجهتها
المليئة بالوحشة والإرهاق.

ومع الأيام، بدأ يُعيد توزيع أوقاته، ساعةً في الساحة يشرف على
تدريب الجنود، وساعةً في المحمية يراجع تطوراتها، وساعةً في القاعة
مع الخرائط والمستشارين، ودقائق في الممرّ بين كل مهمة.

أصرَّ على أن يمرَّ به كلَّ يوم، ورغم أن الحائط كان يستقبله بلا
ملامح، فإن أليكس كان يضع كفَّه عليه برقّة، كأنه يذكرها دون
صوت:

(سأكون هنا دائماً، على الجانب الآخر).



لم تتبدد مشاعره المستاءة، ولم يتعلم السيطرة عليها بشكل كامل، ولكنه في الآن نفسه يدرك أنَّ هذه المعركة يجب أن تُخاض بطريقة مختلفة، بالحضور والصبر وليس بالهجوم.

بعض الأيام كانت أسهل من غيرها، وفي البعض الآخر كان بالكاد ينقذ نفسه من الانهيار، فيقوم بتذكير نفسه باحتياج كيانه له، باعتيادها عليه، ويستمد بعدها صبراً أكبر من تلك الفكرة.

لكن القصر بقي خائفاً، تلتقط جدرانها خفوت نبرته الخفيّ الدالّ على اقتراب انفجاره، ثم تعيد بثّها للبقية، فيتزعزع الخدم والجنود.

أما وارويك، فكان يعود كلما سمع بتصاعد الأجواء المشحونة، مدركاً أن تكدر أليكس قد اتسع ويوشك أن يأكل من حوله.

فيجلس معه لبعض الوقت، دون حديث ودون نصائح غير مفيدة أو كلمات غير مجدية، رفقة يألفها ويخفف بها ثقل الفراغ بشكل مؤقت، يؤكد له بها أنَّ وجوده هناك رغبة صادقة وليست واجباً.

لكن الجميع مدرك أن سقوطه قادمٌ لا محالة.



لعنة موردين



في غابة أبناء الغراب، جلس سايفر على الأريكة، يراقب النار تلتهم
الخشب داخل المدفأة، وكأنه يفكر في شيء مضى ولن يعود.

طرق رو الباب، ثم ولج دون انتظار إذن قائلاً:

«صباح الخير».

التفت سايفر وابتسم ابتسامة خفيفة أنهكها المرض:

«أهلاً بك يا بني».

اقترب رو وجلس مقابله، مائلاً بجسده إلى الأمام:

«أردت أن أطمئن عليك، سمعتُ عن وعكتك من رينجر».

لوح سايفر بيده مستخفاً:

«مجرد إرهاق بسيط، جسدي يحاول أن يُذكّرني بأنّي لست شاباً بعد

الآن».

ابتسم رو، لكن عينيه ظلّتا فاحصتين:

«هل زارك الطيب؟».



« لا تقلق، زارني مرتين، وفي كل مرة طلب مني الراحة كأنها دواء عجيب».

ضحك رو بخفة، وسرعان ما صمت، فلاحظ عمه تعابيره المتفكرة، وسأله:

«كيف حال أمبر؟ هل تأقلمت مع جسدها الجديد؟».

تغيرت تعابيره قليلاً، وأسند ظهره إلى الكرسي متنهداً:

«أفضل مما توقعت، تدريباتها تسير بشكل جيّد، بدأت تتقن ضبط تعاطشها، وتُظهر سرعة لافته في ردة الفعل والقتال».

أوماً سايفر بإعجاب:

«هذا مبشّر».

وافقه رو بصوت منخفض:

«صحيح».

تردد لبرهة، وعندما وجد عيني عمه تشجعانه على الإفصاح عما



يشغله، أكمل:

«في الحقيقة، أريدها أن تختبر قتالاً حقيقياً، في بيئة غير متوقعة، بعيداً عن الثلج والأساليب المعتادة، البرد يساعدها على السيطرة، لكن الحرارة ستفقد ثباتها، لذلك فكرت في أخذها إلى غابة موردن...».

انقلب وجه سايفر فجأة، وتحول إلى قلقٍ مغروسٍ في أعماقه، وقال بصوت منخفض حازم:

«لا».

ارتفع حاجبارو، وبدأ يبرر:

«لم أخطط للذهاب إلى نقطة عميقة فيها، سنذهب إلى أحد أطرافها، لنختبر قدراتها...».

قاطعته بصوتٍ أعلى هذه المرة:

«رو!».

لم يصرخ، لكن نبرته كانت قاطعة:



«لا تدخل موردن أبدًا، ولا تأخذها إلى هناك، ولا تقتربا حتى منها».

قال رو مستغربًا:

«لَمْ كُلْ هذا الذعر؟ هي غابة كباقي الغابات، أعلم أنها خطيرة، لكن يمكننا السيطرة على الوضع إن أحضرت معي زي».

نهض سايفر عن كرسيه، واقترب منه حتى جلس إلى جواره، حدّق في عينيه قائلاً:

«هل تظنني أخاف من الأشجار؟ من الأرض الوعرة؟ موردن ليست مجرد غابة، بل لعنة نمت عبر الزمن».

ظَلَّ رو صامتًا، وعينه تتفحصان وجه عمه الذي بدا وكأنه عاد بذاكرته إلى زمن آخر، تابع سايفر بصوت أبطأ:

«هل تعلم ما الذي يحدث عندما تظل على هيئة الغراب وقتًا أطول مما ينبغي؟ أو عندما تغوص في التحوُّل مرات كثيرة دون راحة؟».

هز رو رأسه نفيًا، فأردف عمه:



«شيئًا فشيئًا، يبدأ شيء في داخلك بالتآكل، ولن تعود قادرًا على

الرجوع بالكامل».

سأل رو بحيرة:

«تقصد أنني سأفقد السيطرة؟».

أوما سايفر:

«بل تفقد نفسك كذلك، لن تستطيع العودة إلى هيئتك الآدمية، ولا البقاء كغراب كامل، جسدك يتشوه، قد تحمل نصف وجه غراب، أو ربما منقاره فقط، قد تحمل ذراعين، أو ربما جناحين مكانهما، قد تحافظ على جلدك، أو يتبدل إلى ريش».

نظر إليه رو ببهوت، وبعض الخوف والقلق، فأضاف سايفر:

«وهذا ما ستجده في غابة موردين، مسوخ أليسارك المنبوزين، لكنهم يندرجون من جميع الحيوانات، وليس فقط الغربان، أطرافهم غير مستقرة، عيونهم تائهة، وفكرهم غريزي، يهاجمون بلا وعي، ويقتلون دون تمييز».



سكت سايفر لحظة، وبدا لرو أنه يؤنب نفسه على كل فرد نبذه إلى تلك الغابة، ثم أكمل بصوت خفيض:

«لم يعد بالإمكان احتواؤهم، لذلك طُردوا إلى موردن، كان قرارًا يائسًا، ولكن مع ازدياد أعدادهم، أصبحت الغابة منبوذة لا يحكمها إلا الجنون».

ارتجف قلب رو للحظة، فلم يتوقع كلَّ هذا، ثم سأل:

«ولم لم يُطهَّر أحدُ الغابة، أو يُنقذهم؟».

ابتسم سايفر بتهكُّم:

«ومن يجرؤ؟ لا أحد يدخل موردن ويعود كما دخل، الأرض نفسها باتت تكره الغرباء بسبب الوحوش الذين فرضوا عليها، الهواء ضبابي طوال السنة، والليل ينقضي، لكن أشعة الشمس لا تصل إلى أرجائها أبدًا، لا أحد يصمد هناك طويلًا، وكأنها تُعيد تشكيل كلِّ من يبقى بداخلها، حتى يتناسب مع القاطنين هناك».

همس رو:

«لم أكن أعلم».



قال سايفر بصرامة:

«ولا يجب أن تعلم، أمبر ما زالت في بداية تحولها، والظلمة التي تسكنها الآن كافية، لا تُعرضها لظلمة أخرى أقدم وأقوى منها».

وضع كفه على كتف ابن أخيه، وقال بنبرة تحمل حكمة جمعتها السنين:

«أعلم أنك تريد الأفضل لها، لكن القوة ليست دومًا في الاختبار الأصعب».

سكت رو مطولاً وهو يفكر، كان يرى فكرة الذهب جذابة، موردن تمثل التحدي، التدريب الحقيقي، لكنه الآن رآها على حقيقتها، فخًا مفتوحًا ينتظر فريسته القادمة.

أسند سايفر ظهره إلى الأريكة، وعادت نبرته المتراخية:

«لدي اقتراح لك، هناك بقع خالية في غابتنا، ولانس يعرفها جيدًا، يمكنه أن يدرّبها هناك، ويختبرها دون أن يعرضها للخطر».



ابتسم رو بخفة، وسأل غير واثق:

«وهل تظنه سيوافق؟».

رفع سايفر كتفيه بابتسامة جانبية:

«لا أستطيع الجزم، لكنك تعرفه، هل تظنه سيرفض تأديب مصاصة
دماء جديدة وغير مستقرة؟».

اتسعت ابتسامته رو تدريجيًا عندما أدرك الحيلة التي يقترحها عمه،
لانس لن يوافق إن علم أن أمبر تحكم السيطرة على غضبها، لكنه
سيقبل التحدي إن ظنها مسعورة وعليه ترويضها.

فهز رأسه باستمتاع لما هو قادم، وقال:

«سأتحدث إليه إذن».



حَقِيقَةُ الذَّنْبِ



قرر وارويك أنه لن يعتذر على قتل الفراشة، شعر أن الاعتذار سيكون اعترافاً بشيء أعمق لا يريد الاقتراب منه، فربما تكون مجرد تفصيل تافه له، لكنها مثلت شيئاً آخر لتريشا، ولم يرد التعمق فيها أكثر، فاتخذ القرار وهو يردد لنفسه:

«لا تعتذر، لا تبرر، ولا تراجع».

وبذلك يضمن الابتعاد من كلا الطرفين، ويحافظ على مسافة آمنة، مسافة تضمن له حماية قلبه، وابتعادها عنه في الوقت نفسه.

لذا، حين حل موعد لقائهما التالي، وقف في البقعة المعتادة، مستقيم القامة، عاقد الذراعين، يحمل على ملامحه غروراً مصطنعاً، لدرجة أنه شعر بسخافته للحظة.

وصلت تريشا بخطوات بطيئة بعد دقائق، ملامحها غير مبالية، كما لو أنها لم تهدر يوماً بالتفكير به، لكن عينيها كشفتها، وكشفت كم كانت تنتظر منه شيئاً ما.

لم تكن تتوقع اعتذاراً بالضرورة، لكنها توقعت نوعاً من التفهم، كلمة بسيطة تبرر قسوته، وما إن لمحته على تلك الهيئة؛ حتى أدركت أنها لن تجد أيّاً من ذلك، فتغيّرت تعابيرها.



احتقن وجهها، وتقدّمت نحوه بثبات، وقبل أن يفتح فمه ليقول
أي شيء، أتت صفعتها بقوة على خده.

لم يتوقعها هذه المرة أيضًا، فانكمش وجهه دون إرادة منه، وبحركة
لا شعورية، رفع يده إلى خده الملتهب مجددًا، فيما استدارت هي
وانسحبت، قبل أن يتمكن من التعبير عن غيظه.

راقبها وهي تمشي مبتعدة، شاعرًا بشيء يعصر صدره، شيء أشبه
بخيبة لم يستطع وضع سبب لها، لكنه لم ينطق، ولم يثنها عن الرحيل،
بل تمسك بقراره في عدم التبرير، ثم غادر بعدها بدقائق، ووجهه لا
يزال يحمل آثار كفّها.

مضى الشهر التالي بسرعة، ووجد نفسه واقفًا في البقعة مجددًا، لم
يكن قد نسي الصفعة، لكنه لم يكن مستعدًا لأخرى كذلك، ولم يتوقع
البتة أن تأتيه من الخلف على حين غفلة.

كان الليل قد بدأ يسدل ستاره عندما شعر بالنسيم يتحرك من
خلفه، ثم دوى صوت الصفعة دون سابق إنذار، ارتد رأسه، واستدار
بسرعة، صائحًا بحدة:

«توقفي عن صفعي!».



لكن كلّ ما واجهه هو غابة صامتة وخالية، وسماء ملبدة بالغيوم، لم تكن تريشا هناك، فقد اختارت ألا يراها في تلك المرة.

مضى شهر آخر، ووجد وارويك نفسه يعد الأيام توقاً للقاء عابر، استعد هذه المرة وانتبه لكلّ حركة، لكلّ صوت، بل إنه بدأ يتوقع من أين قد تأتي صفعتها.

لكنه رغم كلّ ذلك الاستعداد؛ لم يردعها عندما حان وقتها، فقد جمدته عيناها المستاءتان أكثر من العادة، فرأى يدها ترتفع، ولم يتحرك لإيقافها، بل لم يبعد عينيه عن خاصتها.

وعندما شعر بحرارة راحتها على خده، ابتسم بسخرية مريرة، لم تؤله الضربة جسدياً بقدر ما ألمته معنويّاً، كانت تذكره بخطئه، بعناده، بتمسّكه بخوفه، وتحديدًا، بمدى ضعفه وعجزه عندما يتعلق الأمر بها.

وقف بانتظارها في المرة التي تلتها، وعندما لمح وجهها قادمًا من بين الأشجار، ابتسم لها من بعيد ابتسامة صغيرة مستسلمة، وكأنه يعلن قبول العقوبة قبل تنفيذها.

تقدّمت وصفعته كما فعلت دائمًا، فأوماً بخفة فيما انصرفت هي على



عجل، وعندها همس محدثاً نفسه:

«أظن أنني أستحق ذلك».

لكن اللقاء الأخير كان مختلفاً، كان وارويك محملاً بهمومه، وهموم صديقه الذي يعاني في قصره، وبوالدته التي لا تحدثه، وبالرابطة التي تعذبه.

وقف كعادته منتظراً، يعلم أن الصفعة قادمة، بل بدأ يستعدُّ لها وكأنها باتت جزءاً ثابتاً من طقوس اللقاءات الشهرية، التي تنقل الرابطة من حالة الفوضى إلى حالة التوازن.

لكنه ما إن شعر بها حتى فقد عقله، وضحك، قهقه بصوت عالٍ للغاية، غير قادر على كتم نفسه، كأن شيئاً فيه انكسر بطريقة ساخرة ومبكية.

تجمّدت تريشا في مكانها، ونظرت إليه بدهشة دون أن تقول شيئاً، وبعد نظرة طويلة فيها خليط من الارتباك والحنق، أدارت ظهرها ومضت.



صَحِكَ وارويك مرة أخرى، لكنها كانت خافتة وحزينة هذه المرة،
ثم جلس على جذع الشجرة محدّقاً بالأرض، كأن التعب باغته دفعة
واحدة.

كانت مشاعره تجاهها فوضوية، يريد الاستسلام للرابطة وما تمثله،
يريد التقرب منها بدلاً عن إبعادها، لكن الخوف كان أقوى من تجاهله.

بقي في بقعته حتى أصبح الهواء أثقل من أن يُحتمل، فعاد إلى منزله
أخيراً، وألقى بنفسه على السرير فوراً، دون أن يُشعل الأنوار أو أن يخلع
حذاءه أو يبدل ثيابه، وكأن وزنه لم يعد يحتمل الوقوف لثانية إضافية.

كان الظلام مريحاً على غير العادة، والصمت غير مزعج، فأراح
رأسه على الوسادة وترك عينيه مفتوحتين، تحدّقان بالسقف كأن فيه
إجابة لكل الأسئلة العالقة في صدره.

لم يرد أن يفكّر، لكن عقله كان دوامة لا تتوقف، وجهها، نبرة
صوتها، مشاعرها، وتلك الصفعة، كلها تكررت في ذاكرته كأنها
شريط عالق.

تأفّف ممتعضاً، وأغلق عينيه متمنياً الاختفاء لبعض الوقت، الراحة



لبعض الوقت، لكن وعيه بدأ ينزلق إلى مكان غريب ومألوف بطريقة لا يستطيع تفسيرها.

كأن ذاكرته تصوغ له حلمًا قديمًا بمذاق جديد، سكن جسده فوق الفراش، وبقي شيء فيه مستيقظًا، يراقب من بعيد، وكأن روحه انفصلت وتحولت إلى ظل، ليشاهد كل شيء يحدث دون أن يتدخل.

كان واقفًا في الغابة، الضباب الكثيف يتسلل بين الأشجار ويتشبث بالجدوع، يغمر كل شيء بهدوء خائق، لم يكن الليل مظلمًا بالكامل، وإنما باهتًا كأن العالم قد غرق في حلم رمادي، معلق بين اليقظة والنوم.

كان وارويك هناك، بهيئة دخانية، يراقب جسده المادي من بعيد، وهو يتحرك بصمت بين الأشجار، يلاحق طائرًا صغيرًا وكأنه سيقوده إلى مكان ما.

توقف أمام عش الطائر، الذي لم يكن يحمل سرًا كما ظن، بل مجرد طعام لأفواه صغيرة، فتنهّد وهبطت كتفاه كما لو أن الخيبة خرجت من عمق صدره.

وفجأة، كسر السكون بصوت خافت وخاطف، فشاهدها لأول



مرة، فتاة شعرها أحمر كاللهب المطفأ، تفرُّ راکضة وكأنها رأت شيئاً،
أو أسوأ، كأنها رأت وجهه.

لم يدرك من أين ظهرت، ولا لماذا لم يشعر بها، لكنها كانت هناك،
تهرب منه بلا تفكير، حينها أدرك الظل أنه يحلم بالماضي، بأول لقاء
بينهما.

لكن الحلم كان مختلفاً عن اللقاء الفعلي، فلم يكن يعيشه مجدداً، بل
يراقبه فقط، وكأنه لا ينتمي إلى ذاكرته، وكأنه أتاه من ذاكرة شخص
آخر كان حاضراً معها.

رأى ذلك الظل جسده، وجهه الذي بدا غريباً عنه، يعرفه ولا
يعرفه، رأى يده وهي ترتفع ببطء، وأصابعه وهي تتحرك برتابة قاتلة،
فينغلق السحر على قدمي تريشا ويسقطها، لم يشعر بشيء في تلك
اللحظة، لم يشفق عليها أو يتردد في ترهيبها.

زحفت الفتاة نحو جذع شجرة، فاقترب منها خطوة بخطوة، بينما
كانت الفراشات تظهر واحدة تلو الأخرى، ترفرف بشكلٍ مريبٍ
حولها، بلونها الأحمر كالتحذير، كالغضب، كالدم.



جلس وارويك أمامها، لكنه لم يكن نفسه، نظراته قاسية، ليست
كما يتذكرها، ملامحه لا تشبه تلك التي يعرفها في المرأة، كان هناك
شيء مظلم في عينيه، كأن النور الذي اعتاد رؤيته فيهما قد انسحب إلى
الأعماق وتركه خاوياً في تلك اللحظة.

تحدث بصوت منخفض ناعم، لكنه يحمل شيئاً ساماً أسفله:

«جنية؟.. بل جنية جميلة».

أحس بالغثيان من نبرة الإعجاب التي خرجت من فمه، لم يكن
إعجاباً نقيّاً، بل مشوباً بالريبة، بالرغبة في السيطرة، لم يكن يتحدث،
بل يتفقد فريسة.

ثم رأى الفراشة التي حطّت على شفّتها، كأنها تمنعها عن الحديث،
كأنها تحمي سرّاً لا يجب أن يُقال، كان يعرف تلك الفراشات، فراشات
الميسّكو، أدوات الجن لحجب الحقائق، أدوات للخداع في عالم لا يكذب.

رفع يده، ومدّ كفه حتى استقرت الفراشة وسطها، ثم أغلق قبضته
ليسجنها هناك، ارتجفت الفتاة، واضطربت الفراشات كلها، ومعها
اضطرب هو نفسه، أو بالأصح اضطرب ظلّه.



سمع كلماته كأنها قادمة من بئر عميقة، تحمل نبرة تهديد لا تنتمي إليه:

«إذا... إما أن تشاركيني الحقيقة، أو أخذها بالقوة».

شاهد يده تضغط، وشاهد الأجنحة تتكسر، وشاهد الرهبة في عينيها الرقيقتين، ثم رأى هالة كيارا تظهر، مؤكدة له أن الجنية كانت تخفيها، كان قد تكهَّن أنها تعرف شيئًا عن مكانها، لكنّه لم يكن مستعدًا لرؤية الدليل جليًا هكذا.

شاهد الظل جسده يقبض على عنقها، يرفعها، ويضغط، شاهد صراخها الصامت، محاولتها اليائسة، فراشاتها ترفرف، الهواء يختنق، وكل شيء بينهما يتشوه منذ اللقاء الأول.

كره ما كان يراه، لكنه لم يبعد نظراته، أراد أن يرى كل شيء، أن يراه كما رأيته هي، أن يرى تعابيرها بصفاء، دون الاستياء واليأس وجميع المشاعر التي سيطرت عليه حينها وقادت أفعاله.

لكن شيئًا فيه كان يبكي، يبكي على وجهه، على صوته، على جسده الذي ارتدى ملامح لا تشبهه، وتصرفه الوحشي الذي لم يستطع تبريره حتى في تلك الحالة.



لم يفهم كيف تختار الرابطة الجمع بين نقيضين، بين ساحر اعتاد القتل بسهولة، وجنية لم ير منها إلا العناية بمن حولها، وأيقن أن هناك خطأ، وأنها وقعت بينهما بمحض الصدفة.

«تكلمي!».

لم تتكلم، بل ذابت داخل الشجرة، وسحبته معها، فانسحب الظل معها، لم يكن الانتقال حادًا، بل انزلاقًا سلسًا، عالم ينقلب، ومكان يتبدل من سماء مفتوحة إلى سقف خشبي.

رأى جسده يختفي فورًا، مدفوعًا بغريزة البقاء والحذر، ثم رأى الرجل العجوز الجالس بثبات، مثل نورٍ وسط الفوضى، ورأى الفتاة تحدثه وهي تفرك عنقها:

«كان يحاول قتلي».

تكررت الكلمة في رأسه:

قتلي.

يحاول قتلي.



فتساءل: أحقًا حاول قتلها؟ هل كان ذلك هدفه، أم أن الخوف والرغبة في الإمساك بالخيط الذي سيقوده إلى كيارا أفقدها سيطرته؟

ظهر جسده دون أمره حين تحدث الثعلب، واعتراه هدوء غير مبرر حين نظر إليه، نقل الظل نظراته بين جسده المرتاب المخدر، والجنينة التي تتسلل خلفه، والعجوز الذي كان يقول:

«أقنعها أنت».

رأى يدي الفتاة وهما تدفعانه داخل الأرض، وترسلانه إلى مكان آخر، فظنَّ أنه سيذهب معه، لكنه بقي في بقعته، يراقب تريشا وهي تعتذر للعجوز، ثم تنصرف.

راقب مكان خروجها، دون أن يقدر على اللحاق بها، أو بجسده المادي الذي ذهب لأخذ كيارا من كهفها، رغم أن ذكره المتعلقة بذلك المتجر الأثري انتهت هناك.

أعاد نظراته إلى العجوز الذي كان ينظف تحفة فنية أثرية، مبتسمًا تلك الابتسامة العتيقة التي تحمل عمرًا من المعرفة، وفي تلك اللحظة رفع فانكا رأسه، فالتقت أعينهما.



تجمد ظلُّ وارويك عندما أدرك أنه ينظر إليه، إلى نفسه التي تراقب
الحلم من مكانٍ بعيد، ابتسم الثعلب وكأنه يؤكد له أنه يراه، ثم حدَّته
بصوت لا يصدر من فمه، بل من كلِّ شيء حوله:

«الرابطه لا تخطئ أيها الفتى».

فتح وارويك فمه، لكنه لم يملك القدرة على الرد، نهض فانكا،
واقترَب منه بخطوات صامتة تمامًا، وكأن الأرض تمتص وقعها، وتابع:
«لا تأتي الرابطه لتُرضي قلبك، بل لتنقذ روحك، تختار بدقه وتقدم
لك ما تحتاج، عوضًا عما تريد».

اقترب أكثر، وأشار بإصبعه نحو صدر وارويك، لم يلمسه، لكن
شيئًا في داخل وارويك اهتز:

«لكن الحقيقة التي لا تود الاعتراف بها، هي أن رفضك للرابطه
ليس رفضًا لتريشا نفسها، بل رفضٌ لخلاصك، فأنت تعرف منذ
البداية، أنك إن اقتربت، فلن تعود كما كنت».

انعكست كلمات فانكا التالية داخله كصدى، كصوت فأسٍ يضرب
الجليد:

«من يهرب من الألم، فلن يجد العلاج له أبدًا».



صمت بعدها، فتحدث وارويك أخيراً، بصوت بالكاد خرج منه:

«لكنها.. قد تحطمني».

أوماً فانكا، دون أن تغيب ابتسامته:

«كذلك هي الحقيقة؛ قد تحطمننا، لكنها لا تقتل يا وارويك، أما
الخوف؟ الخوف سيقتلك بكل تأكيد».

احتجّ أكثر:

«لكن كيारा.. رحلت، وتركت رفيقها».

كانت عينا فانكا رقيقتين بطبعهما، لكنها بدتا لوارويك أكثر رقة
حين قال:

«تبدأ الرابطة بعطاء من طرف واحد، ولا تدوم إلا إذا تحوّل ذلك
العطاء إلى تبادل، كيारा وجدت في رفيقها أماناً افتقدته في حياتها، ولن
يهدأ قلبها حتى يأتي اليوم الذي تصبح فيه مصدر أمان له أيضاً، أما
أليكس، فوجد في قربها عاطفة ظنّها منسية، لكن تلك العاطفة التي
وهبتها له لن تكتمل، إلا إذا عاد هو ليغذيها بها».



أمال رأسه جانبًا، وأكمل مفسرًا:

«ابتعادهما ليس انفصاليًا، وإنما اختبار».

صمت قليلًا، ثم همس بخفوت، ناظرًا إلى عيني وارويك مباشرة:

«الرابطة قد تبقيهما متصلين، ولكن إن أرادا البقاء معًا، فعليهما اختيار بعضهما في كل مرة، فما يختاره قلبك يبقيه عقلك».

ثم استدار ومشى، أراد وارويك أن يتبعه، أن يسأل، أن يفهم أكثر، لكن قدميه تجمّدتا، ولم يملك القدرة لقيادة هيئته الغريبة.

ولكن.. قبل أن يبتعد فانكا كثيرًا، توقف ورفع صوته مؤكدًا لوارويك ظنونه الأخيرة:

«لم تكن مجرد فراشة أيها الفتى، بل فردًا من عائلة».

تمدّد الظلام مرة أخرى، وغاص وعي وارويك إلى العمق، إلى ذنب لم يعد يستطيع الهروب منه.

ثَغْرَة المَوْتِ



وقفت أمبر وسط إحدى المساحات المنبسطة في غابة أبناء الغراب،
تتنفس بعمق الهواء المشبع برائحة الطين الرطب.

كانت السماء الرمادية تُظلل رؤيتها، إضافةً إلى الأغصان الغزيرة
التي لا تسمح بمرور الكثير من النور، ما أصاب غريزتها بالاضطراب.

وقف رو بجانبها منتظرًا وصول لانس، يشرح لها بهدوء:

«ستكون هذه الجلسة التدريبية اختبارًا واقعيًا لثباتك في المواجهات
الحقيقية».

همهمت متفهمة، ووقفت مترصدة حتى خرج لانس من بين
الأشجار بخطوات واثقة، عيناه الهادئتان تموّهان قسوته، وجسده
النحيل لا يعكس شراسته القتالية.

تفحصها وكأنه يزن قدراتها القتالية قبل البدء، فهمس رو بأذنها
محذرًا:

«لانس لا يتهاون في القتال، إن شعرتِ بعدم قدرتك على المتابعة،
قولي لي فورًا».



تقابلت عيناها بعيني لانس، ولمحت فيهما تعالیه، وكأنه لا يراها
كخصم له، ابتسمت له ابتسامة جانبية متحدية، وأجابت رو بثقة:
«لن أقول».

وقبل أن يتمكن من الرد؛ بدأ القتال دون إعلان، انطلق لانس
كطيف، تحركاته رشيقة كأن الهواء يحمل عنه وزنه، فواجهته أمبر
بسرعة مصاصي الدماء، تفادت ضرباته وردت عليه بسلسلة هجمات
متتالية تظهر قمرسها ونضوج قدراتها بعد التدريب المطول مع زي.

لكن لانس لم يكن يقاتل بيديه فقط، اختفى فجأة، فنظرت حولها
متأهبة لظهوره، لكنها لم تتوقع انقضاضه عليها من الأعلى.

رفعت رأسها عند سماع رفرقة جناحيه، وأدركت متأخرة، أن
الصوت لم يكن عشوائيًا، بل كان مقصودًا ومحسوبًا بدقة، ليجذب
انتباهها في اللحظة التي اختارها هو، فما إن نظرت فوقها؛ حتى انقضَّ
غارزًا مخالبه الصغيرة في عينيها.

استعاد شكله الآدمي في ومضة، وهبط خلفها بخفة، ثم هجم
عليها، استدارت وصدت الضربة في اللحظة الأخيرة، لكنه لم يمنحها
فرصة لالتقاط أنفاسها، وواصل ركلاته بعنف.



بدأت رؤيتها تستعيد وضوحها شيئاً فشيئاً، وتمكنت من تمييز هيئته، وما إن حاول توجيه ركلة جديدة حتى أمسكت بقدمه.

هَمَّت بجُرِّه منها، لكنه تحوّل فوراً إلى هيئة الغراب، متفلّتا من قبضتها بمرونة سريعة، مستفيداً من خفة الطيران والتلاشي في الهواء في آنٍ واحد، ثم ابتعد بمسافة آمنة قبل أن ينقض عليها مرة أخرى.

عانت في محاولات تتبعه، ومع الوقت بدأ لانس يُبطئ خطواته كذلك، ليراقب ردود فعلها، بينما كانت عيناها تستعيدان رؤيتها بشكل كامل.

سمعت جناحيه يعبران من فوقها، ولم ترفع رأسها هذه المرة، فقد فهمت أسلوبه القتالي، وعرفت أن الصوت ليس إلا تمهيداً لخدعة أخرى.

لذلك، حين بلغها وقع قدميه خلفها، استدارت بسرعة خاطفة، وأحكمت قبضتها في ردائه، لتسدّد له أخيراً ضربتها الأولى، بكلّ ما اختزنه من تركيز وغيظ.

لكنه باغتها وفعل قوة الزيروسكو، فانتشر الشعور كالسمّ:



تلاشت الحرارة من جسدها وتقهقرت إلى الأرض، شعرت بالبرد
ينفذ حتى نخاع عظمها، وفقدت عيناها الرؤية، ولم تعد أذناها تلتقطان
سوى الفراغ، وتجمدت أنفاسها.

الموت..

لم يكن الموت مجرد فكرة في تلك اللحظة، بل إحساسًا كاسحًا قادمًا
من داخلها، تباطأ خفق قلبها، ثم تلعثم، ثم كاد يصمت تمامًا.

أفاقت على صراخ رو الغاضب الذي اخترق ركود حواسها:

«هذا تدريب! لا تُعاملها كأنها في ساحة معركة!».

كانت رؤيتها لا تزال ضبابية، لكن الأصوات صارت أوضح،
وحين رفعت عينيها بصعوبة؛ رأت رو وقد دفع لانس بقوة وثبته
إلى جذع شجرة قريبة، قبضته مشدودة على ياقة ردائه، وقد رفعه عن
الأرض بذراعٍ متشنجة من شدة الانفعال.

لم يقاومه لانس، وأطفأ قدرته فورًا، لكن نظرتة الهادئة شددت انتباه
أمبر، وكأنه يقول بعينه:



(أنتَ من أردتها قوية، اتركها لتخوض الوجد).

انتقلت عيناه من رو إليها، وحين التقى بنظراتها؛ قرأ فيها الفضول
الذي لم تستوعبه في نفسها بعد.

ارتسمت ابتسامة جانبية على محياه، كمن أدرك أنها لن تقاوم الرغبة
في المحاولة، وتلك الابتسامة وحدها كانت كفيلة بأن تدفع أمبر لقمع
رغبتها في الاستكشاف.

استمر القتال بينهما، لم يمنحها وقتًا للتفكير، ولم يكن يهجم بشكل
مباشر، بل يختفي ويظهر من زوايا مختلفة، يتحرك بخفة الغراب الذي
يعرف غابته، بينما تضطر أمبر إلى الاعتماد على كل حواسها لتتبعه.

واجهت صعوبة لم تكن تتوقعها؛ فقد كان القتال ضد مصاص دماء
مثلها في ساحة ثلجية منبسطة أكثر وضوحًا، كانت الرؤية بلا عوائق،
والخطر يأتي من الأمام غالبًا، أما هنا في عمق الغابة، فكل شيء حي،
وكل شيء متغير، والأصوات تأتي من جميع الاتجاهات.

كانت الأشجار تستر هجومه، والهواء مشبعًا بروائح كثيرة تُنهك
حواسها، والأرض غير مستقرة وتخون قدميها عند أقل غفلة.



وكان لانس جزءاً من كل ذلك، وكأن الغابة أحد أسلحته، يتحرك كظل، ويعرف كل زاوية، بينما هي ما زالت تتعلم كيف تُنصت دون أن تتشتت.

وفي كل مرة تبدأ بالتأقلم على سرعته؛ كان يفعل قوة الزير وسكو فجأة، فتتجمد حواسها وتفقد التوازن، وتراجع متعثرة، وبعد ذلك، تنهض من جديد.

كرّر لانس بثّ الموت عدة مرات، وفي كل مرة كانت ترتبك وتقع ضحيتها، لكنها تنهض بعينين أكثر إصراراً من ذي قبل.

وفي المرة الأخيرة، وقفت قبل أن ينهي بثّه تماماً، وهاجمته بطريقة مفاجئة، لم تصبه، بل كان هدفها بعيداً عنها بعدة خطوات، لكن هجومها كان كافياً لإرباكه وتعثر قوته، فاضطرّ إلى الابتعاد لحظة.

التقطت أنفاسها وزمّت شفيتها بانزعاج من تكرار فشلها، رفعت يدها إليه ملوحة رغم الرعب الذي تزرعه فيها تلك الموهبة:

«مرة أخرى».



لم يجب، فكَرَّرت بنبرة أكثر حدة:

«استخدمها عليّ، ولا تتوقف هذه المرة حتى أطلب منك ذلك».

اعترض رو من مكانه بعدم تصديق:

«آمبر، لا تستعرضي شجاعتك، هذه القدرة تُستخدم كسلاح، لا

أداة تدريب».

لكنها لم تتراجع، تقدّمت خطوة نحو لانس، وعيناها لا تزالان

تحملان تحدّيها السابق:

«أريد معرفة حدودي».

أراد رو أن يصعّر، لكنه رأى في وجهها نظرة يعرفها جيدًا، فعلم أنها

لن تتراجع حتى تتغلب على تلك العقبة.

نظر لانس إليها طويلاً، وأدرك حينها أنها لا تحاول النجاة من قوته،

بل تحاول الاعتياد عليها، أن تحوّل الموت الوهمي إلى شيء مألوف، شيء

يمكنها كسره أو مقاومته.



أوماً متلهفًا لرؤية النتيجة، ثم وقف أمامها على بُعد خطوات قليلة، لكنه قبل أن يرسل قوته؛ همس بصوت يعلم أنها الوحيدة القادرة على سماعه:

«استمرار التعرض لهذه القوة قد يخدع دماغك ويجعله يظن أنك متّ فعلًا، وحينها قد ينطفئ جسدك إلى الأبد».

توسعت حدقتها في الوقت نفسه الذي بث فيه قوة الزيروسكو مجددًا.

الظلام، السكون، انقطاع الأصوات، لم تكن مجرد حواس تتعطل، بل شعور بالغرق في هوة لا فرار منها، عالم بلا اتجاه، بلا زمن.

لكنها قاومت، أغلقت عينيها وركّزت على الأرض، على الوقع الطفيف لأقدامه كلما تحرك، على التغير الخفيف في حركة الهواء عند اقترابه، على أي إشارة حية تعارض كذبة الموت.

وبالفعل، وجدتهم.

كان جسدها يترنّح، لكنها قاومت السقوط، وقاومت رغبة عقلها



في الاستسلام، ثم اندفعت بشكل خاطف، أحسَّت به دون أن تراه، فسددت لكمة قوية حيث توقَّعت أن يكون موقعه، وأخيراً، أصابته.

تراجع لانس خطوة، ثم ابتسم منبهراً، ألغى بث الموت، فعادت إليها الحواس دفعة واحدة هذه المرة، وثبتت أقدامها لتنفس ببطء وبثبات.

قال رو مذهولاً:

«كيف؟».

التفت إلى لانس متسائلاً:

«هل كنت تعلم أن هزيمة الموهبة ممكنة؟».

ارتفع حاجب قريبه وقال بنبرة لم تخلُ من الشناء:

«لا، لكن كلَّ قوةٍ تحمل ثغرةً تُوازِنها، ويبدو أن آمبر وجدت ثغرة الزيروسكو».

أوما لها في اعتراف صامت بالاحترام، لكنها لم تكثرث لمشاعره



تجاهها، بل أرادت الاستمرار، مدركة أن هذه مجرد بداية لتحقيق هدفها، للوصول إلى مرحلة جديدة من قدراتها، مرحلة لا تقودها الغريزة، بل الفهم، فهم نقاط الضعف، فهم المخاوف، وفهم الموت كذلك.

والأهم؛ فهم أن السيطرة لا تعني كبح القوة، بل توجيهها قبل أن تبتلع صاحبها.

أما رو، فراقب ابتسامتها وهي تتبادل النظرات مع لانس، كان هناك بريقٌ لم يره في عينيها من قبل، خليطٌ من انشَاء وانتصارٍ واكتشافٍ لذاتها.

وللحظة، شعر أن الهواء نفسه تغير، كما لو كان يحتفي بها، وأنها لم تعد تلك الفتاة التي كان يسعى إلى حمايتها.

كان سعيدًا برؤيتها تتحول إلى مقاتلة تُثبت وجودها أمام عينيها، غير أن ابتسامتها المتبادلة مع لانس تركت في صدره شيئًا ثقیلاً ولاذعًا في الوقت نفسه.

تلك المرارة التي عادت من الماضي وتأبى الاختفاء، صعدت إلى السطح مرة أخرى، وقررت تعذيبه مجددًا، وهز كيانه الذي كان بالكاد رَمَمَهُ.



تسلَّل الإحساس نفسه إلى قلبه، إحساس المنبوذ، الغريب عن المكان، الذي يُسمح له بالمشاهدة لا بالمشاركة، كحال التدريب أمامه.

أحسَّ أنه واقف على الهامش، كأنهما نسجا دائرة لا مكان له فيها، مجرد متطفِّل يراقب من الخارج، حضوره بلا فائدة، ولا يضيف شيئاً لانتصارها، بل يذكره فقط بأنه لم يكن السبب فيه.

ورغم أنها لم ينبذاه، فإن المشاعر القديمة برزت من قاع ذاكرته، مشاعر ظن أنه قد تغلب عليها، أنه تجاوزها، ولكنها عادت كما كانت، قاسية، باردة، وجارحة أكثر مما توقع.

عادت سخرية عشيرته السابقة لتتجسد في تلك اللحظة، النظرات الباردة التي اعتاد أن تُقصيه، الأكتاف التي كانت تُعرض عنه، المحادثات التي تدور حوله أثناء وجوده.

حاول تذكير نفسه بأن كلَّ ذلك من الماضي، وأنها لا تتجاهله عمداً، حاول العودة إلى الحاضر، لكن ابتسامتها للانس عوضاً عنه أشعرته بأنها تشاركه هو الانتصار.

وكان وقع تلك الفكرة أعمق من أيِّ نبذ شعر به في حياته، لأن



عشيرته لم تكن تعني له شيئاً، بينما كانت أمبر تعني له كل شيء، ولهذا السبب وحده، كانت نظراتها للانس -آنذاك- أقرب إلى طعنة في القلب.



وقف وارويك في البقعة نفسها التي اعتادا اللقاء فيها، كان الهواء ساكناً على نقيض قلبه، بينما امتدت الظلال من الأشجار كأصابع طويلة على الأرض شعر أنها تحاول الوصول إليه.

أتى قبل الموعد كعادته، ولكنه لم يتسلح هذه المرة بالغرور أو بالبرود، بل أتى بحيرة صامته لم يعهدها في نفسه، كان ينتظرها ويداه معقودتان خلفه، كتفاه منحنيان قليلاً، وعيناه تحدقان في نقطة غير واضحة بين الأشجار.

لم يعرف كيف يُصلح ما أفسده بعد، لم يعرف من أين يبدأ كذلك، لكنه بات يعلم أنه لا يريد أن تستمر الأمور كما هي الآن، فلم يعد قادراً على الابتعاد، بالرغم من أنه لم يتمكن من كبح خوفه بعد؛ ذاك الشيء المتأصل فيه، الذي يرفض القرب ويهاب الخسارة.



ظهر ظلُّها أولاً، ثم خرجت من بين الأشجار بخطى رشيقة، لم تكن ملاحظها جامدة وباردة كالمرات السابقة، بل بدت مرهقة من المشاعر المتخبطة، ومن شيء آخر يعلم أنها لن تشاركه معه.

اقتربت رويداً حتى أصبحت على بعد خطوتين منه، وعوضاً عن صفعه رفعت يدها ومدتها نحوه لتصافحه، الإشارة المعتادة التي كانت تفتح بينهما طقس الرابطة.

لكنه لم يصافحها، فذلك يعني نهاية الطقس وانصرافها، وقف متردداً لبرهة، حتى بدأت نظراتها المتعبة تتبدل إلى أخرى مرتابة، فتنهَّد مدركاً تأخره عن التصرف، وأخرج يده من خلف ظهره، ليقدّم لها تفاحة حمراء صغيرة.

جدّقت في التفاحة باستغراب، ثم انعقد حاجباها باشمئزاز واضح، رفعت عينيها إليه بنظرة طويلة مستفهمة، وحين طال صمته، قالت ببرود:

«تفاحة؟»

توترت ملاحظه، لكنه حاول أن يبدو ثابتاً، فامتنع عن قول أي شيء يكشفه، وبقيت يده والتفاحة معلقة بينهما، فهمت أنه يعتذر بلغته،



وأنه يظن أن هذه الهدية البسيطة ستكسر الجليد بينهما، كانت تعلم أنه لن يفهمها، ورغم أنها رأت فيه مجهود المحاولة، فإنه لم يكن الاعتذار الذي تريده، ولن تعيد تلك التفاحة فراشتها.

زفرت متأففة، ثم أخذت التفاحة من يده بتحفظ، وكأنها تتجنب لمسه، قلبتها بين يديها قائلة:

«لا أحب التفاح».

وضع يده في جيبه، ثم قال بصوت منخفض:

«لم أتوقع ذلك».

أخفت نبرته خيبته، لكن الرابطة أرسلتها إلى قلبها مباشرة، فنظرت إليه دون تعليق، تحاول فهم سبب تغير موقفه المفاجئ، وعندما شعر بفضولها، تغلّف باللهو مجددًا وقال محاولاً تشتيتها وتخفيف توتره:

«أنت غريبة، من لا يحب التفاح؟».

أمالت رأسها دون أن تنطق، فعلم أنه أخفق مجددًا، وخفض بصره إلى الأرض، كانت أفكاره تلف وتدور داخل رأسه، وكلّ واحدة تفرض حضورها ثم تنسحب فجأة، فلم يعلم على ماذا يستقر.



أعاد عينيه إليها بعد برهة، وسأل بابتسامة بدت لها مكسورة:

«ماذا تحيين إذن؟».

كان سؤاله عادياً، لكنه بدا صادقاً على نحو أربكها، أطالت النظر إليه مجدداً، وكأن التحديق سيجعل أفكاره ونواياه مرئية، ثم تنهّدت دون طاقة لما يجري، وزفرت:

«الفراولة».

مدّت يدها وضربت ظهر يده بطريقة خفيفة، لمسة رمزية تكفي لتفعيل طقس الرابطة المعتادة، شعرت بالراحة تسري، وبالسكينة تعود، ودون أن تقول شيئاً أدارت ظهرها وابتعدت.

أما وارويك، فبقي واقفاً في مكانه، يراقب ظهرها يختفي بين الأشجار، ثم حك رأسه بضياح، وحدث نفسه:

«الفراولة..».

ابتسم ابتسامة صغيرة باهتة، ولم يجلس على الجذع القديم هذه المرة، بل عاد إلى مكتبه فوراً، وأخرج ورقة صغيرة، ثم كتب فيها كلمة



واحدة:

«فراولة».

أنته الفكرة بطريقة عابرة، وصرفها في الوهلة الأولى، لكنه سرعان
ما عاود استدعاءها وأخذ يقلبها في رأسه ويحللها، وفي النهاية وجد
أنها قد تكون بداية جيدة لشيء ما، لم يعلم كيف سينفذها أو أين،
ولكنه قرّر أنه سيحاول.

ألم آخر



كانت أشعة الشمس تخرق النوافذ العالية لقصر ستوننج، وتُلقي
بخيوطها الذهبية على الأوراق المتناثرة فوق الطاولة.

وقف وارويك بملامح متجهمة، يراجع تقارير الأوضاع على
الحدود الجنوبية للمملكة، أوضاع لم تهدأ منذ انتقل السحرة إلى منشئهم
الأول، وكأن الأرض ترفض حضورهم بشتى الطرق.

فتح ديمريك الباب ودخل على عَجَل، وهو أحد الجنود القلائل
الذين يعملون بالقرب من وارويك، كان أصهب الشعر، ببشرة فاتحة
تكسرها ذرات النمش، وملامح ملفتة برجولتها الهادئة.

ثم قام بإبلاغ وارويك بتحقيق ما كان يقلقه ويشغل وقته خلال
الأشهر الأخيرة، حتى باتت لقاءاته مع تريشا قصيرة ومقتضبة، فلم
يكن قادرًا على التفكير بشيء آخر.

قال ديمريك لاهتًا:

«غابة موردن! الوحوش خرجت مجددًا، وهاجمت الآن قرية داليان
القريبة من حدودها، هناك إصابات وقتلى».



رفع وارويك عينيه فوراً، وبملامح متماسكة وصوت حادّ
كالسيف؛ وجه أوامره:

«أرسلوا الإنذار العام واستعدّوا، أنا قادم».

كانت السماء ملبّدة على الحدود الجنوبية، ولم تجد أشعة الشمس
معبراً لتخترق الغيوم من خلاله، تحرك وارويك برفقة وحدة من
المقاتلين النخبة عبر المسارات الضيقة، حتى أطراف القرية التي علا
منها الصراخ والدخان.

عندما وصلوا حدود داليان، وجدوا المشهد فوضوياً للغاية، المنازل
محترقة، الدماء على الأرض، والصرخات تتقاطع من كل الاتجاهات.

كانت هناك مجموعة من الجنود تتقاتل ضد مخلوقات بأجساد عارية
مشققة، أحدهم أطرافه العلوية ذات مخالب، وآخر فمه طويل مسنن،
يمتد من فكين بالكاد بقيا في مكانهما، آخر أنفه ممسوح وآذانه ممزقة.

كل وحش حمل شكلاً مختلفاً عن الآخر، لكنهم اشتركوا في شيء
واحد فقط، فجميعهم ذوو عيون حمراء تطفح بالجنون.



تتم وارويك مستنفرًا، وعيناه تراقبان المعركة أمامه:

«مسوخ أليسارك».

ثم اندفع إلى قلبها بلا تردد، يصد الضربات بدروع سحرية منيعة، ويوجه أوامره بفاعلية، اشتبك الجنود مستخدمين قواهم السحرية، تتكون في أيديهم ككرات متقدمة زرقاء، تحرق تلك الكائنات كلما لامست جزءًا من أجسادها المشوهة سلفًا.

امتدت المعركة لوقت طويل، ولم يكن التخلص من العدو أمرًا سهلاً، فقد كانت المسوخ أسرع مما تبدو عليه، وبعضها يزحف على الأرض بطريقة أشبه بالحشرات، ثم يندفع بقوة هائلة نحو أي هدف أمامه.

كان وارويك يقذف ضرباته بدقة، ويستخدم قدرته على التنقل في مباغتتهم من الخلف، وبالرغم من أن طاقته عنيقة، فإن أعداد الوحوش كبيرة، وموجات ظهورهم لا تتوقف.

في إحدى الجهات هاجم أحد الوحوش العملاقة عائلة محتمية بحائط متهالك، فصرخ الأب مستنجدًا، فيما الأم تحاول احتضان طفلتها بعيدًا عن المسوخ.



لاحظهم وارويك أولاً، فانتقل بسرعة عالية، ومزق بضربته ظهر المسخ الذي هوى بصرخة مدوية.

لكن، في اللحظة التي التفث فيها نحو العائلة ليطمئنهما، انتبه إلى تسلل وحش آخر من الظلال، صغير الحجم وأسرع بكثير.

صده وارويك قبل أن يندفع نحوهم، لكنه قاد خلفه مجموعة مسوخ آخرين، فانتقل بعض الجنود وانضموا إلى وارويك في قتالهم.

وجه وارويك جندياً لينقل العائلة إلى مكان آمن، لكن أصوات المعركة كانت أعلى من سمعهم جميعاً، وفي تلك اللحظة أفلتت الطفلة الصغيرة من بين يدي والدتها، وهرعت فزعة محاولة الابتعاد عن ذلك المشهد المخيف، فلحقها جندي بسرعة، لكن صرخته سرعان ما دوت، ومن بعدها صرخة الطفلة الصغيرة.

التفت وارويك ليراها تحاول الزحف مبتعدة عن وحشٍ ضخم، له رأس دب، وجسده آدمي مشوه مكسوٌ بالشعر الكثيف، فمه المفتوح يطلق زئيراً أجشاً، وفكّه المتسع يكشف صفوفاً من الأسنان البارزة من كل اتجاه، كأنها نبتت بلا نظام، وخُلقت للتمزيق لا للأكل.



أطلق وارويك ضربة تشكّلت على هيئة درعٍ سحريٍّ أزرق حول الفتاة، لكن الوحش قفز بقوة أكبر مما توقع، فعلق نصف جسده خارج الدرع، والنصف الآخر داخله، ثم رفع يده لينقضَّ عليها.

أدرك وارويك أن لا وقت للمناورة، فانتقل فوراً إلى داخل الدرع، ولف ذراعيه حولها لحمايتها، مستعداً لتلقي الإصابة عوضاً عنها.

انتظر وصول الألم، لكنه لم يأتِ، وعندما تأخر أكثر من اللازم؛ فتح عينيه ببطء، واستدار، فرأى جسداً مألوفاً يقف خلفه، فتاة بشعر أحمر، ترنحت إلى الوراء بعد أن استقبلت حدة المخالب التي كادت تصيبه.

أمسكها قبل أن تسقط، وصاح بأعين متسعة:

«تريشا!».

تقوَّس ظهرها من شدة الألم، ونزف الدم من عنقها حتى خاصرتها، لكنها أزاحت وارويك عنها بسرعة، ونهضت فوراً، ثم أخرجت من كفِّها خيوطاً من الضوء الأخضر الباهي، وضربت بها كما يفعل السوط، الكائن الذي هاجمها.



تراجع المخلوق مبتعداً، لكن خيوطها التفت حوله، وانقبضت عليه حتى بلغ الشد حدّه، فانفجر وهطلت دماؤه على ساحة القتال رذاذاً قانيّاً.

انطلقت بعدها تريشا نحو أقرب وحش، وقوتها تشتعل بعنف لم يصدقه وارويك، ظلّ يراقبها مكذباً عينيه، تريشا بجسدها الرفيع كورق الأشجار، كان قتالها سريعاً، حادّاً، وغاضباً، تخترق الصفوف بشراسة، وتتميل متفادياً ضربات السحرة برشاقة لا يحملها سوى الجن، ثم تطلق خيوطها كأسهم بين عيون الكائنات.

لكن الألم كان ينهشها، وجسدها يترنج مع كل خطوة، فانضم إليها وارويك، وقاتل إلى جانبها، توقفت قليلاً، وبدأت تقلّب راحتيها لتشكل دوامات هوائية هائجة، تشطر بها الوحوش إلى نصفين، حينها أطلق وارويك صواعقه وضرب بها، وإذا بها صواعقه تندمج مع دواماتها، وتتلاحم القوتان في منظر مهول.

كانت المسوخ تهاجم بأنيابها ومخالبها، وبعضها كان يقفز من الأشجار وينقض من الأعلى، إلا أن كلّ موجة أتت، قابلتها قوات الدفاع بهجمات متجددة، تابعين تريشا ووارويك، ومماثلين عزيمتهما.



بدأ العرق يتصبب، والأعين تتابع كل حركة، وانفجارات الضربات تومض كل حين، ولكن بعد ساعة من القتال المحموم، بدأت طاقة تريشا تضعف، ونفسها يضيق، والدم يلطخ سائر جسدها.

ظهر وحش من مكان بعيد، كان أطول من غيره، نصفه السفلي يشبه أقدام الحصان، ونصفه العلوي آدمي ذو فم جانبي وعينين غير متماثلتين.

قفز نحوها من مكانه، فتعثرت بعد أن أخر الإرهاق ردود أفعالها، لاحظ وارويك فوراً واستعد لقتله، إلا أن طاقته لم تتشكل بالسرعة المطلوبة بعد أن استنفدها هو الآخر.

فلم يجد إلا ما تبقى من قوته الجسدية، وركض بكل ما أوتي من سرعة، ليقتل الكائن عن قرب بشعلة اخترقت صدره بالكامل، التفّت حينها إلى تريشا، ليتجمد الدم في عروقه، ويتوقف قلبه عن النبض.

رآها مستلقية على الأرض، تلفها بقع الدماء المتناثرة في أرض المعركة، لكن لا شيء بحجم البقعة التي لوثت ثيابها الممزقة، فتسمّر في مكانه من الصدمة، يرى مكانها كل من فقدهم قبلها، تشوشت رؤيته، وخفت الأصوات من حوله، وظن أن ضباب الغابة اقتحم رئيته.



أنزل عينيه فإذا بالدم يتكثف على الأرض أسفلها، لاحظ السواد الذي يتمدد حول جروحها، فأدرك أنها مسمومة، وحينها فقط؛ عاد إليه وعيه.

انفجر قلبه كسدّ انهار، وصرخ مزججاً بقوة حتى كادت الأرض تهتز، وتحرّرت قوته الحقيقية، تلك التي حرص على كبعها خشية أن تُفسده كما أفسدت والده.

أما الآن، فلم يكثرث، قفز من فوق رؤوس المسوخ المتبقية، يحطم كلّ واحد بطلقة واحدة، توالى ضرباته بلا هوادة، وانتقلاته أسرع من أن تدركها الأعين، كان يتحرك وكأن لا شيء يمكنه أن يعوقه، ولا شيء يجروء على إيقافه.

راقبه الجنود ببهوت، لم يكن هناك ساحر لم يسمع بالأقاويل التي تتداول عنه، إلا أن ما يروونه أمامهم الآن قد تجاوز حدود تلك الإشاعات، التي تجاوزت بدورها حدود المنطق، وفي تلك اللحظة فقط أدركوا أنه ليس مجرد ساحر، بل طاقة من السحر الخام تمشي على الأرض.



وخلال دقائق، عمّ الصمت، واستردت غابة موردن هدوءها
المُخيف، بعدما امتلأت أرض ستوننج بأجساد وحوشها، فاندفع
وارويك نحو تريشا، وحملها بين ذراعيه بعناية، ثم انتقل عائداً إلى
قصره.

لم يسلمها للمعالجين، بل أخذها إلى جناحه الخاص، ومدّدها فوق
فراشه وهتف:

«تريشا!».

فتحت عينيها بوهن، ونقلت بصرها حولها ثم همست بصوت
مبحوح:

«أظن أن الجراح مسمومة، لكنني لا أستطيع علاجها الآن، فطاقتي
مستنزفة».

لكن خوفه منعه من أن يفهم مقصدها، فضغط على الجراح بكلتا
يديه لاهثاً، يصب ما بقي له من طاقة نحوها، لاحظت هي إرهاقه،
وعلمت أنه قد يقتل نفسه بتلك الطريقة، فلن يتحمل جسده أن يتجرد
من كل قطرة.



رفعت يدها بصعوبة، ولا مست يده قائلة:

«توقف، ستموت إن...».

قاطعها بحدة:

«غبية! لماذا تدخلت؟!».

رَقَّت عيناها ناظرةً إليه، ثم أغمضتها وهي تتمتم:

«أيها الأحق، آلامك تنضح من قلبك كلَّ شهر، أعلم أنك ساحر

متعجرف، ولكن...».

ابتسمت بشحوب:

«كيف لي أن أتركك لتقاسي ألماً آخر؟».

دمعت عيناها وخفق قلبه بقوة، ثم هزَّ رأسه ليعيد تركيزه على

جراحها، حينها لاحظ أن السواد لا يتراجع، شاهد من قبل هذا النوع

من السموم؛ كانت بطيئة وقاتلة، تتغلغل في الدم وتنتهي الأجساد من

الداخل.



ظَلَّتْ أفكاره تذهب وتعود بحلولٍ غير مجدية، حتى أدرك أن تريشا لم تفتح عينيها مجددًا، فقال هامسًا والخوف يغلف نبرته:

«تريشا؟».

لكنها لم تجبه، فتسللت إليه ذكرى موت أخويه، ورأى ملاحظهما الساكنة في وجهها الشاحب، ثم عادت إليه وجوه أخرى فقدها، باغته تلك الذكريات واحدة تلو الأخرى، وتكررت حتى جعلت أنفاسه قصيرة، وصوته يتشقق من الداخل:

«لا.. لا تموتي.. فليبقَ أحد..».

مثل خيط ضوء يخترق العتمة، اخترقت مشاعره وعيها وأعادتها إلى السطح، فتحت عينيها والتقت بعينيهِ الدامعتين، ورأته على حقيقته لأول مرة، رأت ما خلف القناع المتعالي والعاث، قلبًا وحيدًا خائفًا من مواجهة العالم وحده.

برقت عيناها بضوء باهت، نداء خفيٍّ لم تضطر إلى تحريك شفثيها لتنفيذه، ثم ابتسمت له ابتسامة ضعيفة لتطمئنّه، وخلال ثانيتين صدر صوت عميق من خلف وارويك أمرًا:

«ابتعد أيها الساحر».



كانت مشاعره عارمة، ولم يلاحظ ظهور هالة غريبة في جناحه حتى تلك اللحظة، التفت ليجد جنياً خلفه، شعره الأخضر الداكن طويل وناعم، مسده خلف أذنيه المستدقتين، وتركه لينسدل فوق صدره العاري، الذي كان موشومًا بخيوط ذهبية لامعة، لا يرتدي سوى بنطالٍ أبيض فضفاض، يبدو من الوهلة الأولى كثوب واسع.

انزاح وارويك عن طريقه، فتقدم الغريب بتمهّل وألقى نظرة سريعة إليها، مد يده فوقها، وعالجها دون أن يلمسها، تراجع السواد بعد لحظات، حتى اختفى تمامًا، لكن الجراح لم تندمل.

التفت مبتعدًا وقال بازدراء واضح:

«السم انتهى، عاجلي جراحك بنفسك».

رمقه وارويك بحاجب مرفوع، لكن الجنّي عاد قبل أن يسمع من الساحر أي شيء، فالتفت إلى تريشا، ليجدها غارقة في تعبها، مغلقة العينين، وتتنفس بصعوبة.

جلس إلى جوارها، وأمسك يدها ليبتّ من قوته إليها، بينما كانت يده الأخرى تعالج جراحها بصواعقه الخفيفة.



أرادت أن تبعد يده لتداوي نفسها، فقوة شفائها أقوى من خاصته،
لكنها لم تجد الطاقة الكافية حتى لرفع يدها.

قالت بثقل متقطع:

«توقف.. عن لـ..سي».

تجمدت حركته، لكن جراحه امتدَّت عبر الرابطة من كلِّ اتجاه، لم
ترد إطلاعه على الحقيقة، أرادت أن تخفي ذلك السر لتحمي نفسها،
غير أن طبيعتها الخنونة لم تحتمل أن تتركه يتألم، فتمتعت مفسرة:

«قوتك.. تقمع قوتي.. وتُلغيها».

تجهَّم لبرهة، ثم اتسعت عيناه مع الإدراك، فنهض وتراجع خطوة
إلى الوراء، لكن وعيها كان أسرع من قرارها، انزلق من بين أصابعها
قبل أن تتمكن من علاج جراحها.



جلس وارويك إلى جوار الفراش، يعالج جراحها ويضع الأعشاب
المسكنة ثم يعززها بقوته، كان جسده يعمل وحده، يتحرك بعادة
محفوظة، بمعزلٍ عن وعيه.



ترتجف يداه بين حين وآخر، ورغم أنه كان صامتاً؛ فإن نظراته كانت صاخبة، وعقله يعيد إليه كلماتها مراراً:

«كيف لي أن أتركك لتقاسي ألماً آخر؟».

جاءت لأنها رأته يتألم.. بهذه البساطة.

علم حينها، أن قلبه مهما قاوم فلن ينجو منها.

رفع عينيه إلى وجهها وتأملها بصمتٍ مشوب بالخوف، هذه الجنية الغامضة، التي تصفعه بالتواضع كلما اغترَّ، لا تبوح، ولا تطلب، لكنها تبث وحدثها في عمقه عبر الرابطة حتى يكاد يخنق بها.

أخذ يفكر فيما أخبرته به قبل فقدان وعيها، وبات الآن يفهم أنها لم تتهرب منه عبثاً، بل خافت من هشاشتها أمامه.

فالجن يمتلكون قوة مهولة كما تداولت الأساطير، لكن تريشا كانت عارية من كلِّ درع، معرضة للخطر منذ أول لقاء، ولذلك تمكن من مهاجمتها.

وحينها أيقن بالفعل، أنه كاد يقتلها في تلك اللحظة، فلم تملك



أمامه أي شيء لتحمي به نفسها، لكنه لم يفهم كيف غاصت داخل الشجرة ونقلته إلى مكان الثعلب، أو كيف استخدمت قوتها داخل الكهف وأخذت أله.

وعندما عجز عن رؤية إجابة أخذ يتساءل عن معنى هذه الرابطة، وما الذي تصنعه بهما؟

لكنه بعد تفكير قصير فهم مغزاها، فقد كانت بكل بساطة تحطم الحواجز الشخصية التي تحول بين الرفقاء المقدرين.

رأى ما فعلته بآليكس، كيف أسقطت بروده أمام كيara، وكشفت له عاطفة مستورة لم يعلم أنها متواجدة بداخله، ويبدو أنها الآن تكرر الأمر معه، وتجرد مشاعره أمام تريشا بخيط مباشر بين القلبين، لأنه لن يبوح بما في قلبه بملء إرادته بتاتاً.

تابع معالجة إصاباتها بينما عقله يدور في حلقة من الأسئلة:

ما سرُّ هذه الرابطة التي تسلب تريشا قوتها عند اقترابه؟

وما الذي يعنيه ذلك بالنسبة إليها؟



أتراها تخشى الضعف إلى هذا الحد، فسلبت الرابطة قوتها؟

أم أنها لا تعرف كيف تطلب المساعدة، فأحوجتها إليها؟

أم أنها بنّت متاريس منيعة، حتى باتت سجيتها، وأنت لتحررها؟

ولأول مرة، استشعر الخيط الذي يربطهما، ولم يهرب منه أو يقاتله، بل استسلم لقوته للحظة قصيرة، ووجد أنه لم ينفر منه أو يكرهه مثلما تخيل.

فسأل نفسه.. إن كان سيتمكن من احتواء كلّ ذلك في يوم ما، الرابطة، الخيط، وتريشا.

نَهْرٌ



في القاعة ذات الجدران العالية المقوّسة، والأعمدة المذهّبة،
والسقف المرصّع بشظايا البلّور الفيروزي، اجتمع القادة من جديد.

الشمس التي ارتفعت قبل وصولهم لم ترح حلقة الظلال التي
غشيت وجوههم، ولم يلطّف صفاء الجو مزاج من حضروا بعد أن
أنهكتهم الحوادث الأخيرة.

دخل وارويك متأخرًا بضع لحظات، كانت خطواته ثابتة وإن
كانت عيناه تحملان بعض الإرهاق، كمن لم يذق من النوم سوى ما
يكفيه للبقاء واقفًا.

التفت إليه أليكس برأسه فقط، وأوماً له، ثم عاد بنظره إلى الخريطة
الكبيرة المنبسطة فوق الطاولة المستديرة، كان وجهه أشد شحوبًا من
آخر لقاء لهما، والدوائر السوداء حول عينيه ازدادت حلكة، ما أنبأ
وارويك بأن صديقه لا يزال مهملاً لغذائه، لكنه مع ذلك حضر
ليساعده.

أثناء توجّه وارويك إلى مقعده، ربّت على كتف رو الجالس على
يمين أليكس، فنظر إليه بعينين مغمورتين بالقلق، ابتسم له وارويك،



ثم أوماً ليحييَ زي الذي وقف خلف ملكه يتأمل تضاريس الخريطة
بصمت.

قال أليكس بصوت هادئ، بعد أن تفقد جميع الأوراق على الطاولة:
«إذا صدقت تقارير الرصد، فكلُّ الهجمات الأخيرة وقعت في أيام
كانت السماء فيها ملبّدة بالغيوم بلا استثناء، وإن كان هذا التفصيل
مهماً، فستونهج تقف على حافة ورطة حقيقية».

نقل نظراته إلى وارويك الذي جلس للتو مضيقاً:

«إن كان انحسار الضوء أحد العوامل التي تشجّع المسوخ على
التحرُّك؛ فالشتاء المقبل سيمنحهم أرضاً أوسع، وزمناً أطول للهجوم».
تمت أحد القادة وهو يقلّب أوراقاً بين يديه:

«المشكلة أن بعضها ينسحب قبل أن يُقتل، كما لو أنها أتت لتختبر
قوتنا فقط، وإن صحّت هذه التوقعات، فنحن في ورطة أكبر، والهجوم
الكامل لم يأت بعد».

علّق أليكس وهو ينظر إلى القائد:

«هذا مخالف لطبيعة المسوخ المسعورة».



وافقه وارويك بنبرة ثقيلة:

«هذا ما كنا نعرفه عنهم، لكنني أظن أنهم يتطورون، جميع الأدلة تثبت أن ثمة عقلاً خلف هذه الحوادث».

تدخّل رو حينها مشيراً إلى أماكن الهجمات السابقة المحددة على الخريطة:

«إذن الوقت ليس في صالحنا، أصيبت ست قرى بالفعل، وقد يكون القادم أعظم».

قال أليكس بصوت خفيض عكس إرهابه:

«أقترح إقامة حاجز سحري حول الحدود المهددة، لن يردع مسوخ الغابة فقط، بل سيرصد كلّ من يقترب من المملكة».

تبادل بعض القادة النظرات، ثم قال أحدهم بهدوء حمل لمحات من الانزعاج:

«جميع قوى السحرة الآن مُسَخَّرة لترميم الأجزاء المدمرة من المملكة وتطهير الأنقاض، لا مجال لتقسيم التركيز حالياً».



علق رو باستنكار:

«الترميم قد ينتظر، لكن الأرواح المهذرة لا يمكن إرجاعها!».

ساد الصمت للحظة، حتى قال زي بصوت غليظ، ما جعل الجميع يلتفتون إليه:

«فرق حراسة...».

أشار إلى الحد المشترك بين المملكة والغابة موضحًا:

«نُفَعِّل خطوط الحراسة شمال الغابة، وننشر فرقًا على بعد ثابت من الحدود، هكذا نؤمن الوقت اللازم حتى صنع الحاجز».

أوما أليكس موافقًا:

«سنزودكم بحرّاس من إيماتيروس لتأمين الحدود حتى انتهاء الترميم، وبعدها يُعاد النظر في الحاجز السحري».

تردد وارويك في قبول مساعدة إضافية من أليكس، فقد زوده مسبقًا بأيدي عاملة لأعمال الترميم، لكنه لم يكن في موضع يسمح له



بالرفض، لذا بدأ بالتخطيط موجَّهاً حديثه لأحد القادة:

«باشر العمل مع زي، قسِّم جدول وأماكن انتشار الحراس وفق المسارات الأكثر عرضة للخطر، ووافني بالتقارير يوميًا».

تحرَّكت عينا رو فوق الخريطة أثناء تبادل القادة التعليقات بأصوات هادئة وحازمة، حتى أتنه الفكرة، فرفع نظره بسرعة وقال:

«ماذا لو أضفنا صفًا من الكشَّافات العالية التي تحاكي ضوء الشمس على الحدود؟».

توقفت الأحاديث، وانطلقت الأنظار نحوه في تساؤل صامت، فتابع بصوت واثق:

«مسوخ موردين اعتادت العيش في الظلمة، فالغابة تحجب عنها الضوء الطبيعي، لا أزعهم أن الإضاءة ستردعهم تمامًا، لكنها قد تُربكهم وتبطئ اندفاعهم، وربما تكشف تحركاتهم المبكرة».

عقد أحد القادة حاجبيه، وقال بنبرة مشككة:

«وما الذي يجعلك تظن ذلك؟ لا توجد تقارير واضحة حول سلوكياتهم تحت الإضاءة».



ابتسم رو ابتسامة خفيفة، وأجاب بلطفه المعتاد:

«هل نسيت أنني من المتغيّرين؟».

توقّف لحظة، ناظرًا إلى موردن في الخريطة، ثم عادت نبرته الجادة:

«حين أخبرت عمي سايفر برغبتني في إرسال أمبر إلى الغابة، قال لي إن الظلمة التي في داخل أمبر ما زالت حديثة، ولا ينبغي أن أعرضها لظلمة أعمق، ما يوحي بأن غابة موردن ليست مظلمة فحسب بالمعنى الحرفي، بل تحمل طابعًا روحانيًا يشوّه من يطيل المكوث فيها، لقد تغيّرت الغابة بطبيعة قاطنيها، وتكيّفت مع المسوخ حتى غدت امتدادًا لهم».

ارتفعت بعض الحواجب بدهشة حول الطاولة، فاختم كلامه:

«لست واثقًا، لكن إن كانت الظلمة منبعهم وملاذهم، فقد يكون الضوء الحادّ نقيضًا يؤذيهم أو على الأقل يُربكهم، الكشّافات لن تكون حلًّا نهائيًّا، لكنها قد تمنحنا الأفضلية، ولو مؤقتًا».

تبادل القادة النظرات بين القناعة والتردد، فيما مال وارويك إلى الأمام قائلاً:

«إذن، نظريتك تفيد بأن الضوء ينفرهم، إن كانت صحيحة؛



فهي الحل الأمثل دون خسائر، وإن كانت خاطئة؛ فلن يمنع الضوء هجومهم، لكنه سيمنح الحراس أفضلية الرؤية، ويكبح المباغثات».

أوما القائد الذي شكك في اقتراح رو سابقاً، وقال موافقاً:

«فكرة قابلة للتنفيذ، ولا تستنزف الموارد السحرية، الأمر يستحق التجربة».

دوّن القادة بعض الملاحظات التي زوّدهم بها زي، بينما ظلّ رو يحدّق في الخريطة، وكأنه يرى ظلمة الغابة نفسها تتمدد عبر الخطوط المرسومة.

لكنه لم يكن وحده مشغول البال، بل كان وارويك أيضاً حاضراً وغائباً في الوقت نفسه، ذكرى من الشعر الأحمر تثقل صدره.

وحين انتهى الاجتماع، وودع أصدقاءه وشكرهم على المساعدة، عاد إلى جناحه دون أن ينتقل، وأخذ يمشي بين ممرات قصره عاجية اللون.

تسرّب ضوء الشمس ذهبياً عبر النوافذ التي مرّ بجانبها، وانعكس



وهجه على المكان حتى أنار كل زاوية، ليضفي الدفء على جسده
البارد.

كانت خطواته خفيفة في أحد الممرات، وهو يتخيلها فوق فراشه،
ثم تثقل في عمرات أخرى، مدركاً أنه لا يملك تبريراً لدموعه التي
ذرفها أمامها.

فتح الباب بتأنٍ، فقابله السكون، لا هالة في الهواء، لا أثر لدماثها
على السرير، ولا ورقة شكر تركت بشكل سريع، وكأنها مسحت
حضورها بالكامل.

مشط المكان بعينه، ثم دخل إلى الجناح الخالي، رفَّ في صدره
إحساس مبهم، خليط مربك بين الارتياح والخيبة، فوقف في الوسط
كشخص تائه، ثم حرَّك شفثيه دون صوت:

«ذهبت».

اقترب من الفراش المعدّ، ونظر إلى الوسادة التي كان رأسها يستند
عليها، وهناك رأى شيئاً طيِّة ناعمة على الريش، لكنها لم تكن مجرد طيِّة
بالنسبة إليه، بل أكثر من ذلك بكثير، كانت ذكرى وإثبات لوجودها
السابق.



جلس على طرف الفراش، وأسند رأسه بين يديه، جزء منه يشعر بالخيانة، فبعدما أنقذها وأراها مخاوفه، تركته دون كلمة أو وداع، انهارت روحه أمامها، ورأت شيئاً لم يُظهره أمام أقرب الناس إليه، كشف لها انكساره، وهو الذي لم يكشفه لأحد.

سأل نفسه:

(ألهذه الدرجة أزعجتها رؤيته في ضعفه؟ هل خافت منه مجدداً، أم اشمأزت لحقيقته؟).

سحب نفساً عميقاً، قبل أن ينهض، جزء آخر في قلبه تنفساً لرحيلها، لأنها لم تكن هناك لتراه بعد ما حدث، لئلا يضطر إلى شرح ما لا يُشرح، لتبرير هشاشته، لتقويم كتفيه كأن شيئاً لم يكن.

وبعد تلك الراحة المؤقتة؛ بدأ هدف جديد يتشكّل في أعماقه، عزيمة وقودها الرابطة أشعت بداخله، وطردت الظلال عن حقيقة أنه لن يبتعد عنها، ولن يصدّها مجدداً.

أدرك يقيناً أنها لم تكن كأي امرأة عبرت مساراته، لم تخترها الرابطة صدفة، بل كانت مرآة يرى فيها أجزائه التي لم يعرف أنها مفقودة.



بدأ عقله يعيد إليه شريطاً خاصاً باسمها، يريه ضحكتها، غضبها،
الصدمة التي لمعت في عينيها حين بكى أمامها، كل شيء متعلق بها وما
زال عالقاً في ذهنه.

قال محدثاً نفسه:

«لن أتركك تفلتين بسهولة».

ثم خرج من جناحه بعدها دون أن يُغلق الباب خلفه، كأنه يتأمل
عودة مفاجئة، لكن الشهر مضى، ولم ير عينيها الخضراوين حتى اللقاء
المعتاد.

ولذلك أخذت قراراته منحى متطرفاً يقودها اليأس.



بداية خجولة



مضت الأيام والأسابيع، حتى وجد وارويك نفسه ينتظرها على
الجدع نفسه، يجلس في صمت وهو يحدّق في الأرض، ولا شيء في
مظهره يوحي بالعجلة، لكنه كان يتنفس بهدوء ليعيد انضباط قلبه
المرتبك.

سمع صوت خطواتٍ خفيفة على الأوراق اليابسة، فرفع رأسه دون
أن يلتفت، لم يكن بحاجة إلى رؤيتها كي يعرفها، فقد بات حضورها
مألوفًا إلى درجة مرهقة، كفكرة تقتحم رأسه ولا يستطيع طردها رغم
كلّ المحاولات.

وقفت تريشا على بعد خطوات، كأنها تزِن مشاعرها قبل أن تتقدم
بها نحوه، وقلبها يخوض جدًّا لم يُحسم بعد، متردّدًا بين التعاطف
والحذر.

لم تأتِ اليوم بسهولة، فهي لم تنس أيا مما حدث بينهما منذ اللقاء
الأول وحتى الآن، تلك القسوة التي تعاود الظهور كلما تغلبت عليه
مشاعره، الصدُّ البارد، وكلماته التي لا تنسجم مع نظراته.

ولكنها في الوقت نفسه، لم تستطع تجاهل الألم الذي كان يسكن
عينيه كلما التقتها، تلك الوحدة التي يعرفها قلبها جيدًا.



وقفت هناك تراقبه دون أن تقول شيئاً، ثم اقتربت على مهل، وجلست إلى جواره على الجذع دون أن تلامسه وتنتهي الطقس، دون أن تلتقي نظراتهما، وبالرغم من أن المسافة التي فصلت بينهما قصيرة؛ فإنها حملت كل ما لم يُقل.

مدّ يده دون كلام وقدّم لها سلة صغيرة، مغطاة بورقة قماشية بيضاء، حدّق بها لبرهة، ثم تناولتها منه بتحفظ، وعندما رفعت القماشة؛ وجدت حبات فراولة طازجة ونضرة، كأنها قُطفت للتو.

رفعت حاجبها بدهشة، ثم نظرت إليه قبل أن تعود عيناها إلى الفاكهة مجدداً، وقالت أخيراً بابتسامة مترددة:

«فراولة؟».

أوماً دون إجابة، فأضافت بارتباك:

«شكراً».

هزّ كتفيه كأن الأمر عاديٌّ للغاية، لكن الرابطة نقلت ما ظن أن صمته سيخفيه، افتتانه المكتوم واضطرابه العذب، ولهفته الخفية لما قد يصدر منها.



وعلى الطرف الآخر من الخيط، التزمت تريشا الصمت أيضاً،
تحاول ألا تُظهر أنها شعرت بكل ذلك.

ظلَّ ينظر إليها مترقبًا، كأن رأيها في تلك الفاكهة سيحسم شيئاً مهماً،
استجمعت نفسها والتقطت إحداها وأخذت منها قسمة صغيرة.

في اللحظة التي تذوّقت فيها الطعم انفرجت أساريرها، وأنت
الفراولة التي بيدها بسرعة، ثم التفتت لتجد في عينيه انتظاراً متوترًا
لحكمها النهائي.

ضحكت ضحكة خافتة صادقة، ورفعت فراولة ثانية قائلة:
«ممتازة، لم أتذوّق فراولة بهذه اللذة منذ زمن، كيف وجدت هذا
النوع؟».

لمعت عينه وارتفع حاجباه قليلاً، وعلى شفثيه شبح ابتسامة لم
يسمح لها بالظهور، ثم نظر أمامه متظاهراً بعدم الاهتمام، وكأن سعادته
وارتياحه لن يصلا إليها دون إذنه سلفاً.

تحدّث أخيراً، وفي نبرته مزاح خفيف:



«لديّ مصادرِي الخاصة».

التفتت إليه مجددًا، تحاول دراسة ملامحه، فهناك شيء ما فيها يهتزُّ
كلما أزاح قناعه القاسي، وقد سمعت الآن في نبرته تلك الطرافة التي
لا يُظهرها معها إلا لمامًا.

ابتسمت دون قول شيء، لكن طيف المראה كان قد عبر قلبها، فلم
تعد تعرف كيف تتلقى هذا الوجه منه، الوجه الذي يُسقط حذرَها
بسهولة، ولكنها رغم الحذر تآقت إلى المزيد من ذلك اللهو الخفيف.

أطرقت رأسها وثبتت نظراتها إلى السلة التي بين يديها، وراحت
تأملها، تفكرُّ بدهشة كيف تذكّر تعليقها عن الفراولة، وقد صدر منها
في محادثة عابرة، وبالكاد علقت في ذاكرتها.

هدأ الجو بينهما تدريجيًا، ومنحت تلك البادرة الصغيرة للغاية
متنفسًا للتوتر المتزايد بينهما، مضت اللحظات في صمت، ثم تنحّض
وقال بصوت ثابت:

«أنا آسف، على الفراشة».



رفعت عينيها نحوه، لم تتوقع اعتذاره، لكنها سمعت في نبرته
الصدق، والاعتراف.. وكأنه لا يتوقع غفرانها، لكنه يقرُّ بذنبه.

أضاف بعد لحظة:

«وشكرًا.. لأنك أنقذتني.. ثم دافعتِ عن شعبي».

ابتسمت وهزّت رأسها بخفة:

«لا داعي لذلك».

ثم قالت وهي تضع بقايا الفراولة في يدها:

«كما أنك أنقذتني بعدها».

ضحكت برقة، تبحث عن مخرج يخفف ثقل اللحظة:

«فشكرًا لك أيضًا».

أوماً بابتسامة:

«أظن أننا متعادلان».



أومأت موافقة، وسكن الحديث بعدها ليعود الصمت، لكنه لم يكن خائفًا كالسابق، بل أشبه بالهدوء الذي يلي انقضاء العاصفة.

لكن ذهن وارويك لم يسكن، كان لا يزال محملاً بسؤال واحد لم يجد له الشجاعة، نظر إليها من زاوية عينه مترددًا، ثم سأل بصوت خافت:

«ذلك الجنّي، الذي عاجلك من السم، هل هو.. صديقك؟ أو..».

توقفت الكلمات على شفّتيه، كأنها خافت أن تُكمل طريقًا لا رجعة له، كلمات قد تزرع في قلبه شيئًا لن يعرف كيف يتعامل معه.

تمتت بشروء:

«لا، مجرد مرسل».

وعندما رأت الحيرة في عينيه، أضافت بصوت أكثر وضوحًا وهي تعبث بأطراف شعرها:

«طلبت المساعدة من صديقة لي في المملكة، وهي من أرسلته».



أوما ولم يُعلّق، شيء ما في صدره ارتاح قليلاً، وعادت السكينة لتسود، هدنة بين قلبين يحاولان فهم بعضهما البعض.

لم يلتفت أحدهما إلى الآخر بعدها، فكلُّ واحد غارق في أفكاره، في الله وذاكرته، لكن ما من يد امتدت لتكمل طقوس الرابطة، وما من حركة صغيرة تربط هذا اللقاء بها سبقه من عادات، وكأن كليهما ينتظر الآخر ليبدأ.

كان في الهواء شيء مختلف، كأن الاحتمال لشيء أكبر بات موجوداً، لكن الوقت لم يحن بعد، ففي أعماق وارويك، كان الصراع محتدماً بين الرغبة في الاقتراب، والخوف من دفعها له.

أما في قلب تريشا، فكان هناك تردد مبني على صدمات لم تُشفَ بعد، وخوف من فتح باب لن تعرف كيف تغلقه.

كان قلبها يئن تعباً، يحمل أعباءً لا يستطيع الإفصاح عنها، يود الاستسلام للرابطة، والميل نحوه، لكنه كان واثقاً أن وارويك لن يقبل بقدمها كسظايا، لن يقبل بالنصف.

ورغم كلّ التردد والعوائق؛ جلسا هناك، كما لو أن الصمت صار



لغتهما الثالثة، أو أن البقعة التي تجمعهما كلّ شهر، باتت أكثر أمانًا من كلّ مكان آخر.

كان الهدوء دافئًا وخاليًا من التكلّف، فرفعت نظرها إليه بعد لحظات، وسألت باهتمام:

«كيف هو الوضع عند الحدود الآن؟».

أزاح وارويك بصره عن الأشجار المقابلة، وردّ متنهّدًا:

«الوضع متوتر، نخطط لإقامة حاجز سحري، لكن لا موارد حالية، السحرة مشغولون بترميم المملكة، ولا نملك إلا الحراسة والرصد».

ظلت تحدّق فيه دون تعبير، حتى أدرك أنه شاركها الكثير من المعلومات السرية، فلعن الرابطة التي تفقده حذره، وقبل أن يتمكن من قول شيء يتدارك به ما قيل سلفًا؛ قالت فجأة بنبرة أقرب إلى القرار منها إلى العرض:

«أستطيع أن أصنع حاجزًا لكم».

استدار نحوها بكامل جسده، وفي عينيه شيء بين التعجب والريبة،



لم يتكلم فوراً، وبقي ينظر إليها فاحصاً حتى تغلب فضوله:

«ولماذا تفعلين ذلك؟».

ردّت وهي تقلّد نبرته المغرورة بتهكّم خفيف:

«لكيلا أضطر إلى إنقاذك في كلّ مرة».

ظهرت على وجهه ابتسامة جانبية، لكنها لم تخل من الحذر، فسأل:

«ومملكته؟ ألن تعاقبك على تدخلك في شؤوننا؟».

هزّت رأسها بالنفي، وارتسمت على شفّتها ابتسامة مريّة لم تصل إلى عينيها، وكأنّ الجواب يحمل في طياته جراحاً مفتوحة لا تريد الخوض فيها، لكن وارويك التقط الإشارة ولم يترك الأمر.

استقام في جلسته، وصار صوته أكثر جدية، يحمل طيفاً من الإدانة:

«إذن، مملكة الجن حقاً لم تعد مسألة، هل هم من محرّكون المسوخ؟ هل يخططون للسيطرة على كامل أراضي أسكونزول؟».

أجفلت تريشا ولم تمهله لحظة ليكمل تهمة، وقالت بانفعالٍ دفاعي:



«لا تكن غيبًا! لو أرادت ماجيسيا السيطرة؛ لما أرسلت مسوخًا مشوّهة تتعثر بين القرى، كنا سنحضر بأنفسنا، وعندها لن نستطيع أحد الوقوف في وجهنا».

كانت كلماتها منطقية، فارتخت عضلاته تدريجيًا، وعاد صوته هادئًا، إلا أنه ضغط على كلماته:

«لم تكن الهجمات منكم؟».

أشاحت بوجهها مجيبة:

«لو كانت كذلك لما أنقذتك، تلك ستكون خيان..».

انكسرت نبرتها وكأن الكلمة رفضت الخروج، وتجلّى على وجهها شيءٌ هشّ، لحظة ضعف خاطفة انكشفت لا إراديًا.

حاولت أن تستعيد تماسكها، لكن عينيه كانتا قد قرأتا ما عبر، وقلبه شعر بالاضطراب المرسل من الخيط بينهما، لم يقل شيئًا لعدم تمكنه من ترجمة ما حصل، لكنه أكمل الكلمة عنها بهدوء:

«ستكون خيانة؟».



خافت أنه سيكتشف الأمر كله، فتداركت نفسها سريعاً، وقالت
بنبرة حاسمة وهي تنهض واقفة:

«سأتي في منتصف الأسبوع لصنع الحاجز، حسناً؟».

استدارت دون أن تنتظر رده، وانسحبت بخطى متعجلة، كما لو
كانت تهرب من شيء أكبر، لكنها لم تبتعد كثيراً، فبعد بضع خطوات،
توقفت فجأة وقد تذكرت شيئاً مهماً، ثم استدارت بزواية حادة
وعادت نحوه.

كانت تعابيرها منغلقة، وحواجزها عادت لمكانها، وقفت أمامه
ورفعت يدها بصمت، لتكمل طقوس الرابطة التي نسيها تماماً.

رمش وارويك ببطء، في حيرة من كل ما يجري، نظر إلى يدها
المتدة، وإلى عينيها التي لم تفسر شيئاً، ثم تجهّمت ملاحه وهو يمد
يده بتردد واضح، يحاول فهم ما أدى إلى هذا الارتباك، دون أن يجد
أي إجابة منطقية.

أما هي، فأمسكت يده بسرعة، وأتمت الطقوس في لحظة خاطفة،
وما إن انتهت، حتى أفلتته ورحلت هاربة كعادتها، دون أن تنظر
خلفها.



ظل وارويك في مكانه، يحدّق في يده التي لا تزال ممدودة، وحرارة
يدها ما زالت تغلف جلده، ثم أرخاها بتؤدة، ونظر إلى الطريق الذي
سلكته وهي تغادر.

بدأ في داخله شيء يتشكّل، يقين أن شيئاً ما يحدث، بل شيء كبير
ينهكها ويثقل حياتها، ومهما حاولت أن تخفيه بابتسامة، أو بتهكّم، أو
حتى بالطقوس المألوفة، إلا أن الحقيقة لا تزال تومض في عينيها.

بدأت زوايا أفكاره تتحرك وتتبدل، وغير الخوف مساره، فلم يعد
ينبع من اقترابه منها، بل من المسافة التي ترسمها أمامه وتبقيه عن
الوصول إليها.

فقرر تنفيذ آخر خطوة من الخطة التي كان يرسمها طوال الشهر
الماضي، ولم يعد متردداً من اتخاذ ذلك القرار.

روح ناعمة



كان وارويك مازال في الجناح الإداري، يتفقد بعض تقارير الحراسة الأولية، حين دخل ديمريك، ووقف أمامه بتحية مرتبكة، قائلاً:

«سيدي، هناك جنية عند حدود المملكة الجنوبية، تُجري طقوساً غريبة، وترسم رموزاً بالأحجار على الأرض».

رفع وارويك رأسه بسرعة، واختفت ملامح الجدية من وجهه فجأة، لتحلّ محلّها لمحة توتر، تتبعها شرارة حماس.

«هل شعرها أحمر طويل؟».

«نعم، سيدي».

نهض وارويك من مكانه وانطلق بخطى واسعة نحو الخارج، ودون أن ينبس بكلمة، اختفى منتقلاً إلى مكانها، بينما ظلّ ديمريك يحدّق فيه مشدوهاً.







عند مشارف غابة موردن، كانت تريشا قد بدأت مهمتها، منحنية على الأرض لتتفقد تموضع بعض الحجارة بعناية شديدة، يدها اليسرى مبسوطة أمامها وينبعث منها وميض أخضر متلألئ، واليمنى تتحرك بخفة فوق العشب، ترسم رموزًا حجرية بلغة الجن، بينما يتشكل الوميض الأخضر فوق يدها ممائلًا الرمز الذي صنعه.

كان التعب بادياً على وجهها رغم تركيزها، وعيناها مطفأتان وكأنها فقدت رغبة المقاومة، راقبها وارويك من خلف الأشجار القريبة لثوانٍ طويلة، دون أن يصدر صوتاً.

رأها تتجههم، تزفر بامتعاض، ثم تعيد تشكيل الحجارة، كما لو كانت تُخطئ، فتمحو وتعيد المحاولة، ورغم الفشل والتكرار، لم تبدُ غاضبة في أي مرة، وإنما مرهقة أكثر من اللازم.

ابتسم من بعيد وهو يهزُّ رأسه لحاجبيها المعقودين، ثم اقترب بخطوات متعمدة، قاصداً أن يضرب الأرض بقوة، ليحدث القليل من الضجيج حتى تسمعه.



رفعت رأسها وتوقفت عن العمل للحظة عندما رآته، ثم ظهر
الحذر على وجهها، فلم تعلم بعد إن كان هذا اللقاء سيسرُّها أم يرهقها
أكثر.

أنزل عينيه إلى يدها التي تحفر حُفراً صغيرة لتثبت الأحجار داخلها،
حتى لا تحركها الرياح، وقال بنبرته العابثة المعتادة، ويداه خلف ظهره:
«ظننتكِ قادرة على التواري في أعماق الأرض، دون الاضطرار إلى
حفرها».

رمقته بنظرة جانبية لسخافة تعليقه، ثم عادت إلى عملها، وقالت
محاولةً أن تصرفه عنها:
«أنا أعمل يا وارويك».

كادت تتعثر خطواته عندما سمع اسمه من بين شفّتيها، لكنه تدارك
نفسه سريعاً، دون أن يعلم أن الرابطة، رغم رخوتها في تلك اللحظة،
تنقل المشاعر كما يحلو لها، وكأنها تعتمد العبث بقلبيها.

اقترب أكثر، وانحنى قليلاً لينظر إلى عينيها، حاول أن يبدو مماًزحاً،
لكن نبرته نقلت الحقيقة:



«أعلم أنكِ تعملين، ولكن.. هل تأكلين؟ تنامين؟ أو تتنفسين من وقت لآخر؟».

ارتجفت أنفاسها للحظة، فقد كانت أسئلته البسيطة المفاجئة تلامس شيئاً في أعماقها، ودائماً ما تلجج دواخلها، لكنها كرهت تمكُّنه من فعل ذلك بسهولة في كلِّ مرة، ولذلك لم تُحب، وتظاهرت بعدم الاكتراث، مواصلةً عملها.

ثم قالت مستطردة:

«ألا يفترض أن تكون مشغولاً؟».

مرَّر أصابعه في شعره دافعاً إياه إلى الخلف، وكذب بلا تردد:

«على العكس تماماً، كنت أشعر بالملل، فقلت لم لا أخرج وأرى من يزرع في أرضي طقوساً غريبة».

رفعت حاجبها دون أن تُجادله، كانت تعلم أنه يحاول إخراج أي ردة فعل منها، وجزءٌ صغيرٌ منها ودَّ لو أنها تترك حذرهما وتساور ألعابه، لكنها وقعت في فخِّه عدة مرات، وخافت من تقلبات مزاجه التي تنتهي بكسرها.



لاحظ تحفظها وتردُّدها، ففهم أن الأسئلة المباشرة عن حياتها لن تأتي بنتيجة، كانت لديه خطة بديلة، خطة جاهزة للتنفيذ، لكنه لم يجبِّد استخدامها، لذا كان يحاول معها بشتى الطرق قبل أن يصل إلى نهاية ذلك المطاف.

أنته فكرة مباغتة، فغير مسار الحديث فجأة، وبدأ يقول:

«أنا أكره الحليب، أكرهه منذ طفولتي، كانوا يلاحقونني في ممرات مقر العشيرة بكوب ساخن، وأنا أهرب منه كأنه سُم، بل كنت أختبئ في الخزائن طوال اليوم لكيلا أُجبر على شربه».

نظرت نحوه باستغراب، غير مستوعبة كيف قفز إلى ذلك الموضوع فجأة، أما هو فكان يظن أن الجدار سينكسر بالمبادرة، وأنها ستقترب إن فهمت أنه ليس بعيداً عنها كما تتخيل، لكنه ما إن بدأ، حتى استرسل دون شعور، وكأنه يُحدث نفسه:

«لديّ ندبة صغيرة على كتفي من قطة حاولت أن تسرق منِّي عنباً ذات مساء، لا تسألني كيف أو لماذا بقيت الندبة رغم العلاج والسحر، فأنا نفسي لا أعلم، لذلك، القلط تربكني بعض الشيء، رغم أجسادها الصغيرة».



أخففت بصرها متابعةً عملها، غير متأكدة إن كان يهذي أم يُسليها، لكنه استوقفها عندما جلس على الصخرة قُربها، واضعاً ذراعه على ركبته، وأردف بنبرة وادعة فيها مسحة الحنين:

«كنت أظن أنني سأمتهن الزراعة، وأتزوج فتاةً بسيطة ذات ضحكة واسعة، لكنني أصبحت أقوى إخوتي، فانتهى بي الأمر مقاتلاً، والآن أقود مملكة كاملة».

ابتسم بخيبة أمل:

«مثير للشفقة، أليس كذلك؟».

التفت إليها بشرود ووجد أنها تحدّق به، فاتسعت عيناه مدركاً مقدار ما أفصح عنه، ادّعت أنها مشتتة، ونظرت إلى الأرض تحاول إخفاء اضطرابها، لكن صوتها خرج بغير ثبات:

«أنا مشغولة».

حدّق بها للحظات، ثم أوماً دون أن يُعلّق، ورغم شعوره بصدها فإنه لم يُغادر، ولم يُكثر من الكلام مجدداً أيضاً، فساد صمت ثقيل بينهما.



جلس يراقبها تعمل، تنتقل من بقعة إلى أخرى على الحدود الجنوبية، وترص الأحجار، وتشكل قوتها فوق يدها بنفس الرمز، ثم تركه ليطفو فوق تلك البقعة عند انتهائها.

وبعد أن أنهت آخر رمز، نهضت وتوجَّهت إلى بقعة أخيرة، كانت ركبناها مغطاتين بالتراب، وشعرها الأحمر المبعثر يتطاير مع النسيم.

وضعت آخر حجر صغير في مكانه، ومسحت عليه بأطراف أصابعها وكأنها تتواصل معه، ثم وقفت ونقلت وزنها من قدم إلى أخرى، تختبر نبض الأرض تحتها.

تنفست بعمق، ورفعت يديها في الهواء، فيما أخذت الرموز الموزعة على امتداد الحدود الجنوبية تسطع واحدًا تلو الآخر، كأنها نجوم على الأرض.

أغمضت عينيها، وانتظرت حتى أصبح كلُّ شيء داخلها ساكنًا، وانسجم صوت قلبها مع قرع الطين أسفلها.

وفي اللحظة المناسبة، مدَّت يديها إلى الأمام، كأنها تدفع بشيء غير مرئي من صدرها نحو الأفق، فانبعثت من الرموز خيوطٌ خفيفة، تحلّق في الهواء متجهة نحو نقاط التقاءٍ محددة، لتتلاحم سويًا.



بدأت الخيوط تتقاطع وتتشابك رويدًا رويدًا عند الخطّ الفاصل بين السهول والغابة، ثم تسارع تقدمها بشكل متصاعد، كأنها تنسج نفسها، نسيجًا من السحر والضوء والطبيعة.

اهتز جسد تريشا قليلًا، لكن نظراتها بقيت ثابتة، توالت النبضات منها إلى الرموز، لتُشكّل ما يشبه جدارًا هائلًا، يمتد عبر حد ستونهنج الجنوبي بالكامل.

ومع إطلاقها آخر زفرة، توهّجت كلّ الرموز في تزامن، وارتفع الحائط دفعة واحدة من الأرض حتى انشقّ الهواء، حينها، انبعث صوت خافت من عمق الغابة، وكأنها أدركت القيد الجديد، وعبرت عن احتجاجها.

لم يكن الجدار شفافًا بالكامل، بل شابه لون قواها بعض الشيء، ورغم سطوع الضوء المنبعث منه، فإنه غير مؤذٍ للعين، بارد مثل القمر في ليلة اكتماله.

استقرّ الضوء رغم لمعانه، وتكثّف الحائط حتى بات من الواضح أنه لا يمكن اختراقه، فتحت تريشا عينيها والتّعب يغمر قسّمات وجهها،



لكنها لم تبدُ واهنة لعينيَّ وارويك، بل على العكس، وكأن القوة التي سكبتها في الحاجز طهرتها من شيء ما.

رفع وارويك نظره إلى الحائط المتراقص، كان أشبه بكيونونة تتنفس، ينبض، ويترنَّح قليلاً قبل أن يستقر، ثم سأل:

«كيف ستعبر الطيور الصغيرة؟».

اقتربت من إنجازها الجديد، ومرَّرت يدها عبره عدة مرات مجيبة:

«هذا حائط ذو هدف محدد، لن يمنع حتى الهواء من العبور».

تقدم بدوره وجرب وضع يده عليه، فعبرت دون مشاكل، وكلّ ما شعر به هو برودة ناعمة تكسوها، التفت إلى الجنية وتأملها بنظرات منبهرة، وبها شيء واضح من الافتتان، ثم مرَّ عينيه على بقية جسدها مندهشاً:

«كيف لجسد بهذه الرقة أن يصنع شيئاً بهذه القوة؟».

اتسعت نظراتها بارتباك وقالت مقتضبة:

«سأنصرف الآن».



استدارت، لكنه أوقفها قبل أن نخطو بعيدًا:

«لحظة، لدي شيء لك».

بدت مترددة، لكن الفضول جعلها تتوقف، اختفى لبضع لحظات،
ثم عاد يحمل السلّة الصغيرة نفسها، وقف أمامها ورفع الغطاء قليلاً،
ليكشف عن مجموعة من حبّات الفراولة، ثم أعاد الغطاء، ومدّها
نحوها بابتسامة طفل يقدم كنزًا نادرًا.

حدّقت في السلّة ثم فيه، قبل أن تأخذها برفق، واستدارت لتعود،
لكنها توقّفت مرة أخرى، وبقيت في مكانها لبضع لحظات تصارع
أفكارها.

وأخيرًا، التفتت نحوه، وقالت بصوت منخفض، كاعترافٍ
مكسور:

«أنا لا أحب الحليب كذلك».

أدرك أنها تعبّرت عن امتنانها بمشاركته قطعة صغيرة من ذاتها، فتوقف
عن التنفس خشية أن تندم وتنغلق مجددًا.



لكنها تابعت، فقد اختارت أن تفتح نافذة صغيرة للغاية نحو
ماضيها، ولو لثوانٍ قليلة، لعل الذكريات تصبح أقل وجعًا:

«لم يلاحقني أحد لشربه مثلك، بل كنت أنهي كأسي قبل أن يُطلب
مني ذلك، فالأرواح الناعمة لا تملك حرية الاختيار».

تجهم دون أن يسأل، وعندما أدرك أنها لن تكمل الحديث، قال
بنبرة متسائلة:

«الأرواح الناعمة؟».

علت شفيتها ابتسامةً حزينةً وهي تجيب:

«ما تدعونهم هنا بالأيتام».

رقت تعابيره عندما تأكد أنها وحيدة بالفعل، وتفهم الآن تعلقها
بكيارا وحماتها المبالغة لها، لدرجة اختراقها لقوانين مملكتها، رغم
إدراكها أن العقوبة ستكون قاسية، فقد كانت تشاركها الوحدة واليتم.

قاطع ديمريك لحظة صراحتها، حيث ظهر خلف وارويك فجأة
وهو يقول على عجل:



«سيدي، لقد تأخّرت كثيرًا، الاجتماع ينتظرك منذ ساعتين».

تجمّد وجه وارويك لثانية، ثم التقت عيناه بعينيهما، ظهر تورّد خفيف على وجنتيه، بينما زَمّت هي شفّتها لتقمع ابتسامتها من الظهور، أمالت رأسها وهمست بنبرة ساخرة لكيلا يسمعها غيره:

«ظننتك لست مشغولاً».

حملت لها الرابطة أحاسيس شفافة ومباشرة، إخراجًا لطيفًا، واضطرابًا جميلًا، مشاعر جعلت ابتسامتها تتسع أكثر، لكن شيئًا في تلك الابتسامة كان مختلفًا، كانت أكثر دفئًا، وأقل تهكمًا.

لم يتحمل قلب وارويك، ملاحظها الخلاصة إذ صنعت عواصف غريبة بداخله، حتى اختلّ توازنه، فانحنى قليلًا لها، وتمتم متلعثمًا:

«أستأذنك، لديّ.. أم.. أش.. أشياء مملّة.. لأفعلها».

واختفى قبل أن يلحظ فرار ضحكتها، ظهر أمام قاعة الاجتماعات، يفرك شعره مُعَمِّغًا بكلمات غير مفهومة، ما دفع ديمريك إلى الاقتراب منه قائلاً بقلق:

«هل أنت بخير؟».



أنزل يديه والتفت إليه بسرعة بتعابير مستاءة:

«ديمريك؟».

نصب الجندي ظهره بتوتر من تغير نبرته المفاجئة، وقال بنبرة
عسكرية:

«نعم، سيدي».

تنهّد وارويك محبطاً، واقترب من الجندي الشاب بهدوء جعل
العرق يتجمع فوق جبينه، وما إن صار بجانبه، حتى اندفع ليلف
ذراعه حول رقبته، قائلاً:

«هل كان عليك إحراجي بهذا الشكل؟».

سعل ديمريك متلعثماً:

«لم أقصد... سيدي، أرجو... المذرة».

أرخى وارويك قبضته حول عنقه عندما لاحظ سعاله، لكنه لم يتركه
بشكل كامل، بل بدأ يحرك رأسه الأصبه يميناً ويساراً مع كل كلمة:

«ألم تر أننا في خضم محادثة مهمة؟ لم قاطعتنا أيها الأرعن؟!».



أجاب بارتباك:

«بلى، ولكنك تأخرت للغاية».

تجمّد وارويك ليمنع نفسه من عصر رقبته أكثر، صرّ على أسنانه ثم تركه زافراً بحلق، أخذ نفساً عميقاً بعدها، وبدأ بترتيب هندامه قائلاً بنبرة لطيفة بشكل مهيب:

«لا بأس يا ديمو، لقد ساحتك».

اعتدل ديمريك في وقفته، وقال وهو يفرك عنقه بعدم فهم لكلّ ما جرى للتو:

«دي... مو؟ اسمي ديمريك، سيدي».

استدار وارويك بسرعة بعينين متسعيتين، وقال بشفتين مزومتين:

«أعلم، لكنه طويل للغاية».

نظر إليه بحيرة ثم رفع أصابعه يعدّ حروف اسمه بهمس، وبعد أن انتهى بدأ يعدّ حروف اسم وارويك، وعندما أدرك أن الاسمين بنفس



عدد الأحرف؛ رفع بصره نحو قائده بضياح، لكنه وجد وارويك يرمقه
بعينين أكثر اتساعاً من قبل، متحدياً اعتراضه.

فنصب ديمريك ظهره مجدداً، وحيّاه تحية عسكرية كاملة، مردداً:
«أمرك سيدي».

تنهد وارويك منتصراً، ثم لكم كتف ديمريك بخفة، وقال:
«ادخل قبلي أيها الجاهل».

أوماً باحترام، ثم دخل بمسير عسكري مرتبك وغير متقن،
أشاح وارويك وجهه عنه، وعَضَّ شفتيه مغلقاً عينيه ليمنع نفسه عن
السخرية، ثم لحق به إلى الاجتماع.

أما تريشا، فوقفت لحظة بنفس الابتسامة في مكانها، تحدّق في السِّلَّةَ
التي جلبها لها.

وضعت كفّها فوق قلبها المتراقص، وأدركت بامتزاج غريب بين
الخوف والبهجة، أن البرد لم يباردها فور انفصالهما كما اعتادت، بل
خَلَّف وراءه دفناً بقي معها.

قلبِ هَسَّ



كانت الشمس مشرقة فوق باحة القصر الداخلية، حيث انتشرت ضحكات الأطفال كنغمات تبعث البهجة والدفع، وتجذب كل قلب أضناه الهم، علّه يجد من سعادتهم ما يطهر روحه.

جلس وارويك تحت ظل شجرة عتيقة، يضحك ملء قلبه وهو يحمل طفلاً صغيراً على كتفيه، بينما الآخرون يتنازعان على من سيصعد بعده.

اندمج صوت ضحكاته مع ضحكاتهم، حتى خيّل لمن يراه أنّ هذا الرجل لم يعرف يوماً معنى الحرب، ولا الندم، ولا الفقد.

كان الصبية أبناء شقيقه الراحل إدريفيار، كانوا يشبهونه كثيراً، واحد منهم يملك عينيه، والآخر حدة صوته، والثالث شيئاً من تلك الجدية الممزوجة بالحنان الذي لا يفارق نظراته.

ورغم الوجع الذي ينهش قلب وارويك حين يراهم، فإنه كان يجهم حباً لا يقدر على صدّه، كلما ضحكوا له شعر أنه يُصلح شيئاً انكسر في داخله في ماضٍ بعيد.

كانوا يذكّرونه بإخوته إلى حد موجد، فلم يكن الشبه في الملامح وحده ما يربكه، بل الأسماء كذلك.



ويك، دري، وماغ.

اختصارات طفولية لأسماء إخوته: وارويك، إدريفيار، وماغوس..
أسماء صغيرة، لكنها كانت كافية لنبس جراح ظنّها التأمّت.

لم يكن الأمر صدفة؛ فإدريفيار هو من أطلقها عليهم اشتياقًا إلى
إخوته، أو ربما تمرّدًا ضد الزمن الذي سرقهم منه.

فجأة، بين الضحكات وصرخات اللعب، اجتاح وارويك شعور
ثقيل ومُعتم، كأن ظلًّا باردًا عبر قلبه، توقّف لثانية محدّقًا في الفراغ
بضياغ، ثم استوعب، الرابطة.. تريشا.

شيء بداخلها اختلّ، لم يكن ألمًا جسديًا، ولا حتى نوبة غضب أو
خطرًا داهمًا، بل كان كدرًا عميقًا، ضيقًا متجذرًا، كأنّ صدرها تقلص
حتى لم يعد يتسع لها.

شدّ على فكّه وهزّ رأسه ليطرد ذلك الإحساس، وعاد إلى الأطفال
محاولًا أن يضحك معهم من جديد، قفز أحدهم إلى حجره فضحك
مجدّدًا، لكنها خرجت ناقصة ومهزوزة.



ومع مرور الدقائق، لم يخفِ الشعور أو يخفّ، بل تمدّد وتعمّق،
وأصبح حضوره طاغيًا لا يمكن تجاهله، كنغزة في القلب تشتدّ عنادًا
كلّما أنكرتها.

كاد يتخذ قرارًا متسرّعًا، لكن أحد الخدم أقبل على عجل بوجه
متوترّ وعينين مرتبكتين:

«سيدي.. الوالدة.. أقصد.. السيدة، لقد انهارت».

ثبت الزمن لوهلة اختلطت فيها المشاعر، حتى كاد يترسخ كدر
تريشا بداخله، تنفس بعمق ثم وقف دون كلمة وانتقل بسرعة إلى
الجناح العائلي.

كان الخدم يتحركون بارتباك، يأتون بالماء، بالزيوت العطرية
المهدئة، بالمناشف، وينظفون ما تكسره والدته، ولكن لم يجرؤ أحد على
الاقتراب منها، يكتفون بالحديث معها من مسافة بعيدة:

«سيدي..».

«تنفسي للحظة..».



كانت والدته تدور في أرجاء المكان، تبحث عن شيء جديد
لتكسره، يداها تمسكان بثوبها بقوة وكأنها ستمزقه تاليًا.

عينها مفتوحتان على اتساعهما، لكن كان من الواضح أنها لم ترَ
شيئًا، وجنتاها مبللتان، ووجهها الذي غطّاه الفقد بالتجاعيد؛ بدا
مرهقًا رغم قناع الغضب.

دخل وارويك فصمت الجميع، وسرّت رهبة في المكان، تراجع
الخدم فيما اقترب هو منها بحذر، وقال بصوت خافت:
«أمي...».

لم يكد ينهي الكلمة حتى استدارت نحوه، وعيناها تحملان شيئًا
رآه يتكون عبر الوقت.. الإدانة.

ثم أتاه صوتها كالسهم:

«أنت السبب!».



توقع كلماتها، فلم تكن المرة الأولى التي تقولها، لكن نظراتها كانت مختلفة؛ كانت مشاعرها صادقة، واتهامها له نقيًا، لا يشوبه عطف.

تراجع خطوة، فمه مفتوح وصوته عالق في حلقه، لكن عينيه عبّرتا عن كل شيء: كلّ ذنب، كلّ وجع، كلّ ما حاول دفنه بداخله منذ موت ماغوس.

رغم أنه كان الضحية فيما جرى، ولم ينبجُ إلا بجسده، أما روحه فتمزقت مع كلّ منعطف وخسارة، إلا أنه لم يفلح يومًا في طرد الإحساس المقيت بأنه مذنب، لأنه ابنهم، ولأن الخصم كان عائلته.

ولهذا لم يتجرأ على رفض نظرات والدته، أو اتهامها المستمر، رغم أنه كان يكسره أكثر فأكثر، لأنها ببساطة كانت تجرّده من حقه في الحزن عليهم.

كان صوتها يرتجف بالكمد الذي تراكم لسنوات:

«موتهم جميعًا! إدريفيار، ماغوس، حتى والدك! لأنك اخترت الجميع، ولم تحتر عائلتك، كنّا دائمًا في الخلف نلوّح لك، وأنت لا تلتفت».



كانت تضرب صدرها بقبضتها مع كل كلمة، وكأنها تحاول اقتلاع شيء عالق هناك:

«ماغوس مات وحيداً! وأنت؟ أين كنت؟ تدافع عنها وتبرر أسباب قتلها له!».

كل كلمة كانت كالسكين، كان يعرف أن مشاعرها غير مستقرة، أن الفقد جعلها هشة، أن الألم جعلها تتشبث بأي منفذ، لكنه لم يتوقع أن يرى وجهها مشبّعاً بالخذلان منه إلى هذا الحد.

أراد أن يتكلم، أن يدافع عن نفسه، أن يقول إنه أحبهم، إنه يفتقدهم، وإنه لا ينام دون أن يهمس بأسمائهم في عقله كل ليلة، لكنه لم يستطع، ففي تلك اللحظة؛ لم يكن واثقاً من قدرته على إنكار كلامها.

فربما فعلاً كان يختار الجميع قبلهم، وربما هرب من العشيرة لأنها تذكره بكل ما لم يستطع إنقاذه.

نظر إليها نظرة طويلة، وتعلقت في عينيه دموع لم تنزل، لم يكن قائداً في تلك اللحظة، ولا أقوى السحرة، بل كان مجرد ابن فقد والدته وهي على قيد الحياة، يقف أمامها عاجزاً، محاولاً أن يقول شيئاً لا تريد هي سماعه أو الاقتناع به.



استدار وخطا خارج الجناح، وكلّ شيء فيه فارغ، إلا من الوحدة
التي تطبق على صدره، وعجز يلتف حول عنقه كقيد لا يكسر، وشيء
آخر بين الندم والحزن، شيء لا يُسمح له بالتعبير عنه.

وحدها الرابطة في مكان بعيد، كانت تنقل لتريشا كلّ هذا التمزق،
الشعور بالذنب، والانهيار الذي كان يتلجلج في أعماقه ولم يعد قادراً
على تأخير أكثر.

كانت تريشا تجلس في منزلها الصغير المظلم، متفوقة في أحد أركانها
على الأرض، تلاشت الأصوات حولها، وتباطأ الزمن كعادته كلما
طغى التعب عليها.

كانت تحرق في المنزل الخالي، وذهنها لا يقلّ خلواً عنه، فهي تعلم
أن السماح لأفكارها بالسيطرة يعني استحضار الحقيقة التي تتفادها
دوماً؛ وحدتها التي تطفئها تدريجياً.. لكن لا يلاحظ أحد، ولا يراها
أحد.

شعرت بيديها ترتجفان، فنظرت إليهما، لكنها وجدتهما ثابتتين،
ساكتتين وكأنهما لم ترتكبا جرماً قط، كان ارتجافها غير مرئي دائماً،
ولكنه حقيقي.



الخوف يهمس في أعماقها، لكن ملاحها لا تنطقه، التوتري سري عبر
عروقها، ولا سبب واضح له، كان ألم قلبها مألوفًا، كصديق قديم لا
تريده، لكنه لا ينفك عن طرق بابها.

وفي تلك اللحظات، التي يكون فيها العجز أقوى منها، تلجأ إلى
الرابطة لتستشعر الدفء الذي يسكنها، تبحث عن الشعور الخافت
بأن هناك من يتنفس على الطرف الآخر من الخيط، فتواجه وحدتها به.

كانت تعلم أنها مثيرة للشفقة، لكن لا حل آخر لها، ولا بديل
أفضل، فأغمضت عينيها لبرهة، تنفذ طقوسها المعتادة، لكن شعورًا
مختلفًا اعترأها، شرخ امتد وسط صدرها، وأخذ في الاتساع حتى
احتاجت كل قوتها للبقاء ثابتة.

تمت باسمه دون أن تدرك:

«وارويك».

لم تكن الموجات العاطفية التي وصلتها عبر الرابطة مألوفة، كانت
مشاعره متداخلة ومعقدة، ولم يكن الألم واضحًا، بل أشبه بانقياس سد
قديم تآكل عبر الزمن.



أغمضت عينيها مجددًا، تحاول قطع الاتصال، لكن الرابطة ظلت تنبض وكأنها تهمس لها بأنه ليس بخير، أمالت رأسها إلى الجدار وهي تفكر إن كان عليها الذهاب.

لم تستطع تحليل ما يحدث له بناءً على أحاسيسه، لكنها فهمت أنه شيء كبير، ضغطت على أسنانها، وتنفّست ببطء ثم رددت تذكر نفسها:

«لا علاقة لي.. لا علاقة لي..».

لكن قلبها خان كلماتها، ظل يتسارع ويتخبط داخل صدرها بعنف أربك أنفاسها، يعاتبها على البقاء ساكنة وتأخر تصرّفها، وحين نهضت على عجل، تداركها عقلها لتتوقف، وتبّتها بأن جسدها تحرك نحوه دون إذن منها.

ارتبكت من تلك الزلة، وكادت تتراجع، لكنها شعرت مجددًا بالعواصف التي تمزقه، وعلمت بأن الانهيار قريب للغاية، فأكملت نهوضها، وهذه المرة كان القرار نابعًا منها بالكامل.

حين وصلت إلى البقعة التي جمعتها مرارًا، رأتها من بعيد، يتحرك بوتيرة سريعة داخل حدودها، يدور حول نفسه كما لو أنه فقد الاتجاهات، أو يبحث عن مخرج من دوامة لا نهاية لها.



لم يكن يتكلم أو يفعل شيئاً سوى ذلك، يدور مرّة بعد أخرى،
رأسه منخفض ويداه تشدّان شعره تارة، وتفركان وجهه تارة أخرى.

شيء ما في المشهد جعل دفاعاتها تهتز، وكلّ ما شعر به عبّر إليها
دفعة واحدة وغمرها، ألم صامت وكثيف كالضباب الخانق.

تقدّمت نحوه، وخطواتها على الأرض بالكاد تُسمع، وكلّما اقتربت
أكثر اشتدّ إعصار الحزن الصادر منه أكثر، كما لو أن اقترابها منحها
قدرة أوضح على الإحساس بعمق جراحه.

وحين لمحت وجهه، رآته مختلفاً، وارويك الذي اعتادت عليه قد
يكون ساخراً أحياناً، لكنه متماسك دائماً، أما الذي أمامها فكان محطماً.

رفع رأسه فجأة، وكأن قلبه شعر بوجودها قبل عينيه، توقف عن
الدوران، وتجمد في مكانه محدّقاً فيها طويلاً، وفي عينيه أسئلة لم يلفظها،
لكنّها كانت واضحة:

(أتيتِ؟ في غير موعدهنا؟ لماذا؟).

لم يكن بحاجة إلى إجابة، كانت تعابيرها تنطق بقلق واضح لم تحاول



إخفاءه، لم تتظاهر بالبرود، بل وقفت أمامه بحضور أكثر صدقاً من كلّ الكلمات.

وحينها فقط، سقط قناعه، انفرجت شفتاه كأنه سيقول شيئاً، لكنه لم يفعل، وانهار، صدرت منه زفرة مهزوزة، وانزلت من عينيه دموع حارة نفضت من جسده كلّ ما حاول كتمانها.

اقتربت منه خطوة، ثم أخرى، حتى أصبحت أمامه تماماً، وبمجرد أن وضعت يدها على صدره بلطف، حتى انحنى واضعاً جبينه فوق كتفها.

كان ثقل الألم الذي يحمله هائلاً، فلم تتكلم، اكتفت بإحاطته بذراعيها، واحتوته فقط كما كان يحتاج، كلُّ نبضة منه كانت تفسر لها شيئاً، كلُّ شهقة خافتة كان يطلب بها إذناً بالبقاء، وكلّ دمعة كانت ترجوها ألا تطلق سراحه أبداً.

أما هي، فكان خوفها منه ما زال حاضراً، يقف عند أطراف وعيها كظلّ حذر، لكنها لم ترَ الساحر الذي تخشاه في تلك اللحظة، بل الرجل الذي اختار أن يسقط أمامها.



لم تكن تحتضنه شفقةً، وإنما أرادت أن تعطيه ما كانت تخشى ألا تناله يوماً، أن يختارها أحد رغم كل شيء، رغم ماضيها، ورغم كل ما يمكن أن يفرّقهما.

شدّت ذراعيها حوله أكثر، لتسبّته، ولتسبّت نفسها، ولكي تكون المكان الآمن الذي يعود إليه مهما اشتدّت العواصف.

بدأ تنفسه يتباطأ بعد دقائق، لكنه لم يرفع رأسه، أتاها صوته مبحوحاً:

«انهارت والدتي مجدداً، منذ أن فقدت والدي لم تعد كما كانت، لم تستطع أن تتخطى موته.. كنت أخشى أن أفقدها كما فقدت الجميع، لكنني أدركت اليوم أنني فقدتها بطريقة أفسى».

مسحت على ظهره، تخبره أن مشاعره مفهومه، ثم سمع صوتها الناعم:

«دعني أساعدها».

رفع رأسه ونظر إليها بدهشة وامتنان:

«تستطيعين علاجها؟».



تركت ذراعيها تتراجعان بهدوء، وأومأت تؤكد له وتطمئننه:

«أنا مُطِيبَّة، هذه مهنتي في ماجيسيا.. تطيبب النفوس المتألمة».

بدت حيرته في عينيه:

«طِيبَّة؟».

رفعت كتفيها بخفة:

«أستطيع تطيبب الجروح البسيطة إن وُجدت، أما البليغة فلا يقدر عليها إلا المُداوي».

أضافت موضحة:

«أستطيع مداواة جراحكم البليغة، فأجسادكم لا تتطلب قوة كبيرة، لكن الأمر يختلف بالنسبة إلى الجن».

كانت تلك المرة الأولى التي تشاركه فيها شيئًا عن نفسها دون أن يحاول، لذا حاول تخفيف نبرته، لكيلا يبدو عليه التلهف لسماع المزيد، إلا أن انبهاره تسلل عبر صوته عوضًا عن ذلك:



«حائط منيع وعلاج روحي؟ قدراتك باهرة».

ضحكت برقة:

«في عالمكم فقط، أما في ماجيسيا...».

ابتسمت ورفعت حاجبها بثقة مصطنعة تتعارض مع تصريحها:

«أنا بالكاد من المستوى الثالث».

لاحظ أنها تحاول أن تحفّف عنه، تمزج الجدّ بالهزل لتمنحه مساحة للتنفّس وعدم الندم على ما أبداه من ضعف أمامها، فسايرها قائلاً:

«إذن، لن أخبر أحداً بذلك، حفاظاً على سمعتك».

أجابت بنبرة مُفتعلةٍ الجدية:

«أقدّر لك ذلك، سيد وارويك».

تأمّلها لبرهة أطول مما ينبغي، ثم قال بنبرة أخفّ مما تحمل عيناه:

«لماذا؟».



مالت برأسها عندما لم تفهم مقصده، لكن ابتسامتها تلاشت حين
رأت توَّجُّسه منها يعود.

أكمل بعد لحظة قصيرة:

«لماذا تعودين لمساعدتي في كلِّ مرة؟».

تنفَّست بعمق، ثمَّنت لو أنها تستطيع لوم الرابطة، لكن الكذبة
ستعلق في حنجرتها، وسيمنعها دمها من التفوه بها.

قالت على مضض:

«لا أستطيع استخدام قوتي في ماجيسيا.. أقصد.. لا يُسمح لي
باستخدامها، لذا أبحث عن متنفسٍ خارجها».

استوقفته كلماتها، بينما بدأت هي تتساءل عن السبب الذي دفعها
لقول الحقيقة عوضاً عن اتخاذ الصمت.

سأل بتحفظ، خوفاً من صدق ظنونه:

«بسبب مشاركتك في معركة المسوخ؟».



هزّت رأسها نفيًا، وأبعدت عينيها عنه:

«لا، الأمر أقدم من ذلك بكثير».

ارتسمت الحيرة على ملامحه، وبدأت الخيوط تتشابك في ذهنه:

«إذن حرب كيارا، أهذا امتداد لعقاب تدخلك؟».

لم تجبه، ولم تُعد عينيها نحوه، فاقترب منها حتى أصبح في مجال رؤيتها، وقال بصوت أهدأ، ونظرات مكترثة:

«لكن الملك مات، ألم ينته كل شيء بموته؟ كما أنه حاكمك وعاقبك، ألم يكن ذلك هو الثمن؟».

نظرت إليه أخيرًا، وبدأ أن التعب تملّكها حين زفرت:

«ما حدث.. أكثر تعقيدًا من أن يُختصر بثمن واحد».

ساد بينهما صمت مختلف هذه المرة؛ صمت شيء لم يُكشف بعد، شكٌ معلق في عينيه، وسرٌّ تشده إلى صدرها، لكنه سرعان ما التفت نحوها باستغراب، فالحديث عن قوّتها جعله يتذكر شيئًا آخر:

«هناك أمر لا أفهمه».



التفتت بنظرات متسائلة فتابع:

«أخبرتني أن الرابطة تجعل قوتي تلغي قوتك، لكنك استخدمتها في لقائنا الأول، وفي الكهف كذلك...».

لم تنتظره حتى يكمل لتجيب بعدم فهم:

«كلا الحادئين غريبان، في أول لقاء كانت قوتي متذبذبة، لكنني لم أتمكن من استخدامها، لذلك أظن أن الغابة هي من تصرفت، كما لو أنها رفضت تركي لأموت، أما الكهف....».

صمتت قليلاً ثم تابعت مترددة:

«ما زلت لا أفهم كيف نبعت قوتي رغم الرابطة، إما أنها شقَّت طريقها، أو أن الرابطة أفسحت لها».

شعرت بحرارة نظراته عليها، فأدركت متأخرة أنها شاركته الكثير، فأضافت سريعاً ساخرة:

«أوربا أشفقت عليك لدرجة أن حتى سحرك الذي يحمي قوتي؛ لم يتمكن من إخماد أثرها عليك».



ضحك ليخفف من إحراجها، ويخفي خجله، يدعو داخله أنها لا
تلتفت فترى احمرار وجنتيه، فكلُّ كلمة قالتها كانت منطقية، وصادقة
أكثر مما يحتمل كلاهما.

ثم كسر التوتّر بكلمة مترددة:

«ملكتي...».

تنفّس عميقاً ليعيد توازن صوته، ثم تابع:

«ساحة مفتوحة لقوتك، متى احتجتِ أن تفرغيها».

لم ينظر إليها حين قالها، وكأنه يخشى أن يبدو عرضه لها أمراً، رغم
أنه لم يضع شروطاً أو يذكر أي مقابل، فترك العبارة معلقة بينهما، خالية
من الحساب.

شعرت باهتمامه الصادق في داخلها، النقي بما يكفي ليربكها،
فعلمت أنه لم يكن يحاول الاستيلاء على قوّتها لخدمة مملكته، بل كان
يمنحها مساحة آمنة، وللمرة الأولى، لم تُستدع قوتها لتُستغل، بل فُتح
لها مكان لتكون فيه كما هي.



تلاشى شيء من التوتر بينهما، كضبابٍ ينحسر عن الطريق، مُنَحَاً لخطوة أقرب، لم يجروا على اتخاذها بعد، فجلسا بجانب بعضهما على الجذع المعتاد، أقرب من السابق، وأبعد ————— ينبغي.
في تلك اللحظة، لم تكن الرابطة هي التي جمعت قلوبهما، بل كانا هناك باختيارهما للبقاء، دون أن يسأل أحدهما الآخر: لماذا؟ وإلى أين؟

عزيري القارئ، إن كنت تقرأ هذا الكتاب من موقع إلكتروني أو على شكل كتاب مطبوع، فتأكد من أنك تقرأ كتاب مسروق وليس لمن أخذه الحق في ذلك، وهذه النسخة مجانية بشكل كامل على قناة ضَاد في تطبيق تيليجرام. فتأكد من أنك مشترك بالقناة وتحمل الكتاب منها. أعتذر على المقاطعة، قراءة ممتعة.



مشاعر يانعة



دخلت تريشا بوابة القصر الغربية، تلامس هدير السحر الذي ولد
من جديد مع ولادة مملكة ستوننج، لم تكن المرة الأولى التي تطأ فيها
هذا المكان، لكن اليوم لم يكن كغيره، فهي لم تأتِ مقاتلة ولا حامية،
بل تمد يدها نحو من لم يطلب منها شيئاً، واختارت هي أن تمنحه ما
تقدر عليه.

كان وارويك في انتظارها عند الرواق المؤدي إلى الجناح الداخلي
حيث تسكن والدته، استقام جسده الطويل عندما رآها، وقد بدا عليه
شيء من التوتر رغم محاولاته في إخفائه بابتسامة خفيفة.

حين اقتربت منه، تبادلًا نظرة قصيرة كانت كافية ليشعر بشيء
يضطرب في صدره، فقال بصوت عميق، محاولاً أن يجعله رسمياً قدر
الإمكان:

«أشكرك على قدومك يا تريشا».

هزّت رأسها برقة:

«لا داعي للشكر، أتمنى أن أكون ذات نفع لها».



مدَّ يده نحو الرواق وأشار بلباقة:

«سأوصلك إلى جناحها».

سار إلى جانبها والصمت يخيم عليهما، لكن خطواتها كانت متناغمة على نحوٍ مذهش، كأن كلاً منهما كان يصغي إلى إيقاع الآخر ويقلده دون وعي، أو أن جسديهما تناغما دون إذن.

كان الضوء المتسلل من النوافذ العالية يلامس شعرها الأحمر كخيط حرير، فيزيده بهاءً، وحين امتزج بالوهج الذهبي المنعكس عن الجدران، تحول الأحمر إلى لهبٍ سحري برّاق، كأن المكان صُمِّم ليحتضن ألوانها تحديداً.

اختلس وارويك النظر كلما ظن أنها لا تنتبه، لكنها كانت تلاحظ وتبتسم بخفة دون أن تلتفت.

أما الرابطة، فكانت رفيقاً ثالثاً يمشي معها، يرسل ومضات عشوائية من المشاعر في كلا الاتجاهين؛ مشاعر خجولة تارة، وجارفة تارةً أخرى، تربك قراراتهما وتشوش أفكارهما.

مرّاً بجانب امرأة طويلة عند منعطف، والتقت أعينهما مصادفة فيها،



فتفاجأ في الوقت نفسه وارتبكا لوهلة خاطفة، ثم انخفضت نظراتها خجلاً، بينما نظَّف هو حنجرتَه مشيحاً بوجهه، لكن ابتسامة ساذجة لحقت لحظة الارتباك تلك، وُلدت رغباً عنه، وراحت تكبر بصمت.

كانت تلك الخطوات القصيرة الهادئة أغنى من أي حديثٍ طويل، لذا، حين وصلا إلى باب الجناح، توقَّف وارويك عند العتبة، ونظر إليها بجدية خفيفة، طالباً منها بصوتٍ منخفض، حازم رغم التلعثم: «بعد انتهاء الجلسة.. لا ترحلي مباشرة، أودُّ أن.. أن أريك شيئاً».

رفعت حاجبيها، لكنها لم تسأل، وبابتسامة صغيرة أومأت:

«حسنًا».



كانت والدته وارويك جالسة على كرسي مقابل النافذة، تنظر إلى الخارج شاردة الذهن، كأنها تعيش في مكان آخر غير هذه الحجرة، متوقفة في منتصف المسافة بين الماضي والحاضر.

تلقت تريشا تفحص الجناح الفوضوي، لم يكن مهملاً بقدر ما كان يثن بمشاعر السيدة العالقة في لحظة موت رفيقها.



اقتربت منها ببطء وجلست إلى جوارها، فالعلاج الذي تنوي القيام به مزيج من السحر والإصغاء، تستدعي الذكريات المؤلمة ثم تُبدّل صداها، حضور يطمئن، وقلب مفتوح.

مدّت كفّها ووضعَتهَا على يد السيدة بلطف، ثم أغمضت عينيها وبعثت إليها دفئًا شفافًا، كأنّ نسيماً آمناً تسلّل إلى الغرفة، ثم إلى قلبها مباشرةً.

نقلت السيدة نظراتها إلى تريشا، ورمقتها بعينين مدركتين وهمست: «مطيّبة!».

أومأت لها مبتسمةً بنعومة:

«أخبريني، ما اسمك؟».

لاحظت عينيها الذابلتين، وارتجاف شفاهها لسبب لا يتعلق بالبرد حين أجابتها:

«إيلا».

أمالت تريشا رأسها قليلاً:

«اسمك يحمل وجعًا، لماذا؟».



نظرت إيلا بعيدًا، تقول بصوت منكسر:

«لأنه يشبه اسم أخي الراحل، إيلا كاي».

أومأت تريشا متفهمة، ثم قالت بحنان:

«أغمضي عينيك، واسترجعي ذكرى مؤلمة له».

إيلا بغصة:

«باتت جميعها مؤلمة الآن».

تريشا بنفس النبرة المطمئنة:

«اختاري أي واحدة إذن».

أطاعت إيلا بصمت وأغمضت عينيها، تستعيد صورًا قديمة خلف أجفانها، لم ترَ تريشا ما بداخلها، لكنها رقت حوافها الحادة.

ارتعش قلب إيلا عندما لاحظت الفرق في الذكرى، فاسترجعت ذكريات أخرى: صوت زوج راحل، خطوات ابن غائب، ضحكات من زمن بعيد، وأخ لم يغب يومًا عن بالها.



أغمضت تريشا عينيها بدورها، وغيرت ذكرياتهم تدريجيًا، دون أن
تقتل الصورة بالكامل، تنزع الأشواك منها فقط وتطيبها، فباتت المؤلمة
حانية، والبعيدة أقرب إلى القلب.

انهمرت دموع إيلا، دموع نجاة غزيرة، كحرية أتت بعد عناء،
كروح رُفع عنها العبء أخيرًا، قالت بصوت مختنق:
«وارويك.. آتني بابني».

ابتسمت تريشا وضغطت على يدها:
«لاحقًا».

فتحت فمها لتحتج، لكن الجنية استبقتها:
«لا يتألم المريض وحده، دائمًا ما يتسرب ألمه إلى المحيطين به، هو
يعاني بالمرض، وهم يعانون العجز والفقد، قد لا تتشابه رحلات
الطرفين، لكنهم يتقاسمون نفس الندبة».

ربت على يدها برقة:

«ركزي على تشافيك أولًا، ثم عودي إليه، عندها فقط ستصلحين
ما كُسر بينكما».





عندما انتهت تريشا، وجدت وأرويك ينتظرها عند الطرف الآخر
من الممر، وكأنه يخشى الاقتراب من جناح والدته أكثر.

وقف حين رآها، وبدأت عليه علامات الترقب، وما إن وصلت إليه
حتى سأها:

«كيف كانت؟».

ردّت وهي تمسح أثر الجهد عن جبينها:

«أفضل».

أوماً بامتنان، ثم مد يده إليها:

«تعالى معي».

حدّقت بيده مترددة، وعندما لاحظ تعابيرها، بدأ يتراجع بهدوء،
محاولاً ألا يُثقل عليها، لكن موجة خافتة من الخيبة لامستها عبر
الرابطة.

لم تكن عارمة، ولكنها استشعرت صدقها بما يكفي لتجاوز الخوف،
فأخذت يده بسرعة، لقمع ذلك الشعور من التعمق فيه.



استدار بدهشة، والتقت أعينها، حدّقا في بعضهما للحظات، ومرّ
تساؤل صامت، لكن عينيها لم تكونا أقلّ حيرة من عينيهِ، فتحت فمها
لتقول شيئاً، لتبرّر، ثم أغلقتَه عندما خانتها الحروف.

ثم فتحتَه من جديد وعادت إغلاقه، وفي النهاية، أشاحت بوجهها
وهي تزفر متأففة، تعلن استسلامها لعدم وجود ما يفسر إمساكها ليده.
ظلت عيناها تتفحصانها حتى أدارت وجهها عنه، حينها خسر
المقاومة بالكامل، واتسعت شفتاه في ابتسامة حقيقية غابت عن ملاحظه
لوقت طويل.

لم يعلم لماذا أسعده خجلها لهذه الدرجة، تلك التصرفات غير
الواعية، ترقق تعابيرها التي رمقته بكره لعدة أشهر، المسافة التي لم تعد
تصرّ على اتساعها، ونبرة صوتها التي فقدت شيئاً من برودها السابق،
جميعها كانت كافية لإشعال الأمل في داخله مجدداً، مبشراً بدفء قريب
ظن أنه لن ينعم به أبداً.

نقلها إلى الحدائق الداخلية للقصر، وسار بجانبها على الممرات
الحجرية، كانت الشمس تميل نحو الغروب، ولون السماء يتبدل بين
الذهب والنحاس.



استشعرت تريشا نبض الأرض الجديد أسفل قدميها، بدايتها الجديدة بعد سباتها العميق، ثم تأملت أشجار الحديقة المزروعة حديثاً، كيف أنها ما زالت صغيرة، وكيف أن الزهور لم تتفتح بالكامل بعد، تشتت نفسها بأي شيء عن الخجل غير المعهود بينهما.

عند منعطفٍ صغير، توقفت تريشا فجأة، وحدّقت في مساحة ترابية ممتدة، تتوسطها شجيرات نصف يابسة وأرض غير مكتملة الزراعة.

التفتت إلى وارويك بنظرات متسائلة فقال مفسراً:

«المملكة لم تُرمَّم بالكامل، لدينا قصور في الأيدي العاملة كما تعلمين».

أعادت نظراتها المتفكرة إلى المساحة المهملّة، ثم قالت بعد لحظة:

«لم لا تدع والدتك تهتم بها كجزء من علاجها؟ العناية بحياة شيء ما، ولو كان نباتاً، ترمم القلب بطريقة مختلفة».

نظر إلى الحديقة مطوّلاً قبل أن تظهر ابتسامته:

«فكرة جميلة».



تابعا السير بتأنٍ حتى وصلا إلى مقعد حجري بجوار نباتات لافندر
قصيرة، لكن وارويك لم يجلس معها، بل استدار بشكل مفاجئ وكأنه
تذكر شيئاً ما:

«انتظري لحظة».

نظرت باستغراب إلى بقعته الخالية، التي سرعان ما ظهر بها مجدداً،
يحمل بين يديه سلة الفراولة المعتادة، جلس إلى جوارها ووضعها في
حجرها وهو يتنحنج، ويتجنب النظر في عينيها.

رفعت الغطاء مبتسمة:

«الفراولة مجدداً؟».

أخرجت حبة لتذوقها فيما نظر هو إلى الجانب الآخر متمتماً:

«لأنك تحبينها».

تجمدت يدها قبل أن تصل إلى فمها، كانت إجابته بسيطة..

لأنك تحبينها.

لكنها حركت بداخلها شيئاً لم يلمسه أحد من قبل، رمشت
عدة مرات لتمنع دموعها من خيانتها، ثم تذوّقت الفراولة بتمهل،



متجاهلة يد وارويك التي اشتدت حول ركبته، في دلالة واضحة
لشفافية الرابطة.

شتتها طعم الفراولة، واستقبلت ذلك العذر بأذرع مرحبة، هزت
رأسها منبهرة:

«عليك أن تخبرني عن مصدرك السري، لا يُعقل أن تجد هذا النوع
بسهولة».

ابتسم بغرور، لكنها شعرت بارتباكها الذي خبأته ملامحه جيدًا:
«ربما سأشاركك المصدر في يوم ما».

ضحكت بخفة، لكنه لم يجرؤ هو على النظر نحوها، كأنه يتهرب من
عينها، وكان وجهه يميل إلى الاحمرار كذلك، فعلمت أنه يخفي شيئًا.

أمسكت فراولة أخرى مستطردة بنبرة فيها بعض المكر:

«سأقنعك بمشاركتي مصدرها قريبًا جدًا».

بدأ بهز رأسه لكنها قاطعته مؤكدة ثقته:

«لا تستهن بجاذبيتي».



ضحك حينها، ثم ألقى ذراعه فوق ظهر المقعد بحاجب مرفوع:

«ليس لدي شك في أنك أخطر مما تُظهرين، لكنني لست كأني ساحر آخر».

أخذت فراولة أخرى وهي تتأمل الحديقة ظاهرياً، وتتجنب نظراته العابثة سرّاً، تقول بتحدٍّ لاه:

«سنرى كم ستصمد».

ارتفعت زاوية شفثيه، وقبل التحدي بحماس:

«سنرى».

في تلك اللحظة، كان الهواء بينهما محملاً بعطرٍ خفيف، كما كان قلباهما عمليين بالرضا، وارتخت دفاعاتها لبرهة، رغم أن ما يجمعهما لم يكن كثيراً، إلا أنه كان كافياً.



خبرة مفاجئة



انساب ضوء الشمس بين أوراق الأشجار حديثة الغرس في الحديقة الملكية، حيث جلست تريشا على المقعد الحجري قرب إيلا، تراقبها وهي توجّه إحدى الخادومات إلى موضع الشتلة التالية، مشهد يكشف عن تعافٍ لم يكن ممكنًا قبل أسابيع.

لا تزال الحديقة في بداياتها، فالمسارات الترابية لم تُمهّد بعد، وأوراق الشتلات الصغيرة ترتجف كلما مرَّ نسيمٌ خفيف، ومع ذلك، كان التغيير في إيلا جليًّا، في نظراتها ونبرتها وحتى في طريقة وقوفها، لم تعد المرأة المحطّمة التي وجدتها متجمدة أمام النافذة، بل بدأت تسترد شيئًا من نفسها.

أعلنت تريشا بنبرة حازمة لطيفة بعد لحظات:

«حسنًا، لنكتفي بهذا القدر».

ابتسمت السيدة إيلا برقةً، ودعت تريشا ثم انسحبت إلى جناحها مُتّبعة بالخدم، تاركةً خلفها رائحة التراب الرطب والكثير من الأمل.

بقيت تريشا جالسة وحدها في الحديقة، تحدّق في الأفق، حيث كانت الألوان تتداخل في تناغم خلاب، بينما كانت العصافير الصغيرة تزقزق من مكان قريب.



اعتادت لقاء وارويك هنا بعد كل جلسة، لم يكونا يتحدثان كثيراً، لكنه كان يحضر بنظرات متعبة يومًا، وابتسامة عابثة يومًا آخر.

أما اليوم، فطال الانتظار، فتلفتت كل حين، تتوقع سماع خطواته، أو رؤية طيفه، أو حتى الشعور بتغير النسبات في مجرى الهواء مشيرةً إلى اقترابه، لكن لم يحدث شيء من ذلك.

مرّت دقائق كثيرة قبل أن يأتيها ديمريك، حيّاها بتحيةٍ رسمية ثم قال:

«عذرًا يا آنسة تريشا، القائد وارويك منشغل اليوم في سلسلة اجتماعات طارئة، لن يتمكن من مقابلتك».

شعرت دون إرادة منها بشيءٍ ينعصر في صدرها، لم يكسر وعده أو يتجاهلها عن قصد، لكنها لم تستطع منع الخيبة من التسلل إليها.

ذكرت نفسها بأنه ليس مجبرًا على الحضور، لكنها كانت بحاجة إلى هذا اللقاء، لتأجيل وحدتها التي تنتظرها في المملكة، فلم يكن من السهل عليها الآن أن تعود أبكر مما توقعت، بعد أن اعتادت هذا المهرب.

اكتفت بإيماة سريعة، تحاول إخفاء ما استطاعت من الإحباط، ثم



سألت بصوت متماسك:

«هل لي أن أتمشى في الحديقة لبعض الوقت؟».

تردد ديمريك قليلاً، ثم قال مثل طفل ينتظر إذن والده:

«انتظري لحظة، سأستأذن القائد».

ابتعد تاركاً إياها وحدها، أمام شجيرات لم تنمُ بعد، فارتجفت
مشاعرها اليانعة كما ارتجفت أوراق الشجر الصغيرة.

كان قلبها في تلك اللحظة مثل تلك النبتة الضئيلة، غُرست على
عجل في حديقة لم تألفها بعد، تتحسس التربة وتجرب ثباتها، تنتظر ما
إن كانت هذه الأرض ستمنحها ما يكفي للحياة، أم ستخذلها وتركها
للجفاف.

ورغم أنها لم تكن معتادة على التعلق، ولا تعرف كيف تثق بجذور
لم تتعمق بعد، فإنها سلمت قلبها لهذا القصر، أو بالأحرى، لقائده.

بدأت الوحدة تُنزل ظلالها عليها، فمررت يدها على مسند المقعد
البارد، تحاول أن تشتت نفسها بأي شيء حولها.



لكنَّ الحجر تحتها بدا وكأنه يشاركها الخذلان، رفيقًا منسيًا يجلس إليه العابرون طلبًا لراحة مؤقتة، ثم يتركونه وحده لأسابيع طويلة دون ونيس، ما زاد تكدُّرها.

كانت لعنتها كمطيِّبة أنها تشعر بكلِّ شيء، بما في ذلك الأشياء التي لا روح لها، مثل الصخور الراقدة تحت أقدام السائرين، أو الأبواب التي تُغلق بإهمال.

أما الحجر تحتها، فشعرت أن سكونه إرهاق، وثباته وحدة، وثقله عجز.

كل ما حولها يئن، وهي الوحيدة التي تسمع، قلبها يتسع للجميع، لكنه لا يجد من يُفسح له القليل.

أغمضت عينيها لبرهة، محاولة طرد ذلك الشعور الذي يعتريها بين الحين والآخر، لكن القلب لا يكثر كثيرًا بما يمليه عليه العقل.

كان بإمكانها النهوض والمغادرة فورًا، فالانتظار يرهقها لسبب ما، لكنها جلست تنتظر الجندي الأصهب، أو هكذا أخبرت نفسها، فيما الحقيقة كانت أنها تنتظر شخصًا آخر.





كان وارويك منكبًا على الخطط الأمنية، يتناقش مع القادة، يحدثهم
بحدّة تارة، وبهدوءٍ حاسم تارة أخرى، الخرائط ممدودة على الطاولة،
والأحاديث لا تنقطع.

لكنه وسط كلّ ذلك، لمح الساعة المعلقة على الجدار، ليدرك أن
الوقت مرّ أسرع مما توقّع، أدار وجهه نحو ديمريك المتمركز خلفه
وقال بنبرة منخفضة، بالكاد تقطع ضجيج الغرفة:

«أبلغ الجنية أنني لن أتمكن من الخروج اليوم».

أوما ديمريك وخرج سريعًا، فأعاد وارويك انتباهه إلى الطاولة،
وعينه تنفحصان التحركات على الورق، وصوته يستأنف التوجيه.

لكن بعد دقائق قليلة، وبينما أحد القادة يعرض مقترحًا مطوّلاً،
ارتفع حاجباه فجأة عندما اجتاحت صدره مشاعر خيبة ليست له.

أحاسيس واضحة ودافئة رغم ألمها، لم تبعثها الرابطة لتؤذيه، بل
لتخبره فقط:

(كانت ترجو لقاءك).

ارتسمت على شفثيه ابتسامة خفيفة، تبعثها ضحكة صغيرة خرجت
منه على غفلة، لم يكذب صدرها حتى التفت إليه من حوله باستغراب.



هز رأسه ملوِّحاً لهم:

«تابعوا».

لكن مزاجه تبدَّل، التحمت شقوق قلبه بلطف، وتبدَّد الضيق
الذي لازم يومه، عاد ديمريك بعد قليل، وتقدَّم إليه بانضباط:

«الجنية تسأل إن كان يُسمح لها بالتنزُّه في الحديقة وحدها».

ساد الصمت لحظة قصيرة قبل أن يجيبه وارويك بنبرة دافئة تسللت
سعادته عبرها:

«بل القصر كله مسموح لها».

اتسعت، ابتسامته حدًّا ألام، وأضاف كأنه يقوِّلها لنفسه لا للجندي:

«فلتبقَ فيه كما تشاء، لن يضيق القصر بها أبداً».

تبادل القادة النظرات، بينما رمش ديمريك عدة مرات بتعجب، ثم
تدارك نفسه وأوماً بسرعه قبل أن يغادر، تاركاً خلفه قائداً لم تتزحزح
جديته في العمل، لكن شيئاً في ملامحه بدا أكثر ليونة.

مصدر حنون



عاد ديمريك أخيراً إلى تريشا، يحمل رسالة وارويك على استحياء:

«القائد سمح لك بالبقاء كما تشائين، يقول.. القصر كله.. لك».

توردت وجنتاها، وحاولت ألا تتلعثم، لكن فمها أطبق بين الحروف رغماً عنها:

«شك.. شكراً.. لك، أو له؟».

ارتبك ديمريك وتلعثم هو الآخر:

«له.. شكراً له.. أو ربما.. لي؟ لا أعلم».

هز رأسه كما لو أنه يود نفرض حالة التشوش تلك، ثم قال باستعجال:

«يومك سعيد».

ضحكت حينها، لم تعلم من أين أتت أو كيف تسللت قهقهاتها دون أن تلاحظ، لكن ارتبأكه وخجله أعلمها أن داخل ذلك الجسد المحارب قلباً مسالماً لا يجيد الخداع.



حدّق بها ديمريك حتى احمرت أذناه من الحرج، ثم أوماً بهدوء
يناقض ما بداخله من اضطراب، واختفى عائداً إلى الاجتماع.

تلاشت ضحكتها القصيرة عندما أدركت أنها بقيت وحدها مرة
أخرى، وتضاءلت ابتسامتها عندما تذكرت أن لا رفيق ينتظرها اليوم،
ولا واجب يقيدّها.

لم يكن أمامها سوى الوقت، والكثير من الأفكار التي تزحف إلى
رأسها كلما خفّ الضجيج في الخارج، لذا نهضت، وبدأت تسير على
مهل، تمرّ أصابعها على سيقان النباتات القصيرة، وتغرق في تفاصيل
الحصى المبعثر بين البلاطات، وشيئاً فشيئاً، وجدت نفسها تغرق داخل
رأسها، كانت ماجيسيا موطنها الظاهري، لكنها لم تشعر بالانتماء أبداً،
فمنذ أن وُلدت، لم تجد يدًا تمسك يدها، ولا قلباً يضم وحدتها، بل مجرد
مهام تُلقَى على كتفيها، وأوامر تشغل تفاصيل يومها.

وحيث أوكلت إليها مهمة العناية بكيارا، ظنّت أنها فرصتها الكبيرة،
التي ستخرج بها من عباءة «الروح الناعمة»، وستصبح جنية مهمة، لا
هامشية.



لكنها ما لبثت أن تورّطت في شيء أكبر.. الحرب.

تذكّرت خياراً، تذكّرت تعابيرها، وارتجافها، وكيف وقفت يومها في ساعة المعركة ضائعة، لذلك لم تترد في التدخل، لأنها تعرف معنى أن تُترك، أن تقف وحدك أمام الصعاب، أمام الخوف، تعرف كيف يكون العالم حين لا يوجد أحد يراك، ولا أحد ينقذك.

فانتهت فرصتها الكبيرة بالسجن، لا بالتكريم، وعوضاً عن الترقية والاحتفاء حُكم عليها كما لو أنها لم تكن سوى مذنبه وضيفة في سجلّ المملكة.

وهناك، خلف القضبان التقت بالسبب في انحدارها أكثر، في تغيير موضعها، ليس فقط في النظام، بل في قلوب سائر الجن.

لم تكن نادمة، فجميع قراراتها كانت بدافع حماية الآخرين، لكنها كانت وحيدة في كلّ مرة، لم يُشاركها أحد الأعباء، ولم يدافع عنها أحد حين انهالت الأحكام.

تفهمت تلك النتيجة، بل تقبلتها مسبقاً، لكنها تأملت أن يتقدم أحد، أن يرافوا بها، وفي النهاية أخذت العقوبة نيابةً عن الجميع،



وتحمَّلتها دون جدال، حتى باتت تعرف أن للوحدة وجوهاً كثيرة،
وقد رأت أبشعها مؤخرًا.

شردت بأفكارها حتى تاهت قدماها، وأوصلتها إلى حافة ممرٍ غير
مأهول، رفعت عينيها فرأت صوبة زراعية كبيرة الحجم، عادية البناء،
لكن شيئًا ما جعلها تتوقف.

كان هناك حارسان أمام الباب الزجاجي، يقفان باستقامة وجمود،
كأن المكان يحوي شيئًا أثنى مما يبدو، فاقتربت بتؤدة، تحدَّق في الزجاج
الذي عكس صورتها دون أن يمنحها أي فكرة عما خلفه، وقبل أن
تخطو أكثر تحرَّك أحد الحارسين ليقف أمامها.

قال بنبرة رسمية:

«هذه الصوبة خاصة بالقائد وارويك، ويمنع دخولها».

حدَّقت فيه متعجبة، ولكن قبل أن تتكلم مال الحارس الآخر
وهمس شيئًا في أذن زميله، وما إن انتهى من كلماته، حتى ارتبك الأول،
وتنحنح قائلاً:

«عذرًا يا آنسة، تفضلي، يمكنك الدخول».



رفعت حاجبها في مزيج من الاستغراب والفضول، ثم تقدمت بتمهل عندما فاز فضولها، أدارت المقبض بحذر، ودخلت متوجسة مما يخفيه المكان.

في اللحظة الأولى، لم تر شيئاً غير صفوف النباتات الخضراء، فأخذت خطوة أخرى وهي تحاول فهم علاقة وارويك بها أمامها، لكنها حين خطت خطواتها التالية شهقت دون صوت.

في صفوف طويلة ومتناسقة، تتخللها عمارات ترابية ضيقة، امتدت نباتات الفراولة بعناية واضحة، تستند سيقانها الرفيعة بثبات، وتوزعت الثمار بنضج متقارب، وتقلمت الأوراق بعناية، حتى أن المكان حمل دفئاً ناعماً يشبه حديقة كوخ صغير، يعتني بها صاحبه بنفسه، بيد صبورة تمرّ على كلّ نبتة على حدة، لتدرك تريشا حينها، لم يكن هناك مصدر خاص للفراولة، بل كان هو المصدر.. يزرعها بنفسه.. بيديه، فتذكرت صوته حين قال:

«كنت أظن أنني سأمتهن الزراعة».

دخلت وهي تنظر حولها، حبات صغيرة مكتملة اللون، مرصوفة



في تربة نظيفة، تحيط بها أدوات صغيرة تلوثها آثار الاستخدام، توحى
بأن أحدهم يأتي كل صباح ليهتم بها.

تجمدت في مكانها بعدم تصديق، لكن ذكرياتها أتت تثبت لها
الحقيقة، الخجل الذي يرسم ابتسامته، ونظراته المرتبكة حين يمنحها
الفراولة، كلماته المترددة، كلها لم تكن عابرة.

ومرة أخرى، شعرت بسببه أن هناك من يفكر بها، ويسخر وقته لها،
ويعمل بصمت، كما اعتادت هي أن تفعل للآخرين.

غمرها شعور دافئ جعل قلبها يتسع، وضحكتها الناعمة تتسلل،
لكنها لم تلبث حتى شعرت بوجوده خلفها، استدارت رويداً، وفي
عينها انبهار وارتيابك لطيف، لتجده واقفاً هناك عند المدخل، يتأملها
بنفس الارتباك.

لم يتوقع أن ترى صوته، وهي لم تتوقع أن يفعل كل هذا لأجلها،
لذا، لم يقل شيئاً في البداية، بل راح كلٌّ منهما يرمق الآخر، كأن كليهما
ضُبط متلبساً.

قال أخيراً محاولاً التخفيف من إحراجهِ ومن ثقل اللحظة:

«ظننتكِ ستكشفين المصدر بجاذبيتكِ، لا بتسللك».



رفعت حاجبها متظاهرة بالاستنكار:

«تسلل؟! أنت الذي لم تخفِها جيدًا، كما لو كنت تريدني أن أراها».

ردٌّ باندفاعية لاهية:

«كيف أخفي صوبة بهذا الحجم؟».

ضحكت وهزّت رأسها، ثم تقدمت خطوة نحو النباتات، تتخيل
كل لحظة سحرها من أجلها، كل صباح قضاء هنا، يزرع، يروي،
يتطلع للنتيجة.

كانت تحاول تجاهل شعورها بنظراته نحوها، لكنها لم تستطع
الادعاء أكثر، فاستطردت بنبرة مداعبة:

«زراعتك لكل هذه الكميات يجعلني قلقة نوعًا ما».

ردٌّ بعبث وهو يطوي ذراعيه:

«هل أنت قلقة عليّ يا تريشا؟».

رفعت ذقنها بتعالٍ مصطنع:



«بل قلقه من أنك تخطط لإغراقي في الفراولة حتى لا أهرب».

لكم الهواء بتنهيده درامية:

«اكتشفت خطتي العظيمة! يا للأسف، سأضطر إلى إعادة التفكير في كل شيء».

ضحكت وهي تلعب بخصلات شعرها لا شعورياً:

«أخبرني، هل تسقيها بنفسك، أم تكلف أحد جنودك بذلك؟».

تأمل شعرها بدرجات الأحمر المختلفة بشكل طفيف فيه، متسائلاً
إن كان الوحيد الذي لاحظ ذلك الفرق، ازدرد ريقه ليعود إلى رشده،
وأوماً مشيراً إلى سطول ماء صغيرة في الزاوية:

«أجل، أسقيها بيدي، وأحادثها أيضاً، أخبرها عن إنجازاتي
اليومية، ومدى عظمة المزارع الذي يرويها و..».

قاطعته وهي تربت على فراولة أمامها:

«يا لك من نبتة صبورة، لهذا السبب طعمك لا يضاهي، تمرّين
بالكثير من الصعاب».



التفتت إليه لترى أثر سخريتها، لكنها وجدته مبتسماً ابتسامة جانبية

مشاكسة:

«طعمها لا يضاهي إذن».

تورّدت وجنتاها، وابتسمت رغماً عنها، حاولت تجاهله لكنه رفع حاجبيه مقرباً:

«حسنًا، الآن دور اعترافك».

رمقته بحيرة فأضاف:

«لقد كنت متضايقه قبل قليل، في تزامن مثالي مع وقت اعتذاري عن لقاءك».

هزّت كتفها تتصنع اللامبالاة:

«أنا؟ إطلاقاً، تضايقت من انتهاء جلسة والدتك مبكراً».

قال متظاهراً بالغيرة لكن الرابطة أرسلت لتريشا أن الشعور حقيقي:

«هل باتت جلساتها أحب إليك من نزهااتي؟».



ردّت وهي تشيح بوجهها لتخفي ابتسامتها:

«ربها».

ضحك ضحكة قصيرة خافتة، ثم نظر إليها لبرهة شاعرًا بومضات
عدم الارتياح التي أتنه منها، وتحركات يديها المترددة، وكأنها ما زالت
تجد نفسها دخيلة، فقال بامتنان رقيق:

«أنا.. سعيد، أنك وجدتِ الصوبة».

التفتت بنظرات مكشوفة وشفيتين منفرجتين، تابع بصوت أقرب
إلى الهمس، لا يريد لتلك الكلمات أن تُفسد المزاج:

«لكان الأمر سريًّا للأبد.. إن لم تجديها بنفسك».

ابتسمت برقة خالطتها المداعبة:

«من المحزن أن تبقى هذه المهارة طي الكتمان، أرى أن تبدأ في زراعة
التوت والكرز، ربما العنب كذلك....».

قاطعها بنبرة منخفضة، أوحى لها أنه يعني كل كلمة:

«سأزرع حدائق القصر كلها إن أردت».



اضطربت نبضاتها حتى تشوشت رؤيتها، ولعلمها أن الرابطة
ستخبره، حاولت استدراك قلبها سريعًا، رفعت كتفها بتعالٍ لا
يشبهها أبدًا، ثم قالت مهددة بسبابتها:

«سأحاسبك على هذا الوعد، لا تندم لاحقًا».

رفع يديه دلالة استسلامه، ثم تبادلًا نظرات لعبوية خفيفة، لكن
خلفها صدقًا وارتباكًا وشوقًا لن يعترف به أحد، ورغم أنها يريان
الأقنعة؛ واصلا الاختباء خلفها، وكأن تلك اللعبة بينهما أصبحت
الوسيلة الوحيدة للبقاء آمين.

لكن الرابطة لها رأي آخر، تراقب بهدوء، تبتسم، وتهمس:

«لن تختبئا طويلًا».



اعذار واعنداء



كان وارويك واقفاً قرب جناح والدته، يحدّق في الأرض متوجساً
من تأخّر تريشا غير المعتاد، كان ليرجح أنها تأخّرت لأسباب غير
مقلقة، عدا أن الرابطة بعثت له توترها.

لم يمض وقت طويل منذ آخر طقس، ولا تنقل الرابطة المشاعر
بتلك الحدة إلا عند امتناعها عن اللقاء لعدة أسابيع، لكنه رآها قبل
أيام قليلة، ولم يكن من المنطقي وصول توترها إليه بهذا القدر إلا في
حالة واحدة؛ وهو أن شعورها صار عارماً حتى فاض نحوه.

رفع بصره عندما سمع قفل الباب، فرأى والدته تقف هناك، كانت
ملاحظتها أكثر هدوءاً عن السابق، وعيناها تعكسان صبراً جديداً مبشراً.

لم يكن وارويك مستعداً لرؤيتها بعد، لذا، حاول السيطرة على
نبرته وهو يعلمها بغياب المطيية، لكنه تلعثم رغماً عنه:

«ت... تريشا تأخّرت.. اليوم».

ابتسمت ابتسامة صغيرة، ساكنة وصافية:

«أنا ذاهبة إلى الحديقة كالمعتاد على أي حال».



ثم بدأت تمشي بخطوات رزينة، ومن خلفها الخدم، مرّت بجانبه دون أن تُعلّق، لكنه شعر بها تنظر إليه من طرف عينها.

قطعت نصف الطريق قبل أن تتوقف وتستدير نحوه، قائلة بصوت خافت لكنه سمعها جيدًا:

«ألن تأتي؟».

وقفت هناك تنتظر ردّه، بينما وقف هو متجمّدًا مكانه، شيء ما يمنعه، ربما التردد، أو ربما الخوف من أن يكون هذا التقارب هشًا وسينهار بكليهما قريبًا.

لكن إيلا لم تنتظر طويلًا، تابعت بكلمات مباشرة لا مجال للانسحاب منها:

«هيا، شاركني لهذا اليوم فقط».

تقدم بقلب مرتجف، وسار إلى جانبها دون أن يتحدث معها أو يسأل عن حالها، شاعرًا أن هذا السكون لم يكن سوى هدنة ستنتهي فور اعتياده عليها.



خرجت إيلا إلى الحديقة، وبدأت تتفقد النباتات الصغيرة التي
زرعتها مع تريشا، فانحنى وارويك يراقبها وهي تتحسس الأوراق
برقة، تمسح عن بعضها التراب، وتثبت أخرى بدعائم خشبية رفيعة.

تعجّب في بادئ الأمر من ذلك المشهد، فلم يرها تشغل يديها بشيء
قط، كانت تقف بجانب والده فقط، وتسانده في أي ظرف، لكنه بعد
عدة دقائق من مراقبتها رأى في تحركاتها شيئاً من الأمومة التي احتوته
بها في صغره، رعايتها للزهور، وحرصها على ثباتها، ريثما للتربة،
واهتمامها بأدق التفاصيل، مثلما كانت تعتني به في زمن بعيد.

التفتت إليه فجأة، ومدّت له إحدى الشتلات:

«ثبتها هنا».

تناولها منها بأفكار متشتتة، محاولاً التفريق بين توتر تريشا ومشاعره
الخاصة مما يجري، لكنه باء بالفشل، فبدأ العمل بصمت مشدود.

لم يتبادلا الكلام، ولم يُسمع سوى صوت الأدوات، وحفيف
الأوراق، وتنفسهما، فيما كانت إيلا تستجمع شجاعتهما، وعلى عكس
ثبات يديها كان قلبها أشدّ ارتجافاً منه، فتكلمت في النهاية وهي تشغل



نفسها بغرز أحد الأوتاد:

«لم يبدأ الألم حين مات والدك».

تجمدت يدها عن الحركة، ثم رفع بصره نحوها بتردد، وتابعت هي
دون أن تنظر إليه:

«بل بدأ يوم فقدت أخي إيلاكاي، لم يكن مجرد أخ، بل كان ظلّي،
نصف قلبي، لم أسمح لنفسي أن أضعف حينها، فقد كنت ابنة القائد،
وأعلم أن ضعفي سيتبعه انهيار».

توقفت لحظة لتعيد استقرار أنفاسها كما علمتها تريشا، ثم أكملت
وهي تزيل الأعشاب الميتة من حول نبتة أخرى:

«ثم خسرت ماغوس، لا أستوعب موته حتى الآن، ربما لأنني
لم أسمح لنفسي أن أحزن كما ينبغي، كنت زوجة القائد حينها، أم
العشيرة، كيف لي أن أنحني من الألم وهم يرفعون رؤوسهم بي؟».

أخففت نبرتها وكأنها تعترف بسرّ دفين:

«ثم أنت، حين انشقت عنا، شعرت وكأنني فقدتك حيّاً، كان



غيابك كالخيانة، لأنني لم أعد أراك كلَّ يوم، لم أعد أعرفك، لم أعد أمّا لك إلا في الذكريات.

سكنت مجددًا لتريح قلبها وتعيد توازن صوتها، وهي تبعد بعض الحصى من حول جذر شتلة جديدة، ثم أردفت:

«ثم إدريفيار، ولدي ووالد أحفادي، سند والدك الأخير».

توقفت يداها عن العمل هامسة:

«لم أسمح لنفسي بالانهيار في أي مرة فقدت فيها أحدًا، تماسكت ودفنتهم داخلي، قاومت ضعفي لأجل العشيرة، لأجل والدك، لأجلكم».

تنهّدت تنهيدة ثقيلة، وغرست يدها في التراب:

«لكنني كنت أنزف كلَّ يوم، كلَّ لحظة، جروحي لم تنغلق أبدًا، ظلّت تنزف حتى تعفنت، حتى تضاعف الألم بشكل لا يُحتمل».

نظر وارويك إلى يديها المتسختين بالتراب، بينما أكملت بنبرة اختلطت بالخزي:

«ثم جاء دور والدك، أنت تعلم قوة الرابطة، ليست مجرد ارتباط، بل تلاحم أرواح، كان موته..».



ارتعش صوتها، لكنها أجبرت نفسها على المتابعة:

«أردت أن ألحقه...».

اتسعت حدقتها، وهوى قلبه لمجرد التفكير في ذلك الاحتمال، وعلم حينها أنه لم يكن ليصمد أكثر إن فعلتها، كان سيلحقها هو الآخر.

التفتت إليه للمرة الأولى منذ بداية حديثها، نظرت إلى عينيه المصدومتين بعينين دامعتين وبابتسامة مكسورة:

«لكنك كنت هنا، أنت من أبقاني».

أنزلت نظراتها إلى يدها المرتعشة:

«ما زال ضميري يؤنبني، ويعتصر الذنب قلبي كلما فكرت بك، وكم كنا جميعًا ضدك، ضد حبك لكالونيس، وكيف حرمناك من حقك في الاختيار».

شدَّ وارويك قبضتيه عندما تقطع صوت والدته إثر البكاء:

«وأتساءل دائماً، ربما.. ربما لو دعمناه، لما لجأ إلى ما لجأ إليه، ربما لو



توسلت إلى إلوديوس أكثر، لربما سمعني، لربما اقتنع، لكنني تهاونت،
وخسرت عائلتي في المقابل».

ابتسمت بحسرة:

«ثم كنت أنت أمامي، الوحيد الباقي منهم، وبدل أن أتمسك
بك، بدأت أحملك الذنب، ألقيت اللوم عليك عوضاً عن نفسي، لأن
مواجهتي لذاتي وذنوبها وآلامها أقسى من كل شيء».

مدت يدها وأمسكت برسغه:

«أنا آسفة يا وارويك».

اختنق صوته بالعبرة، ولم يعرف كيف يتحرّك، قال أخيراً بصوت
منخفض:

«أمي، لست الملامة، فلم يكن بوسعك أن...».

قاطعته بالحاح:

«أنا آسفة يا بني».



كانت تحفر التربة بأصابع يدها الأخرى، كما لو أنها تذكر نفسها
ببدايتها الجديدة وتمسك بها، أضافت بصوت متهدج:

«ساعني على كل ما قلته، وعلى كل ما لم أقله، ساعني لأنني لم أكن
الأم التي تستحقها».

أخرجت يدها من التراب، وضمتها أمام قلبها، قبل أن يرتجف
جسدها بالكامل، انتصر الألم وانهمرت الدموع على وجنتيها بلا
صوت.

كانت دموعها وديعة، وليست صاخبة، بل انكساراً ناعماً يشبهها،
حتى عندما سمحت لنفسها بالتحطم، فعلتها برقيّ.

لم يتحمل وارويك النظر إليها وهي بتلك الحالة، فمدّ ذراعيه
نحوها واحتواها داخله، لم ينبس ببنت شفة، لكنه ذرف دموعه على
كتفها.

لم تكن دموعه دليلاً على غفرانه الصادق فحسب، بل تصدعاً مماثلاً
لها، اعترافاً أخيراً بضعفه، وبأنه لم يعد يملك القوة الكافية ليكتم ما
يعتمل في صدره أكثر.



بادلته العناق بقوة، وعاهدته بخفوت:

«أعدك أنني سأتحسن، سأصبح الأم التي تحتاجها، لن أكون السبب في جراحك مجددًا، ستجدني بجانبك عندما تكون في أمس الحاجة للحضن، سأعوضك، عن العائلة التي خيبتك، وعمن فقدتهم، أعدك».

تراجعت لتمسح دموعه براحة يدها، كما كانت تفعل في طفولته، ثم ابتسمت له بامتنان، لوجوده، لصبره عليها، لتحمله وحده ما كان ينبغي أن يقسم عليها.

قالت بنبرة أكثر صفاءً:

«لنحیی هذه الحديقة معًا، ونبدأ من جديد، ما رأيك؟ ألم تكن تحلم بأن تصبح مزارعًا؟».

ضاحت عيناه في ابتسامة متفاجئة من تذكُّرها لذلك، وضحك بخفة:

«صحيح».



اتسعت ابتسامتها ورقّت عيناها لسماع ضحكته، ثم قالت بصوت
متّرن وجاد:

«ربما لم يتأخر الوقت، ربما من الأفضل أن تترك هذه العائلة القيادة
لمن يريدّها، ربما حان دورنا لنعيش بسلام».

رمقها بدهشة وتعجب:

«أمي.. أنا..».

ربت على صدره:

«أيّا كان قرارك، سأساندك وأدعمك بلا شروط».

ابتسمت بعزم ناظرةً حولها:

«أما الآن، فهدفنا هو هذه الحديقة».

نظر إليها لحظة أخرى، يحاول التأكد من أنه لا يحلم، ثم أوماً
موافقاً، وباشرا العمل معاً في زرع البذور في صمّ مشرق، بعد أن
امتزجت الابتسامات بالدموع، والنهايات بالبدايات.



حتى داهمته مشاعر كانت بعيدة، واقتربت بسرعة مفاجئة، حتى
أصبحت جارفة لكل شيء آخر:

خوف، هلع، وألم نافذ..

ألم لا يشبه الإصابة في معركة، بل يشبه التعرض لضرب مبرّح، أو
التعذيب، شيء يأتي من جميع الجهات.

تجمد في بقعته، وجهه شاحب وأنفاسه مختنقة، مدركاً أن تريشا تتألم،
وهذه المرة لم تنقل الرابطة إحساسها الداخلي فقط، بل ألمها الخارجي
أيضاً، وهو يعرف هذا النوع من التزامن جيداً:

العجز، العجز عن الصراخ، عن الدفاع، عن النجاة.

شعر بروحه تُنتزع معها، مدركاً أنها الآن في ماجيسيا، وهو عالق
في ستونهنج، ولا يملك أي وسيلة للوصول إليها.



انتظار و عجز



عند موعد الجلسة التالية قصد وارويك جناح والدته مبكرًا،
ووقف في الممر الهادئ منتظرًا وصول تريشا.

كان يراقب باب الجناح بين الحين والآخر، يترقب أن يُفتح ويراها،
لكن الوقت مرَّ بلا حراك، فرفع يده إلى صدغه، يضغط على موضع
الآلم الذي لم يكن له.

لم يعد الألم القادم من تريشا حادًا كما في ذلك اليوم، لكنه ظلَّ نابضًا
ومستمرًا، كجرح لم تُغلق غرزه بعد، فأدرك أن الكدمات ما زالت
عليها، وأنها لم تبرا بعد.

فُتح الباب أخيرًا، فنهض من فوره متلهفًا، لكن تعابيره ذبلت
عندما وجد أنها الخادمة، سألها بصوت مستقر يخفي توتره:

«هل ما زالت تريشا في الداخل؟».

رمشت عدة مرات بضياع، ثم أجابته بنبرة رسمية ومهذبة:

«لم تأتِ اليوم، يا سيدي».

حدَّق بها وكأنه لم يستوعب الأمر، ثم أومأ وابتعد ببطء، لكن
قبضته انغلقت بقوة، محاولاً كبج القلق المتصاعد بداخله.



عاد إلى الممرّ نفسه عند الجلسة الثالثة، يواجه الباب، ويحدق في الأرض بين قدميه، ثم يرفع رأسه نحو الممرّ الفارغ عليها تظهر فجأة.

مرّ الوقت بطيئًا وثقيلًا، حتى بدأ يحصي الدقائق والثواني بين أنفاسه، وبعد لحظات طويلة خرجت الخادمة نفسها، وهذه المرة كان معها خادمة أخرى.

توقفت حين رآته، والتفتت إلى زميلتها وكأنها كانت تحدثها عنه قبلها، ثم قالت بذات النبرة المهذبة، لكن وارويك سمع شفقتها بين الحروف:

«لم تحضر الجنية اليوم».

انصرفا من أمامه، بينما بقي هو في بقعته بضيق، يشعر بألمها، ويعجز عن التصرف، لم يفهم لماذا لم تُعالج بعد؟ لماذا لم يداوِ جنّي آخر ألمها؟ هل كانت ضائعة؟ مخطوفة؟

كانت الأفكار تتطاير داخل رأسه يمينًا ويسارًا دون إجابة واحدة، مرّت ساعة، ثم أخرى، وفي النهاية وقف على مهل، ورحل وهو يجرّ قدميه جرًّا.



ظلَّ يراقب السقف وهو مستلقٍ على سريرهِ في تلك الليلة، أصابعه تنقر على الفراش بعصبية، وعيناه ترى صوراً بشعة كلما أغمضهما:

تريشا في مواجهة غير متكافئة، ساقطة على الأرض، أو محاطة بالجن، أو تنزف في مكان لا يعرفه، ومع كلِّ صورة كان يتوعد في سرِّهِ بالانتقام، رغم علمه اليقيني أنه ليس أهلاً لقتال الجن.

في الأسبوع التالي، توجه إلى البقعة، وجلس ينتظر، أرهف السمع لأي حركة، حتى بات يظن أحياناً أنه يسمع وقع أقدامها، لكن سرعان ما يتضح له أنه طائر يرفرف، أو أوراق تتساقط من شجرة قريبة، أو نسمة هواء عابرة.

ارتفعت الشمس وانكمشت الظلال، ومضى الوقت حتى انبسطت مرة أخرى، لكن تريشا لم تأتِ، فعاد أدراجه بخطوات أبطأ من قدومه.

تكرَّر الأمر في الأسابيع التالية، يذهب إلى المكان نفسه، ويجلس على الجذع نفسه، ويراقب الطريق نفسه، ثم ينتظر بنفس الطريقة، لينتهي بنفس النتيجة.

بدأت الرابطة بينهما تشتدُّ، وصار يستشعر نبض كلِّ شعور منها في كلِّ ثانية، امتزجت أحاسيسها بأحاسيسه، لدرجة أنه لم يعد يعرف إن كان القلق الذي يشعر به منه أم منها.



لكن رغم مرور الأيام، فإن الألم لم يختفِ، ولا الخوف، ولا الشعور
بأنها أسيرة شيءٍ يمنعها من المجيء.

وصل قبل الفجر في أحد الأيام، وجلس منتظرًا منذ أول شعاع
للسمّس، كان يتخيّل في كلّ لحظة أنها ستظهر من بين الأشجار، ثم
يعود إلى صمته خائبًا.

ظلّ هناك حتى تحولت السماء إلى عتمة مرة أخرى، وأسدل الليل
ستاره، لكنه بقي جالسًا على الجذع، فلم يستطع حمل قلبه على العودة
إلى القصر.

كان القلق يكبر كلّ يوم، يدرك أن انتظارها هنا لن يغير شيئًا، وأنها
قد تكون عاجزة عن الحضور أصلًا، ما جعل الأفكار الخطيرة تتقاطر
إلى ذهنه في الليالي الأخيرة، أفكار عن بوابات ماجيسيا، عن الطرق
المحفوظة بالموت، عن الجن عديمي الرحمة.

كان يعرف تمامًا أنه إن مضى في هذا الطريق، فربما لن يعود، لكن
فكرة الموت لم تُخفّه بقدر ما أفرعته فكرة أن تريشا وحيدة هناك.

مضى شهرٌ آخر متناقل الأيام، يزحف على أعصابه زحفًا بطيئًا، كان
الألم الذي بثّته الرابطة في الأيام الماضية قد فقد حدّته الحارقة، لكنه ظل



حيًا أسفل الجلد، يذكره في كل نفس أن صاحبه لا تزال هناك، وأن
المسافة بينهما ليست سوى حاجز مادي.

وعندما حان موعد اللقاء التالي، كان قلبه يطرق صدره بإيقاع
صبورٍ مموه، يوشك أن ينكشف، توجه إلى البقعة بخطى محسوبة،
متجهًا إلى الجذع الذي بدأ كل شيء من فوقه.

مرّت دقائق طويلة قبل أن يسمع وقع أقدام خافت يقترب من
خلفه، استدار متلهفًا، لكنه ابتلع أنفاسه حين وقع بصره عليها، فلم
تكن تريشا الرقيقة التي عهدا..

كان وجهها متورمًا، شفثاها متشققتان، وجانب من جبينها عليه
شق غائر بلون أزرق قاتم، على ساعدها آثار كدمات على هيئة أصابع،
كأن أحدهم قد قبض عليها بعنف، وعلى كتفها خدوش عميقة لم
تلتئم، كل ذلك لم يكن أثر معركة، بل أثر اعتداء كما توقع.

شيء قدر، حقير، وجبان.

ارتفع شيء في صدره، شعور لم يذق مثله من قبل، غضب خام،
فائر، وبلا ضابط، اشتعلت عيناه بذلك البريق الداكن الذي ينذر
بالانفجار، لكنه كبته كمن يمسك بقم بركان لئلا يثور قبل أوانه.



قال بصوت منخفض، بارد في ظاهره، لكن دمه كان يغلي:

«من فعل بك ذلك؟».

لم تجبه، واقتربت مثقلة بالألم، حتى وقفت أمامه، ثم رفعت يدها بتكشيرة خاطفة، كما لو أن مجرد مدّها يتطلّب منها إرادة كاملة.

بسّطت كفها نحوه إصبعًا بعد إصبع، تطلب منه أن يضع يده في يدها لإتمام طقس الرابطة، كانت شفتاها المتورمتان تتحركان بصعوبة، بالكاد تنفّلت منهما الكلمات:

«الرابطة تشدّ كلما.. تأخرنا، لم أرِدْ.. أن أعطّلك عن.. مهامك، لذا..».

مدّت يدها أكثر، لكن حدقتي عينيه اتسعتا سخطًا، وكأن كلّ عضلة فيه ترفض أن يتم الطقس وكأنه لم ير حالها، قال بصرامة تحمل في طياتها اضطرابه:

«تريشا..».

لكنها قاطعته بنبرة ثابتة رغم الضعف الذي يثقلها:

«أرجوك.. لا تسأل، فأنا لا أستطيع الإجابة، لنكمل الطقوس وحسب».



اقترب خطوة، جسده يميل نحوها دون شعور، يفتش عن أي
وميض في عينيها قد يخبره بما جرى، ألح أكثر:

«ما الذي حصل؟».

حينها تغيّرت ملامحها، بين الصراع واليأس، العجز والسخط،
فارتفع صوتها على نحو نادر:

«ليس من شأنك!».

توقّف متجمداً في مكانه، كأنها سدّت إلى صدره طعنة باردة، لم
يكن الاعتراض في كلماتها فحسب، بل في الجدار الذي رفعته أمامه
فجأة، وكأنها عادا إلى نقطة البداية.

علمت من تعابير وجهه أنها تمادت، فقررت إنهاء الأمر بشكل
نهائي، لكيلا تتعذب وتعذبه أكثر:

«تركك لتقترب أكثر من اللازم، حتى ظننت أن لك الحق في
التدخل فيما لا يعنيك».

هزّت يدها الممدودة بينهما:

«فلننه الطقوس لأعود، لقد مللت هذا اللقاء القسري».



شعر بالصدّ كوخزات لاذعة تنغرس في قلبه، فزَمَّ شفّتيه فيما
انكمش شيء في داخله وهو يقاوم غريزة الانفجار، ثم أعاد الصمت
إلى تعايره وأجلّ انهياره إلى وقت آخر.

رفع يده أخيراً، وصافح يدها سريعاً، كانت يده باردة أمام دفء
يدها، لكن حرارتها لم تكن حرارة حياة، بل حرارة جسد يتصارع مع
مالكه ليستسلم.

كل ما فيها يحثها على الميل نحوه، والغرق في أحضانه، قلبها يتوسل
إليها لتحتمي بين ذراعيه، لكنها لتصل إليه عليها أن تقفز، أن ترمي
نفسها خارج أسوارها، أن تمرّ بلحظة خوف عارية من اليقين.

فالعبور إليه ليس طريقاً سهلاً، بل اعتماد كامل وثقة مطلقة بأنه
سيلتقطها قبل أن ترتطم بالأرض، وهنا كان قلبها يتزعزع كلّ مرة،
فكيف لها أن تترك حصنها المنيع بعد أن شيّدته لسنوات؟ كيف تثق أنه
ما زال سيقبلها إن عرف حقيقتها؟

كلما اقتربت من الحافة وحاولت أخذ تلك الخطوة المصيرية خارجه
ارتجفت كأنها تواجه شبحاً طالما انتظرت ظهوره، بل طالما استدعته
وتمنت إجابته، تمد يدها لتلمسه ثم تدفعه بعيداً في اللحظة نفسها.



فقد علمتها شدة الحرمان أن تُكذِّب حصولها على ما تتمنى، وأن
الضفة المقابلة ليست مليئة بالزهور، وأن النهاية ليست دائماً منصفة
وسعيدة.

لم تنتظر أكثر بعد اكتمال الطقس، أدارت ظهرها وانصرفت
بخطوات سريعة، ومتعثرة قليلاً، لكنها لم تلتفت، وكأن أي نظرة
للكلف قد تجرَّ معها انهياراً لا تريده أن يراه.

في تلك اللحظة، بينما كان وارويك يراقب تعابيرها تعود للبرود،
وتغلق أمامه مجدداً قرَّر حاسماً أمره، ولم يمنح نفسه لحظة أخرى
للتفكير.

تقدَّم خطوة واحدة فقط، ثم اختفى ليظهر خلفها مباشرة، لم تدرك
اقترابه إلا عندما شعرت بأصابعه تطبق فجأة على معصمها، بقوة
حاسمة أوقفت خطواتها قبل أن تختفي بين الأشجار.

تغيَّر بعدها كلُّ شيء قبل أن تتمكَّن حتى من الالتفات، وانطوى
العالم حولها قبل أن تخرج منها كلمة، اختفى الطريق، الأشجار، الهواء،
وكلُّ ما رآته هو ومضة الانتقال.



رمشة واحدة، ثم كانت واقفة في جناح لم تره من قبل، اتسعت حدقتها،
لكن إحساس الفراغ الذي ضربها فجأة شتها عن أي شيء آخر.
قوتها.. اختفت.

لم تكبت تدريجيًا، لم تتلاش، بل سُحبت منها دفعة واحدة، كما لو
أن شيئًا ما ابتلعها بالكامل، تشتت وعيها للحظة تحت الصدمة، وكأن
جزءًا أساسيًا من جسدها انزع فجأة، رفعت يدها لصدرها تبحث عن
ذلك التدفق الذي اعتادت الشعور به تحت جلدها، لكن الصمت فقط
من أجابها.

التفتت نحوه ببطء، حيث كان يقف على بعد خطوات، ساكنًا
تمامًا، بملامح باردة، لكن تلك البرودة لم تُخَفِ كل شيء، فأسفلها كان
هناك أمر آخر، شيء مشدود في خط فكه، في ثبات كتفيه، في الطريقة
التي تجنّب بها النظر مباشرة إلى عينيها.

ألم رفض أن يعترف به بصوت عالٍ، لكن الرابطة أرسلته مباشرة
إليها، قال بصوت خالٍ من الانفعال، لكن نبرته أبعد من أن تكون
مطمئنة:

«لا تقلقي.. لن يؤذيك أحد هنا».



انقبض صدرها حين بدأت تستوعب، لكنها لم ترد التصديق أنه
سيقدم على شيء مثل ذلك، عاد الارتباك الذي خلفه فقدان قوتها،
وقرر أن تفهم أولاً:

«وارويك، قوتي.. ما الذي...».

توقفت الكلمات في حلقيها حين أدركت المعنى وحدها، هذا الجناح
مصمم لغاية محددة، تلفتت حولها بأنفاس لاهثة، قبل أن تعيد عينيها
إليه، بنظرات مشوشة:

«لماذا أحضرتني إلى هنا؟».

لم يجيبها، واكتفى بالنظر إليها بتلك النظرة التي لم تعرف كيف
تفسرها في البداية، لكن أطراف الخيوط التقت، لتوضح لها أن فعلته لم
تكن نزوة إثر دفعها له اليوم، بل أمراً مقررًا منذ وقت طويل.

قال أخيراً بهدوء:

«كنت سأخلص من هذا الجناح، لكنك تصرّين على...».

سكت لحظة:

«لو لم تدفعني الأمور إلى هذا الحد، لو لم ترفضني الاقتراب...».



اندفع الغضب في عروقها فوراً وقالت بنبرة مشحونة ومستنكرة:

«الاقتراب ليس قرارك وحدك لتفرضه!».

لم يُبدِ أيّ ردة فعل، وقف مكانه جامداً كأنه بنى حول نفسه جداراً بارداً يمنعه من الرجوع في قراره، ومع ذلك، كان واضحاً في عينيه أن هذا القرار لم يأتِ بلا ثمن، كان يفقد جزءاً من اتزانه، من سلامة عقله في كل ثانية تمضي.

لذا فصل مشاعره عن جسده، وبقي أمامها ثابتاً كالحجر، لكيلا يتراجع ويخرجها في تلك اللحظة، لكن تريشا لم تبقى ساكنة.

كانت عيناها تجوبان المكان بسرعة، تستوعبان ما حدث، ما سُلِبَ منها، وما فُرضَ عليها، رفعت يدها مرة أخرى، محاولة استدعاء أي أثر لقوّتها، لكن الفراغ عاد يصفعها.

التفتت إليه بحدّة:

«أعدني».

ظلاً ينظر إليها كما لو أنه يزن شيئاً أثقل من تلك اللحظة، فاغتازت:

«وارويك! أعدني حالاً».



اقتربت خطوة، لكن الحركة بدت غريبة عليها؛ فجسدها بلا قوته المعتادة، وتوازنها مختل قليلاً، لم يكن الأمر مشابهاً لفقدان قوتها بقربه، فقد كانت تفقد قدرتها على استخدامها عليه فقط، أما الآن فكأن شيئاً من طبيعتها سُحب منها.

لاحظ اضطرابها ولم يعلق، لكن المرارة شقّت طريقها عبر دروعه، لأنه السبب في تشوشها بينما دافعه حمايتها، توقفت أمامه، ورفعت رأسها رغم الضعف الذي يثقلها:

«ليس لك الحق في أن تقرر عني».

اشتد ضغطه على فكّه، وقال بصوت منخفض، بارد ظاهرياً فقط:

«لو كان لك أن تقررني، لما كنتِ تقفين هنا الآن...».

مرّر عينيه على جسدها مضيئاً:

«بهذه الحالة المزرية».

صرّت على أسنانها:

«حالي ليست من شأنك، ولا أحد يقرر عني ما أفعله بنفسني».



لم يرفع صوته، لكن شيئًا في نظراته كان أكثر قسوة من السخط:

«جسدك يقول غير ذلك».

ارتعشت نظراتها، وساد الوجوم بينهما، كلماتها السابقة ما زالت
تردد في رأسه، حادة، قاطعة، كأنها صيغت خصيصًا لتدفعه بعيدًا.

كان سينتظر عمرًا فوق عمره حتى تأتية طواعية، لكنها كانت
دائمًا ما تتركه على السطح، كلما حاول الانغمار في ماضيها أكثر، دفعته
خارجًا، واختفت عنه لعدة أشهر، ثم تعود مترددة.

ورغم أن الأمر بات يضايقه، فإنه اختار الصبر، حتى رآها تمشي
نحوه وهي متعبة ومجروحة، حينها لم يعد يستطيع التظاهر بأنه لا يرى،
ولا يشك بما يجري لها في ماجيسيا.

أمسك ذقنها بإصبعين ورفع برقة، ثم همس:

«من فعل بك ذلك؟».

زمت شفيتها ودفعته بيديها قائلة بحنق:

«لن أخبرك أبدًا».



مرّ في عينيه ذلك البريق الداكن مجددًا، كان يعلم أنه لو خرج،
سيفقد سيطرته بالكامل، فقال بشكل قاطع:

«ولن تخرجي من هنا أبدًا».

خرجت كلماته هادئة وثابتة، وكأنها لم تكن قرارًا اتخذته الآن، بل أمرًا
كان ينتظر اللحظة المناسبة ليقوله، اتسعت عيناها، وتصلب جسدها:

«ماذا؟ أنت لا تعني ذلك..».

لم يجيبها، واختفى منتقلًا إلى جناحه، منهيًا ذلك النقاش، وتاركًا
إياها وحدها، وقف في وسط المكان محدّدًا في الفراغ، دون أن يدري
إن كان الغضب المشتعل في صدره أعظم من القلق الذي ينهشه، أم أنه
شيء آخر يتجاوز الاثنين معًا.

كل ما كان يعرفه أن ما رآه على جسدها اليوم لم يكن نتيجة خصومة
عابرة أو مناوشة عادية، بل جريمة تستحق أن تقتلع من جذورها.

كان كلّ جزء فيه يصرخ باسم الفاعل وضرورة الاقتصاص منه،
حتى وإن كانت تريشا عاجزة أو غير راغبة في البوح بهويته.

لكن كلماتها جاءت كسيوف مسنونة بعناية لتطرده بعيدًا، لتخبره



أنها لا تريده، ولا تريد حمايته، وتتمنى أن تنقطع الرابطة التي تجمعهما لتنتهي لقاءاتها.

تجاهل اعتصار قلبه كلما ترددت عباراتها في أذنيه، وأجبر أفكاره على الارتحال إلى مكان آخر، كان يعرف أن شيئاً ما ينهشها من الداخل والخارج معاً، وأنه ما لم ينقذها من تلك المعضلة الغامضة في ماجيسيا؛ فسيتجرّع ألمها معها، شاء أم أبى.

لذلك اتخذ قراراً أرعن كاختطافها، رغم أنه خطط له بعناية منذ وقت طويل، رغم أنه يعلم أن هذا الطريق لن يجدي نفعاً، وأنه لن يستطيع تقريبها منه قسراً، لكن عناده دفعه إلى الاحتماء بخداع صغير، أقنع نفسه أن الأمر لا يتعلق برفضها الاقتراب منه، بل بمشكلة يتعين عليه حلّها قبل أن يسمح لنفسه بالابتعاد.

كان ادعاؤه درعاً واهياً، مثل شبكة عنكبوت هشة، ومع ذلك اختبأ خلفه، مصمماً ألا يواجه الحقيقة، وهي أن كلّ ما يحبه يُنتزع منه في النهاية.

وبين ألمه ورقّة قلبه لم يعرف كيف يتركها وهي تنزف بصمت، متغاضياً عن نزيفه الداخلي.



قرار مُنْهَلْ



وقفت تريشا في منتصف الجناح لحظة طويلة، كأن جسدها لم يستوعب بعد ما حدث، لا تصدق أنه اختفى في منتصف الحديث.

نظرت حولها بتمعن، عيناها تنتقلان بين الجدران العالية، بين الأعمدة المنقوشة والضوء الخافت المتسلل من النوافذ، ثم عادت بنظرها إلى الباب المغلق.

تقدمت نحوه بخطوات سريعة، وأنفاسها لا تزال غير مستقرة، مدّت يدها إلى المقبض ولقّته بقوة، لكنه لم يتحرك، شدّته مرة أخرى بطريقة أقسى، حتى شعرت بالألم يمتد عبر كفها إلى ساعدها المصاب، لكن الباب بقي ثابتًا، كما لو أنه جزء من الجدار نفسه.

تسارعت أنفاسها، وتراجعت خطوة، ثم رفعت يدها وضربت الباب بقبضتها، لكن النتيجة كانت صوتًا خافتًا مثيرًا للشفقة.

أعادت الكرة مرة ثانية، ثم مرة ثالثة، أقوى ثم أقوى، لكن الألم الذي اندفع إلى مفاصلها أجبرها على التوقف، فارتجفت كتفها المصاب، وامتدت وخزة حادة إلى جانبها.

انحنى قليلًا وهي تمسك ذراعها، قائلة بصوت متقطع:

«تبّا! أخرجني».



خرجت الكلمات من بين أسنانها، منخفضة وغاضبة، موجهة إلى الباب نفسه، لكن الباب بقي صامتًا مثل الجناح تمامًا.

رفعت رأسها ونظرت إليه، والغيط يتجمع في صدرها مثل عاصفة، فاندفعت وضربته بكتفها بكامل قوتها، اصطدم جسدها بالخشب الثقيل، فاهتز الباب قليلاً، لكنها كانت هي من تراجع عندما اشتعلت الكدمات التي تغطي جسدها دفعة واحدة، كأنها تذكرها بوجودها.

ارتعشت ساقاها من الألم الذي انتشر في سائر جسدها، واضطرت إلى التمسك بالجدار حتى لا تسقط، رفعت رأسها بعناد:

«لن أبقى هنا».

لكن الكلمات لم تكن واثقة كما أرادت، نظرت حولها تبحث عن شق في الجدار، عن نافذة يمكن كسرها، عن أي طريق للخروج.

خطت نحو إحدى النوافذ العالية، وحاولت رفع نفسها لتصل إلى الحافة، لكن كتفها المصابة رفضت الحركة، فاضطرت إلى الإفلات.

وقفت هناك لحظة، تحدق في الضوء الذي يتسلل من الخارج بقهر،



قبل أن تبتعد بجسد أثقل مما توقعت، ليس من الألم فقط، بل من الحقيقة التي بدأت تتسلل إليها رغمًا عنها.

أحضرها إلى هنا ليحبسها فعلًا، سلب قوتها بعد أن شاركته سرَّ عجزها أمامه، ثم تركها وحدها، اشتدَّ ضيقها فهمست بحدة:

«ساحر أحق».

لكن الصوت ارتطم بالجدران وعاد إليها ضعيفًا بشكل مثير للشفقة، فسارت حول المكان، تحاول أن تستعيد السيطرة على نفسها.

لم تنزعج من فكرة بقائها هنا بقدر انزعاجها من الطريقة التي حدث بها كلُّ شيء، كيف قرر عنها وأحضرها دون إذن، دون نقاش، كما لو أن إرادتها مجرد تفصيل يمكن تجاوزه، أرادت أن تلکم شيئًا وهي تردد داخل رأسها:

(كيف تجرأ؟).

تباطأت خطواتها عندما عادت صورة وجهه إلى ذهنها، تلك النظرة الباردة التي أخفى خلفها شيئًا لم تستطع تجاهله.. الألم.



«لا، لن أفكر في ذلك».

عدا أن الفكرة كانت قد تسللت بالفعل، ومع ذلك، قررت أنها لن تمنحه تعاطفها، فإن كان يريد أن يجبرها على البقاء، فلن يرى منها الرأفة، واستقامت أكثر، محاولة أن تجمع ما تبقى من كبريائها حولها مثل درع.

مرت دقائق طويلة قبل أن تدرك أن جسدها بدأ يهتز من شدة الإرهاق، والوقوف وحده صار متعبًا، فاقتربت أخيرًا من السرير، وجلست على حافته.

نبضت الكدمات التي تغطي جسدها تحت جلدها، وكلُّ حركة تذكرها بما حدث لها في ذلك اليوم، بما زال يحدث لها في ماجيسيا.

رفعت يدها ولمست إحدى الكدمات على ساعدها، وضغطت عليها قليلاً، كان ذلك الألم مفهومًا لها، على نقیض الفوضى التي تدور في رأسها الآن.



أرخت كتفيها أخيراً، ومالت بتأنٍ إلى الخلف حتى استلقت على الفراش، ظلت تحدّق في السقف طويلاً، وبدأت الفكرة التي قاومتها تتمدّد بهدوء داخل عقلها..

لن يستطيع أحد إيذاءها هنا.

كان ذلك أول شيء قاله بعد أن أحضرها، وكانت تعرف أنه لم يكذب، أغمضت عينيها للحظة، ثم فتحتها مرة أخرى، تخشى أن تثق بكلماته أكثر مما ينبغي.

لكن جسدها كان قد بدأ يثقل، وأنفاسها هدأت شيئاً فشيئاً، همست أخيراً، بصوت بالكاد سمعته هي نفسها:

«ليلة واحدة فقط، لن أستسلم.. هذه استراحة.. فقط».

انسدلت جفونها من الإرهاق، وهي تقنع نفسها بأن النوم هنا ليس هزيمة، بل هدنة صغيرة مع جسد لم يعد يحتمل القتال.

وأرضت كبرياءها المنتهكة بأنها على الأقل، لن تضطر الليلة إلى



البقاء يقظة خوفاً من الأذى، ونامت.. متشبثةً بهذه الفكرة الهشة، كما
لو أنها الشيء الوحيد الذي بقي لها لتصدَّ به الظلام.



قلب وذنوب



حلَّ المساء على أروقة القصر، وقف وارويك أمام باب الجناح الذي وضعها فيه، وطرق بخفّة طرقات قصيرة مترددة، كما لو أنه لا يريد أن يوقظها إن كانت قد نامت، ولا يريد في الوقت نفسه أن يتركها دون أن يطمئن عليها.

انتظر لبعض الوقت، وحين لم يأتِه أي رد طرق مرة أخرى طرقاً أقرب إلى اللمس، وأخيراً دفع الباب بروية، وأطلَّ برأسه أولاً، ثم دخل خطوة حذرة، ليتوقف فور أن رآها.

كانت تريشا نائمة في منتصف السرير تماماً، متفوقةة حول نفسها، ركبناها مضمومتان إلى صدرها، وذراعاها ملتفتان حولهما.

لم تكن هناك وسادة تحت رأسها، ولا غطاء فوقها، فعلم أن النعاس غلبها قبل أن تفكر حتى في النوم، بقي واقفاً ينظر إليها للحظة، ينتظر استيقاظها بسبب دخوله، لكنها لم تتحرك، لم ترتجف جفونها، ولم يتغير إيقاع أنفاسها.

تقدّم خطوة أخرى هادئة، كأنه يختبر الأرض تحت قدميه، متسائلاً:

كيف لم تسمع دخوله وهي الحساسة لكل حركة عادة؟



تصلَّب شيء خفيف في صدره عندما راودته فكرة خاطفة:

هل كانت مرهقة إلى هذه الدرجة؟

لم يرد أن يجيب نفسه، فانتقل إلى جناحه، وعاد بعد ثوانٍ يحمل فراشًا خفيفًا، اقترب من السرير، وفتح الغطاء قليلًا قبل أن يمدّه فوقها بحذر أشد.

بدت له واهنة للغاية، ولم يستسغ فكرة تعرضها للضرب بتلك الطريقة، إلا من شخص مختلّ، ظلّ لحظة يثبت حافة الفراش حول كتفها حتى لا ينزلق، ثم سحب يده ببطء، متأكدًا أنها لم تستيقظ.

بقي استغرابه من عدم استيقاظها يتردد في رأسه، وهو يتوجه إلى الطاولة الصغيرة القريبة من السرير، لفَّ أحد الكراسي بهدوء حتى صار مواجهًا لها، ثم جلس.

كانت الغرفة شبه مظلمة، لا يقطع عتمتها سوى ضوء خافت يتسلل من النافذة، لكنه كان يستطيع رؤيتها بوضوح من مكانه.

ظلت أنفاسها هادئة ومنتظمة، وظل يراقبها للحظة طويلة، قبل أن



يزفر باستياء عندما عاد السؤال نفسه يلحُّ عليه:

كيف لم تسمع دخوله؟ هل بسبب الإرهاق من الإصابات التي
تحملها من ماجيسيا، أم أن سحب قوتها منها أضعفها إلى هذا الحد؟
أمال رأسه قليلاً إلى الخلف، وأرخى كتفيه، تاركاً أفكاره تسير
حيث تشاء، لكن شعوراً مزعجاً تسلل، خليطاً غير مريح من الندم
والعناد.

لم يكن فخوراً بما فعله، فاختطافها لم يكن قراراً حكيماً، لكنه أيضاً لم
يكن يرى طريقاً آخر، فلو تركها حينها لتعود إلى ماجيسيا، لما عادت.
وكان متيقناً من ذلك بسبب الطريقة التي نظرت بها إليه قبل أن
تدير ظهرها، ومن الكلمات التي قالتها لتبعده.

زفر ممتعضاً وشدَّ شعره قليلاً، متسائلاً كيف يمكنه أن يلين قلبها
تجاهه بعد هذا؟

ظل جالساً هناك دون إجابة أو حل، غارقاً في أفكاره، يراقب جسدها
المتقوق وهو يعلو ويهبط مع أنفاسه، دون أن يشعر بمرور الوقت.



حتى صدر صوت مفاجئ جعله ينتفض معتدلاً في مقعده، اتسعت
عيناه وهو يحدق نحو السرير، محاولاً التأكد ما إن كانت تتعرض لنوبة
من نوع ما.

صدر الصوت مرة أخرى، خافتاً لكنه واضح، فتجمّد للحظة قبل
أن يستوعب أنها لم تكن تخنق أو تتألم، بل كانت.. تشخر.

حدّق فيها بذهول، حتى خرج الصوت مرة أخرى، وهذه المرة
أطول قليلاً، وعميقاً بطريقة تناقض تماماً ملامحها الهادئة، حاول أن
يتمالك نفسه، لكن زاوية فمه ارتفعت رغماً عنه، عضّ على شفته
السفلى فوراً مردداً داخل رأسه:

(لا تضحك، لا تضحك، لا تضحك).

رفع يده إلى فمه، ليكتم الصوت الذي بدأ يتجمع في صدره، لكنه
كلما نظر إليها عاد ذلك الشخير المفاجئ، صوت عميق وعالٍ، غير
مكرث بالعالم، وغير متناسب معها إطلاقاً.

اهتزّت كتفاه قليلاً، فنهض بسرعة قبل أن يفلت منه، وأعاد
الكرسي إلى مكانه برفق، ثم انتقل إلى جناحه، وما إن وصل حتى
انفجرت الضحكة أخيراً.



خرجت عالية وصادقة، ارتدت بين جدران جناحه قبل أن يخفض
صوته بسرعة، لكنه لم يستطع إيقافها تمامًا، أسند جبينه إلى يده للحظة،
يحاول استعادة أنفاسه، ولا تزال بقايا الضحكة تهتز في صدره.

لم يتذكر آخر مرة ضحك فيها بهذه الطريقة، وبشكلٍ غريب كان
ذلك أول شيء خفيف يشعر به منذ وقت طويل.



كبرياء مجروحة



تسرَّب ضوء الصباح إلى الجناح على هيئة خيوطٍ ذهبيةٍ رفيعة،
تسلل من بين حواف الستائر العالية وامتدَّت فوق الأرضية المصقولة،
حتى بلغ السرير، واستقرَّ على وجه تريشا دون أن يوقظها.

كانت أنفاسها عميقة ومنتظمة على نحو لم تعهده منذ زمن، كأن
جسدها أخيراً وجد استراحة قصيرة من كلِّ ما أثقله في الأيام الماضية.

انقبض جبينها قليلاً دون وعي، ثم فتحت عينيها على مهل
وجسدها يرفض الاستيقاظ بعد، فبقيت مستلقيةً تحدِّق في السقف
للحظة طويلة، وذهنها فارغ على نحوٍ غريب، بلا ذلك الضجيج المعتاد
الذي بات يرافقها دائماً، سكون لم يغمرها منذ فترة نسيت بدايتها.

تنفَّست بعمق، لتجد أن الهواء كان مختلفاً، ناعماً وخالياً من ذلك
الخوف الذي يأتيها عند الاستيقاظ، رمشت عدة مرات، تحاول
استيعاب هذا الهدوء، ثم أغمضت عينيها لثانية أخرى، تستعيد ذلك
الإحساس النادر بالراحة.

عبست بخفة، كما لو أن هذا السلام هو ما أثار ربيتها، ثم استفاق
ذهنها دفعة واحدة، اعتدلت قليلاً، وعيناها تتسعان مع الإدراك.



مرّت يدها على وجهها وكأنها تتأكد أنها مستيقظة فعلاً، ثم جلست وهي تتلفّت حولها، تستعيد شذرات الأمس التي كانت مبعثرة في رأسها.

الجنّاح.. الباب المغلق.. قوتها المسلوبة.. وارويك.

شدّت فكّها عندما تدفقت الأحداث من ذاكرتها بشكل واضح وحادّ، وتلاشت معها راحتها قصيرة الأمد، نظرت إلى النافذة، ثم إلى الضوء الذي غمر المكان، متسائلة كم مرّ من الوقت، لتدرك أن نومها لم يكن عابراً، بل كانت غائبة بالكامل.

انتبهت لشيء آخر قبل أن تستسلم لمشاعر الأمس، رائحة دافئة تسلّلت إليها، طعام قريب وطازج، قطّبت حاجبيها، وقد بدأ الجوع يعلن حضوره.

اعتدلت في جلستها أكثر، ليشدّ انتباهها شيءٌ مختلف، أطرقت رأسها وحدّقت في الغطاء فوقها بضياّع، لم تتذكّر أنها سحبته أو حتى فكرت في أن تغطي نفسها.

سحبت طرفه وهي تتأمله، ثم رفعتة قليلاً نحو وجهها، لكنها لم تحتج سوى لحظة سريعة لتمييز رائحته.. وارويك.



دخل وهي نائمة، وتصرف كما يحلو له، انقبضت أصابعها على القماش، وارتفع السخط في صدرها سريعاً، همست بنبرة باردة:

«رائع..».

لكن أسفل تلك النبرة نفسها تواجد دفء خفي لم ترد الاعتراف بوجوده، فسحبت الغطاء عنها بقوة، ترفض حتى فكرة أنه اقترب منها دون علمها، ضغطت على شفيتها وهي تتوعد أن كل هذا لن يمر ببساطة.

نهضت متجاهلة الألم الذي امتد عبر جسدها مع الحركة، وتوجّهت مباشرة نحو الباب ولفت مقبضه، لكن لا شيء تغير.

أفلتته وزفرت بحدة:

«بالطبع».

عاد الغضب ليملاً صدرها بالكامل، فرفعت ذقنها قليلاً وقد اتخذت قرارها دون تردد، لن تأكل أبداً، إن كان يظن أن بإمكانه التحكم بها بهذه السهولة، وأنها ستكيف مع ما فرضه عليها، فهو واهم، ولا يعرفها.



التفتت مبتعدة عن الباب، لكنها لم تخطُ سوى خطوات قليلة حتى
قُطع الصمت بدقّ خفيف عليه، توقفت فوراً، والتفتت بسرعة، وقد
أنارت في رأسها فكرة تكونت على عجل.

عادت إلى بقعتها بخطوات سريعة رغم الألم، فقد كانت فرصتها
الوحيدة، وقفت أمام الباب، يدها على المقبض، وذهنها يعمل بسرعة
حادة: تنتظر الطارق ليفتحه، ثم تدفعه قبل أن يدخل، وتخرج.

كانت الخطة بسيطة ومباشرة، لكن قلبها كان ينبض بسرعة وكأنها
أمام معركة دامية، وازدادت سرعته عندما انبثق من الفراغ أمامها
رجل غريب.

شهقت وتراجعت خطوة مفزوعة، وقبل أن تستوعب ما حدث،
رفع الرجل يديه بسرعة معترداً:

«عذراً يا آنسة، لم أقصد إخافتك».

تابع بنبرة مهدئة، وقد بدا عليه الارتباك من ردّة فعلها:

«أنا الطيب».



حدّثت به لثوانٍ تحاول التقاط أنفاسها، ثم بدأت تفهم، لم يُفتح الباب، بل انتقل هو إلى الداخل، ضاقت عينها والحنق الذي خفّ للحظة عاد أقسى، فلم يكن الأمر مجرد باب مغلق، بل خطة مدروسة، نظام متكامل لإبقائها سجينّة.

قال الرجل بلطف مهني وهو يقترب خطوة حذرة:

«جئت لمعالجة إصاباتك، يبدو أنك...».

قاطعتَه فورًا بنبرة قاطعة، فلم ترَ فيه طيبًا، بل تأكيدًا آخر بأنها محاصرة:

«لا حاجة لذلك».

توقف لوهلة قبل أن يحاول مرة أخرى بصوت أكثر هدوءًا:

«لكن جراحك...».

قاطعتَه بعصبية:

«قلت لا».



ساد صمت قصير تراجع خلاله الطيب خطوة، وقد فهم أن
الإصرار لن يجدي، فاكتفى بانحناء خفيفة قبل أن يختفي كما جاء،
تاركاً الباب مغلقاً كما كان.

التفتت وعيناها تجولان في المكان من جديد، وهذه المرة؛ لم تكن
تنظر كالسابق، بل كانت تبحث وتفكك كل التفاصيل عليها تجد باباً
خفياً يحررها.

تقدمت نحو الجدران، ونظرتها تمرُّ على الذهب الذي يغطيها،
وعلى النقوش الممتدة على أطراف الأعمدة، أشكال دقيقة ومتكررة،
ومتصلة ببعضها كأنها جزء من صورة أكبر.

ارتفعت نبضاتها قليلاً عندما أدركت أنها لم تكن للزينة، بل شبكة
محكمة، شيء صُمم بعناية، مدَّت يدها تمرُّ أصابعها فوق أحد النقوش،
وبرودة المعدن أكدت لها ما بدأ يتشكل في ذهنها.

هذا المكان لم يكن قراراً لحظياً من وارويك، لم يُجهَّز كردّة فعل، ولم
يُنَّ على عجل، بل أُعدَّ منذ زمن، تحيَّله واقفاً هنا، يضيف تفصيلاً بعد
أخرى، يضيف طبقة بعد طبقة، ينقش الرمز بعد الآخر، يخطط ويحكم
مصيدته، ينتظر اللحظة التي سيستخدم فيها هذا الجناح.. لحبسها.



انقبض شيء في صدرها، فلم يكن السخط وحده ما يملأ صدرها
حينها، بل إحساس آخر أشد قسوة.. الخيانة.

ففي كل مرة اقترب فيها منها، كل لحظة بدا فيها صادقاً، كان يعدُّ
هذا المكان، شدّت قبضتيها بجانبها، ثم استدارت ناظرةً إلى الباب، ثم
إلى الجدران والسقف، كأنها ترى القفص كاملاً لأول مرة.

تصلّب العناد في داخلها رافضاً الانصياع، وأكدت لكبريائها
المستاءة أنها لن تبقى هنا، لن تقبل بهذا ولن تنتظر، حتى لو اضطرّت
إلى البحث عن مخرج مستحيل، حتى لو كلّفها ذلك ما تبقى من قوتها
الجسدية.. ستخرج، حتى لو اضطرّت إلى تحطيم هذا المكان حجراً
حجراً، حتى لو اضطرّت إلى تحطيم نفسها معه.



وجه آخر



كان وارويك في مكتبه حين طُرق الباب طرْقاً متردداً، كما لو أن صاحبه يقدر ما قد يقطعه من أفكار.

لم يرفع رأسه فوراً، بل ظلَّ لحظة يمرُّ بصره على السطور أمامه دون أن يقرأها حقاً، ثم قال:

«ادخل».

فُتح الباب رويداً، وظهر الطبيب عند العتبة، متحفظاً في وقفته، يحمل بين ملامحه شيئاً من الحرج، تقدّم خطوة ثم قال بنبرة حاول أن يجعلها محايدة:

«حاولت معها كما طلبت يا سيدي، لكنها رفضت العلاج».

لم يتفاجأ وارويك، لم تتغير ملامحه حتى، أغمض عينيه لوهلة قصيرة، وكأن الخبر أكد له ما كان يعرفه مسبقاً، ثم زفر:

«كما توقعت».

سكت الطبيب لحظة، ثم أضاف بنبرة أقل ثباتاً:

«كما أنها.. لم تتناول الطعام».



حينها تحرك شيء خفيف في ملامح وارويك، ضيق مكتوم سرعان
ما أخفاه، رفع رأسه أخيرًا، ونظر إلى الطبيب مباشرة، ثم قال:

«شكرًا لك».

أوماً الطبيب برأسه، وتردد لحظة قبل أن يسأل بتحفظ:

«هل ترغب أن...».

قاطعه وارويك بحزم مهذب:

«استمر في المحاولة يوميًا، بل عدة مرات في اليوم إن لزم الأمر».

أوماً مرة أخرى قبل أن ينسحب مغلقًا الباب خلفه، بقي وارويك
جالسًا لحظة، ينظر إلى الفراغ أمامه، رغم أن ما سمعه كان متوقعًا إلى
حدٍّ كبير، فإن ذلك لم يخفف من الشعور المزعج الذي استقرَّ في صدره.

نهض أخيرًا وانتقل إلى جناحها، كانت تريشا واقفة فوق أحد
الكراسي الذي سحبتة إلى النافذة العالية، جسدها متوتر وممدود إلى
أقصى ما يسمح به، أصابعها تتحسس أطراف الإطار، تبحث وتفتش،
كأنها تأمل أن تجد ثقبًا صغيرًا يمكن أن تنفذ منه.



وضع يديه في جيبي بنطاله وراقبها لحظة، ثم قال بصوت هادئ:

«لا ترهقي جسدك بالمحاولة، لن تجدي ثغرة».

تجمّدت في مكانها، لكنها لم تلتفت فوراً، توقّفت عن الحركة كما لو أن صوته أعادها إلى الواقع دفعة واحدة، بقيت على حالها لحظة، ثم بدأت تنزل عن الكرسي بهدوء، ترفض أن تمنحه مشهد ارتباكها، وما إن استقرت قدمها على الأرض، حتى استدارت إليه أخيراً.

كانت نظرتها حانقة، مشبعة بغضبٍ صريح لم تحاول إخفاءه، أشارت بيدها حولها، وقالت بنبرة حادة:

«لقد بنيت هذا المكان منذ زمن، لم يكن قرارك اندفاعياً، أليس كذلك؟».

لم يُجب أو يُنكر، لم يتحرك شيء في ملامحه، لكن صمته وحده كان أوضح من أي اعتراف، تابعت وقد ازداد احتقانها:

«لقد كنت تخطط لهذه اللحظة».



ظلَّ ينظر إليها بصمت، وكان ذلك كافياً للتأكد، فقالت بنبرة مشحونة:

«أحضرتني إلى هنا قسراً، وسلبت قوتي، كيف تظن أن هذه الخطوة ستنتهي؟».

اقتربت خطوة، وسألت بازدياء:

«هل تظنُّ حقاً أنني سأحبُّك في النهاية؟».

رفع كتفيه ببساطة لاهية، وكأن السؤال لا يستحق أكثر من ذلك، ثم قال بنبرة خفيفة:

«ربما، فأنا جذاب للغاية كما ترين، وهذا يغيِّر موازين كلِّ شيء».

اتسعت عيناها من استهزائه بما يجري، كانت تحاول أن تقمع الانفجار الذي يتجمع في صدرها، أن تبقي الكلمات في حدود السيطرة، أن تعيده إلى شيء يشبه المنطق.

شدَّت قبضتها، وقالت بصوت مشدود:

«وارويك».



تلاشى العبث من وجهه حينها، ولم يعد هناك أثر للسخرية، نظر
إليها بجدية كاملة، وقال:

«لن أجبرك على البقاء».

أزهر الأمل في صدرها، لكنه لم يُمهّلها أن تنعم به حين أضاف:

«لكنني لن أسمح لك بالموت أيضًا».

مرّر نظره على جسدها، على الكدمات الممتدة على ساعديها
وكتفيها، ثم أردف:

«ويبدو أن هذا ما يحصل لك في ماجيسيا».

اغتاظت من تدخّله المستمر، وارتفعت نبرتها بعصبية:

«هذا ليس قرارك!».

أجابها دون تردد، بثبات قاطع:

«ينبغي أن يكون».

ساد الصمت وامتدّ بينهما، يحمل توترًا حادًا ينتظر أدنى شرارة،



خَفَضَ نَبْرَتَهُ قَلِيلًا، وَأَضَافَ مَلَا حَظًا:

«أُظِنُّ أَنَّكَ تَقْمِصُ دَوْرَ الضَّحِيَّةِ».

ارتعش الغضب مهَّدًا بالانفلات، فاستدارت بعنف رافضةً أن ترى وجهه، ورفعت يدها إلى جبينها، تحاول أن تستعيد توازن أنفاسها.

لكن صوته عاد، وهذه المرة كان مشبَّعًا بسخرية مستفزة:

«أحقًا لن تأكلي؟ الإضراب عن الطعام مبتذل للغاية».

تجمدت بحدة مفاجئة، فسكت للحظة قبل أن يضيف:

«لا تكوني نسخة مكرَّرة من كلِّ سجينَة مرَّت عبر التاريخ، ظننتك أذكى من ذلك يا تريشا».

اتسعت عيناها مشتعلة بشرر صريح، والتفتت إليه ببرود قاتل يغطي الاحتدام الذي يقبع تحت سطحه، لكن وارويك لم يتوقف، رفع كتفيه مرة أخرى، وقال:

«إن كنتِ تنوين التمرد، فحاولي ابتكار شيء جديد على الأقل».



انفلت حبل السيطرة، واشتعل كلُّ شيء داخلها، تحركت فجأة نحو الطاولة، وبدأت تدفع كلَّ ما عليها بعنف، الأطباق، الأكواب، كلُّ شيء يتساقط على الأرض بصوتٍ متكررٍ ملاً الجناح.

وقف مكانه يراقبها متعجبًا، وكأنه لم يكن السبب في ردة فعلها تلك، كان ينظر إليها وكأنه يتابع فوزي لا تخصه، مذهوشًا وكأنها خرجت عن النص المتفق عليه بينها.

لكن تلك النوبة لم تخفّف عنها، بل زادت احتقانًا، وحين رفعت نظرها ورأت استنكاره نحوها، لم تتحمل أكثر، فالتقطت أقرب سكين من الطاولة، ورفعتها صارخة، ثم اندفعت نحوه.

انتفض في مكانه، ثم تحرك فورًا، ليس لصدّها، وإنما للهرب، واختفى من أمامها في لحظة، ثم ظهر في مكتبه بأنفاس لاهثة.

ارتفعت يده تلقائيًا إلى صدره الذي كان يعلو ويهبط بسرعة، كأنه يتحقق من أنها لم تصبه دون أن يشعر، بقي واقفًا للحظة، يحاول استيعاب ما حدث، ثم همس مذهولًا:

«يا للهول..».



سكت محاولاً التقاط أنفاسه، ثم أضاف وكأنه لا يزال غير مصدّق:

«كانت ستطعنني حقاً».

عنقي غامض



انفتحت عينا كيارا في الحلم على الغرفة نفسها التي عرفتھا جيداً،
ريفر ريتش، البيت الأسود، بجانب سرير أليكس، لكنها لم تكن الغرفة
كما تركتها في ذاكرتها، بل كما تعيدها الأحلام حين تعبث بالحقيقة
لتجعلها أكثر قتامة.

كانت الجدران أضيق، والهواء أثقل، والضوء المتسلل من النافذة
أكثر خفوتاً، ورأت نفسها تقف أمام أليكس كما وقفت يومها، عنيدة،
تتكلم من موضع لا تحكمه الحكمة، بل الكبرياء.

سمعت صوتها يخرج من فمها بوضوحٍ يجلدها من الداخل:

«أنت مجرد مصاص دماء».

تذكر أنها خرجت من الغرفة بعد تلك العبارة، هربت وترك
الجملة تسقط بينهما، ولّت قبل أن ترى ما فعلته به.

أما في الحلم، فلم تغادر، بل تجمدت مكانها، شعرت بالهواء يثقل
حول ساقها، كأن الأرض أمسكت بها من الكاحلين ومنعتها من
الفرار.



أرادت أن تتحرك، أن تبتعد، أن تمحو الكلمات قبل أن تبلغ مسامعه،
لكنها بقيت واقفة كمن حُكم عليه أن يرى ما صنع بيديه.

لم تعلُ الصدمة تعابيره كما تذكّرت، بل ظهر الحزن على وجهه، كأن
شيئاً قديماً عرف طريقه إليه بسهولة، كأن جملتها لم تخلق ألماً جديداً، بل
أيقظت ألماً كان ساكناً فيه في الأصل.

خفت النور في عينيه العسليتين، وانحدرت نظراته عنها لوهلة قبل
أن تعود إليها، ثم قال بصوتٍ لم يرتفع، لكنه بلغ أقصى مواضعها:
«لماذا لا يهملك أمري أبداً؟».

لم تعرف ما الذي اخترقها أكثر، كلماته أم نبرته، كانت تستطيع
احتمال الغضب، بل ربما كانت ستعرف كيف تدافع عن نفسها أمامه
إن ثار.

أما هذه المראה الهادئة وهذا الانكسار، فقد وقعا عليها بوزن لم
تحسن احتماله.

حاولت أن ترد، فتحت فمها لكنها لم تجد إلا الاختناق، كان في



الحلم ما يشبه العدالة المشوّهة، شيء لا يسمح لها بالهروب، ولا يمنحها الكلمات التي تبرر بها نفسها، شيء يجبرها على البقاء فقط، ومواجهة ما فعلته.

استيقظت بعنفٍ مكتوم، كأنها سقطت من مكانٍ عالٍ داخل جسدها نفسه، كانت أنفاسها سريعة ومتقطعة، وقد أحست ببللٍ باردٍ على وجنتيها قبل أن ترفع يدها إليهما.

لم تحتج إلى لمس الدموع لتعرف أنها بكت وهي نائمة، فقد كان ثقل الحلم لا يزال عالقاً فوق صدرها، كأنه خرج معها من النوم ولم يرض أن يعود إلى الظلام.

جلست على فراشها لحظة، تحدّق في الفراغ أمامها، وهي تحاول أن تستعيد المسافة بين الحلم واليقظة، لكن صوته لم يختفٍ من أذنها:

«لماذا لا يهملك أمري أبداً؟».

لم يسألها ذلك في الحقيقة قط، لكن السؤال هبط في نفسها كأنه جواب عن شيءٍ كانت تتفاداه منذ زمن، والآن وجدت نفسها تتساءل إن كان يفكر هكذا فعلاً؟ إن كان هذا ما يراه في كلِّ مرة ابتعدت عنه، وفي كلِّ مرة قررت أن تدير ظهرها وتمضي؟



شدَّت قبضتها فوق الغطاء، ثم نهضت تجرُّ نفسها إلى يومٍ لا تملك
رفاهية التأخر عنه، تتحرك في الغرفة وهي تستعد لتدريباتها، بينما ذهنها
لم يكن مع جسدها، بل راح يدور حول السؤال نفسه، يلتقطه من زوايا
مختلفة ثم يعيده إليها أثقل.

كانت قد تركت المملكة وجاءت إلى هنا لأجل أليكس، لم تكن
تلك الحقيقة موضع نقاش في نفسها، مهما ضللتها الكلمات أحياناً.

لم تهرب إلى تدريب أمير لتنجو من ضعفها وحده، بل لأنها أرادت
أن تصير امرأة تليق بالعرش الذي يقف عليه هو.

ملكة تستطيع أن تحميه من تبعاتها، من اضطرابها، من ماضيها
الذي يطال من تحب، كأن اللعنة لا تكتفي بها وحدها.

كانت تريد أن تتطور، ليس من أجل مجدٍ ذاتيٍّ أو بطوليةٍ مجردة، بل
لأنها تريد قوة تمنع العالم من أن يتخذ منها ثغرةً إليه.

فلماذا كانت أحلامها تعيدها إلى اللحظات التي جرحته فيها،
وليس إلى اللحظات التي حاولت أن تنقذه فيها؟



ارتدت قميصها على عجل، مشدودة الأعصاب من سؤالٍ لا
تستطيع دفعه بعيدًا، فكرت بالذهاب إلى الممر الذي يصل بينهما،
لكن الجدار الذي يفصل بينهما في المنتصف لن يجيب أسئلتها، فقررت
الذهاب في المساء كما اعتادت كل ليلة.

خرجت من غرفتها ونزلت إلى المطبخ الصغير في البيت، حيث
وجدت فطورها جاهزًا وموضوعًا في موضعه بدقة فوق الطاولة
الصغيرة كما اعتادت من أليور.

رفعت عينيها إلى النافذة حين لمحت حركةً خارجها، فرأت أليور
واقفًا قرب البيت يتحدث إلى عنقي آخر، وما إن وقعت نظرتها عليه
حتى عرفته.

العنقي الصامت..

الشعر الأسود المتوسط الذي ينسدل كستار فوق ملامحه، الوقفة
الثابتة، الكتفان العريضتان، السكون الذي يشبه سكون السلاح في
غمده.

تذكرته على الفور، فقد بقي عالقًا في ذاكرتها منذ أن جاء إلى قصر



إيما تيروس، ووقف إلى يسار سبارك صامتًا، بينما انشغل الجميع باسمه الذي لم يُذكر.

تذكرت كيف همس داخل رأسها:

«الخوف أسوأ من الموت، أيتها العنقية».

كان فضولها كافيًا لأن يدفعها إلى الخروج فورًا، لكن شيئًا أكثر عملية شدّها إلى الطاولة، تعلّمت خلال إقامتها مع آلير أن التدريب يبدأ مع أول خطوة تخطوها خارج البيت، وأن نهايته لا تُعرف على وجه اليقين، وقد يمتد لوقت طويل، لذا، كان الطعام الذي يؤكل في وقته هنا ليس رفاهية، بل استعدادًا لما قد يأتي.

جلست وأكلت، نصف عقلها لا يزال مع حلم أليكس، ونصفه الآخر في الخارج حيث يقف العنقي الصامت.

أنهت فطورها كاملاً، وغسلت صحنها، ثم خرجت إليهما، وحين وقع بصرها عليه عن قرب، كانت قد حسمت فضولها إلى حدٍّ ما، فرفعت له ابتسامة صغيرة تحييه بصمت، دون أن تدرك أن تلك الابتسامة ستجعله يتعجب.



لاحظت الميلة الخفيفة لرأسه، والتوقف القصير الذي طرأ على حضوره، كأن اختلافها عن آخر مرة التقيا فيها لم يمر عليه مروراً عادياً.

قال ألمير مشيراً إلى العنقي الصامت:

«قابليته من قبل يا كيارا، أليس كذلك؟».

أومأت، فسألها دون تمهيد آخر:

«هل تعرفين اسمه؟».

هزت رأسها نفياً، فقال مختبراً فضولها:

«هل تريدان أن تعرفي اسمه؟».

نظرت إلى العنقي، ثم إلى ألمير، وصمتت تفكر للحظة، كانت ذاكرة ذلك اليوم في قصر إيماتيروس حاضرة بوضوح الآن.

محاولة سبارك أن يذكر اسمه، يد العنقي الصامت التي أوقفته، الحوار السريع الخفي الذي دار بين العنق الثلاثة، ثم تلك الرهبة التي أحاطت بالاسم حتى قبل أن يُقال.



كانت قد تعلمت خلال إقامتها هنا، أن فضولها سلاح ذو حدين؛
كثيراً ما ساقها إلى ما لم تكن مستعدة لرؤيته أو احتماله.

وأحياناً يكون الامتناع عن السؤال هو الشجاعة الحقيقية، لا
السؤال نفسه، فقالت أخيراً بهدوء صادق:

«لا، لا يهمني أن أعرف اسمه».

رفع آلير حاجبه راضياً، ثم قال بلهجة جافة، لكنها لم تخلُ من
الاستحسان:

«ظننت أن درس اليوم سيكون أطول من هذا».

ضرب كتف العنقي الآخر ضربة خفيفة:

«هي لك الآن».

ودخل البيت تاركاً إياهما وحدهما، توجه إلى أحد الرفوف وأنزل
كوباً منه، ثم بدأ بغلي الماء وهو يراقبهما من النافذة، متعجباً من حضوره
لتدريتها، ليس لأنها غير سابقة له وحسب، بل لأنه أتى من تلقاء نفسه
كذلك.



فوجد أمير نفسه يتساءل ما إن كانت كيارا مدركة للجاذبية التي تملكها كعنقية، جاذبية تجعل مَنْ حولها يريدون مساعدتها دون أن تطلب، وكأنهم يريدون أن يصبحوا جزءًا من القصة التي ستروى عنها.

كان لديها حضور مختلف، وكأنك ترى حاكمًا لم يتسلم عرشه بعد، ولم يكن الأمير ليتعجب إن حكمت كيارا أسكونزول كاملة في يوم ما.

وربما لهذا السبب، كان الجميع حاضراً لها.. إلا نفسها، وهذا ما سيُبقى الفشل حليفاً لها، إلى أن تنتصر على عدوها الداخلي.

أما في الخارج، فكانت كيارا ما زالت تنظر إلى الباب الذي أغلقه أمير خلفه باستغراب، لكن صوتاً غريباً جذب انتباهها.

لم يتحدث العنقي الغامض بلسانه، بل دخلت كلماته عقلها مباشرةً، بنبرة متزنة:

«درسي معكِ هو أن تتعلمي كيف تحمين عقلكِ من التلاعب به».

التفتت نحوه وحدقت بشعره الذي أخفى عينيه للحظة، ثم



أومأت موافقة دون أسئلة، مدَّ يده إليها حينها ليصافحها، فحدّثت فيها لبعض الوقت.

شيء في داخلها كان يحاول تجنُّبه بلا سبب مفهوم، وصمت ريثا أكد لها أن لا وجود للخطر، لكنها شعرت بتهديد غريب.

مدّت يدها وصافحته في النهاية، فتحدث مجددًا، لكنه هذه المرة فتح فمه وقال بصوته المسموع:

«جيد، سأعرفك بنفسِي، أنا أسكارث».

حدث كلُّ شيء بعد ذلك بسرعة، فلم تجد فرصة حتى لإدراك الصدمة كاملة، شعرت أولاً بأن حرارةً عنيفة تصعد من داخلها، من أعماق موضع في كيانها، كأن نارها نفسها تفيض وترتفع نحو الخارج، كأنها تسعى إلى الهرب من الجسد الذي يحتويها.

في اللحظة التالية، كانت النيران قد أحاطت بها من كلِّ جانب، ولم تر شيئًا سواها، ولم تسمع إلا هديرها، كانت النار حولها وعليها وفي داخلها معًا، حتى بدا لها أنها لا تُحرق الجلد فحسب، بل تمرُّ عبر معنى وجودها كله.



لم تملك وقتًا لتسأل أو لتقاوم، وفي ثوانٍ معدودة، ذاب كلُّ شيء
وتحولت إلى رماد.



خرجت كيارا من رمادها لاهثة بعد وقتٍ قصير، رغم أن الرئة
نفسها قد أُعيد بناؤها للتو، نظرت حولها قبل أن تُخرج بقية جسدها،
لتجد أن العنقي الصامت غير موجود هناك.

أما الملابس، فكانت في موضعها إلى جوار الرماد، كما يتركها لها آلير
دائمًا، انتظارًا لها بعد الموت المتكرر الذي صار جزءًا لا يتجزأ من التدريب.

التقطتها بسرعة، وبدأت ترتديها وذهنها يغلي، كان أليكس قد قال
يومًا إن اسم هذا العنقي سلاحٌ بحدِّ ذاته، لكنها لم تتوقع أن سلاحه
سيكون استخدام نارها ضدها.

تساءلت، وهي تشدُّ القماش فوق كتفيها المرتجفتين:

(لماذا حاول سبارك أن يقوله لها؟ هل كان يتوقع هذه النتيجة؟ هل
أراد رؤيتها تحترق؟).



دخلت البيت مسرعة، وعندما رأت آلمير المشغول بالطبخ، قالت
دون مقدمات:

«هل هذه قوته؟ التحكم بقوة غيره؟».

أجابها من غير أن يلتفت عن عمله:

«لا، لا يستطيع التحكم بقوة أحد، اسمه يحمل تأثيرًا فقط، وذلك
التأثير يصيب نار العنق وحدهم».

اعترضت، وقد علا صوتها من شدة اضطرابها:

«كيف لا يتحكم بناري وقد اشتعلت وحرقتني؟!».

تنهَّد آلمير حينها، وقال:

«أسكارث عنقيّ ذو...».

لكنها لم تسمع بقية الكلام، اهتزَّ شيء في داخلها فجأة، وشعرت
بنارها تتحرك مرة أخرى، كأن الاسم حين دخل في عقلها لم يخلِّف أثرًا
عابرًا، بل أيقظ قلقًا مقيمًا في جوهرها.



قمعت النار بصعوبة شديدة، في الوقت الذي رفع آلير نظره إليها،
وعندما رأى الحيرة في عينيها قال ببطءٍ أوضح، وشيء من التضجر،
كمن يشرح قاعدةً قديمة:

«العنق يُقادون بالنار، ولأجل أن يبقى حكمهم نقيًا، وجب أن
تظل النار هي الحَكَم، لا المحكوم، ولكن بين حين وآخر، يظهر من
بينهم من يتمكن من ترويض ناره، فلا تعود أداة محاسبة له، بل تصير
سلاحًا في يده، وذلك العنقي..».

أشار خارج النافذة حيث كان أسكارث سابقًا وتابع:

«اختارته روح العنقاء، ليكون سلاحًا على من رَوَّض ناره حتى
بات يحكمها، فاسمه وحده شظية حكم، من سمعه مسَّته ناره الداخلية
بها يليق بحقيقته».

ظَلَّت تنظر إليه، تحاول استيعاب كلِّ كلمة، ثم قالت مستوضحة:

«إذن.. ناري لم يتحكم هو فيها، ولم تخرج عن السيطرة، بل
استجابت لسماع اسمه وحاكمتني بما أستحق؟».



أوماً ألمير، لتصعق هي، فقد كان المعنى أفضع من الاحتراق، نفسه،
وبدأت الأسئلة تتهاوى عليها:

(إذا كانت نارها قد حاكمتها، فهل هذا يعني أنها تستحق أن تُحرق؟
ما الذنب الذي اقترفته حتى تستجيب النار بهذه القسوة؟ ولماذا قال إنه
جاء ليدرّبها على التلاعب العقلي؟ هل أدرك شيئاً متأخراً فيها حين
احتُرقت؟ هل رأى ذنباً خفياً لم تكن تراه؟ وهل سيعود ليحاكمها مرة
أخرى؟).

كأن ألمير سمع الخيط الأخير من أفكارها، فقال فجأة:

«لقد عاد».

التفتت نحو النافذة، فرأته ينتظرها في الخارج، وعاد إليها الخوف
الذي ظنّته بات من الماضي، رغم أن أسكارث لم يتحرك نحوها أو
يهددها، بل كان واقفاً ببساطة، وهذا بحدّ ذاته صار كافياً ليوّظ في
داخلها التوتر القديم، وذلك ما ضايقها، إذ إنها قضت وقتاً طويلاً
لتقضي على شعور الخوف نفسه، وذلك العنقي أعاده في لحظة واحدة،



ما دفعها إلى الخروج إليه بلا تردد، وسؤاله بصوت مرتفع وهي تقترب نحوه:

«ما الذي فعلته لأستحق العقاب؟».

لكنه تجاهل سؤالها، وقال رافعاً كتفيه ببساطة:

«أنا أسكارث».

فانفجرت النار من جديد.



نهضت من الرماد لاهثة مجدداً، لبست ودخلت البيت مسرعة، لكنها تمهلت عندما وجدت آلير يتناول الطعام مع العنقي الصامت، وصحنها جاهز أمام الكرسي الثالث.

تداركت أنفاسها ومارست الصبر كما تعلمت، ثم جلست وأكلت دون كلام، وإن كانت الأسئلة تمور تحت جلدها.

وما أن انتهوا من الطعام، حتى سمعت صوته في رأسها يقول:

«الحقيني».



اضطربت نبضاتها، عدا أن ملاحظها ظلت ثابتة، ونهضت متلهفة،
على أمل أن تسمع تفسيره، لكنها ما إن ابتعدت عن البيت حتى قال
مرة أخرى:

«اسمي هو أسكارث».

وتكرر كلُّ شيء.

حين خرجت من الرماذ بعدها، وجدته جالسًا على كرسي، وجهًا
جانبه لها، رافعًا رأسه للسماء، كأنها يتأمل السحب من بين خصلات
شعره، كأنه أتى ليستجم هنا.

لم تتمكن من التقاط وعيها الكامل حتى أعاد عليها اسمه، فتحولت
إلى نارٍ من جديد، وتكرر الأمر قبل أن تمتلئ رثاها بهواءٍ ثانٍ، ثم ثالث،
مرارًا وتكرارًا، حتى أخذ اليوم كله شكل حلقةٍ واحدة من الاحتراق
والنهضة، وظل يفعل ذلك إلى أن غربت الشمس، ثم رحل.

عادت إلى غرفتها وهي غاضبة منه، غضبًا لا تعرف إن كان سببه
طريقته أم عدم تفسيره، أم لأنها بدأت تشعر أنه لا يدرها، بل يحاكمها
دون أن يبلغها بذنبها.



داهمها النوم قبل أن تدرك قدومه، لكنه لم يمنحها أية نجاة، فقد
رأت أليكس مرة أخرى، وهذه المرة كان المشهد فوق الفراش من آخر
وداع بينهما، اللحظة التي قالت له فيها بقلب مكسور:

«سأظل أحبك حتى ينبض قلبي لآخر مرة».

ثم انتقلت قبل أن يرد، لكن الحلم لم يرضَ بها جرى في الحقيقة،
فعلقت مكانها، ورأته يفتح عينيه، وينظر إليها، ثم قال بصوتٍ أكثر
مرارة من الغضب:

«لا تكذبي! الذي يجب لا يفعل هذا».

استيقظت للمرة الثانية ودموعها على خديها، جلست على حافة
الفراش قليلاً، تضع يدها على صدرها وتحاول أن تهدد ارتجافه، بينما
حيرتها عن معنى هذه الأحلام تشتد، متسائلة: لماذا يعود إليها أليكس
دوماً بهذه الصيغة.

تعودت أن تأخذ أحلامها على محمل الجد، لأنها دائماً تنبئ بشيء ما،
ونادراً ما تأتي عبثاً، وكانت تجربها الآن شيئاً لم تستطع سماعه بوضوح.



لامت نفسها على عدم الذهاب إلى الممرّ في الليلة السابقة،
وأغمضت عينيها لتتمالك نفسها وتذهب بهدوء لا يؤثر على أحكامها،
لكنها لم تجد قوّتها الداخلية لتعيد توازنها، فكلما حاولت التنفس بعمق،
سمعت صوته أو رأت تعابيره.

هزّت رأسها وحدثت نفسها:

«مارسي الصبر.. مارسي الصبر».

ثم تجهزت ليومها وهي ترجح أن اشتياقها له وتأنيب ضميرها
لتركه هو سبب أحلامها تلك، ونزلت لتبدأ تدريبها الجديد.

وجدت آلير وأسكارث واقفين في الخارج جنبًا إلى جنب بصمت،
لكنها باتت تعرف الآن أن بين الصمتين حديثًا داخليًا.

جلست إلى فطورها، تحاول أن تؤخر ما تعرف أنه قادم، حتى دخل
آلير وأخبرها أن وقت تدريبها قد بدأ، فخرجت ووقفت أمام العنقي
الغامض، لكنه ما إن فتح فمه حتى رفعت يديها سريعًا واستوقفته
قائلة على عجل:

«لحظة.. لحظة! أقرّ أنني مذنب، ولكن.. أخبرني ما ذنبي؟».

مال رأسه قليلًا إلى الجانب، فانزاحت خصلة من شعره، ولمحت



عينه من بين السواد، تلك العين الفضية الباردة التي تشبه قطعة الثلج،
ثم سمعت صوته داخل رأسها:

«أخبريني أنتِ يا كيارا، بماذا أذنبتِ؟».

صمتت تفكر، لكنّه لم يمنحها وقتًا طويلًا، وكرّر اسمه بصوتٍ
مسموع، فاشتعلت مجددًا.



حين أن موعد خروجها من الرماد هذه المرة، قررت أنها لن تنهض،
ولن تعود إلى الجسد فورًا، ولن تمنحه الحلقة التالية بسهولة.

كان في قرارها شيء من العناد، وشيء من الإنهاك، وشيء من
الرغبة في التخفي لبعض الوقت، تركت نفسها تنزلق إلى عمرات عالم
العنق، ذلك الموضع الذي تفضي إليه الأرواح حين تخرج من النار قبل
أن تعود منها.

وجدت روح العنقاء جالسة في المساحة التي تلتقي عندها الممرات
كلها، لا تفعل شيئًا واضحًا، تنظر إلى الأمام فقط، بابتسامةٍ حزينة
قليلاً، كأنها ترى شيئًا خفيًا.



مشّت كيّارا إليها وجلست قبالتها من غير استئذان أو خوف، كان في حضور روح العنقاء شيء يطمئن، شيء لم تشعر به حين حاولت أخذ أليكس منها، بل تكوّن خلال وقت بقائها مع أليمر.

ظلت جالسة هناك حتى نزلت إليها نظرات روح العنقاء، وفيها تساؤل هادئ عن سبب وجودها، فقالت كيّارا متبرمة:

«سأحتمي هنا لبعض الوقت، ليكفّ عن إحراقي دون تفسير».

راقبتها المرأة كما تراقب الأم طفلها بعد نوبة غضبٍ لا تجد فيها ما يُدان وما يُبرّر، ثم أومأت موافقة، لكن كيّارا لم تمكث طويلاً حتى سمعت صوت أسكارث داخل رأسها يقول:

«ألم أحذرك من الخوف، أيتها العنقية؟».

اتسعت عيناها، وانتقلت نظراتها بسرعة إلى روح العنقاء، لتجد ابتسامةً طفيفةً ترتفع على وجهها، وارتفع معها حاجباها كأنها تقول: (ما قرارك؟).

هزّت كيّارا رأسها بعناد:

«لن أقضي يومي في احتراقٍ متواصل، لقد انتهى ذلك الدرس سلفاً».



وفي تلك اللحظة، ظهر رياز مخلِّقًا، ينساب في الهواء بجناحيه الناريين، دار فوقها مرتين ثم هبط بقربها هبوطًا ناعمًا على غير ما يوحى به حجمه.

وصلها اعتراضه على هربها، كما كان يعترض على غالبية قراراتها، لكنه ما إن رأى النظرات الحادة التي رمقته بها، حتى قرر ألا يفتح نقاشًا طويلًا، يكلفه ما لا يحتمله مزاجه الآن، فاكتمى بالتأفف في صمت.

مرَّ الوقت سريعًا، قضته كيارا وهي تراقب روح العنقاء وسكونها برهة، ثم تتيه بأفكارها بعيدًا لبرهة أخرى، وبين الفينة والثانية، كانت روح العنقاء تختلس النظر إليها، كما يفعل رياز، ثم يتبادلان النظرات بينهما، كأنهما يجدان في ترقب قراراتها شيئًا من التشويق والمتعة الخفية.

إلى أن خرج أسكارث من أحد الممرات مقتربًا منهم، تجمدت كيارا فور رؤيته، فلم تكن تعرف إن كان يمكنه أن يحرقها هنا أيضًا أم لا.

حيًا روح العنقاء أولًا، ثم التفت إليها وقال بصوته المسموع:

«عودي إلى المنزل، انتهى تدريب اليوم».



كان صوته هادئاً، لكن أسفل هدوئه سمعت شيئاً من الوعيد، كما لو أنه يعدّها دون أن يصرح بأن الغد سيكون أقسى لفرارها.

ولكنها لم تعباً بذلك، فلم تهرب منه خوفاً، بل ضيقاً من طريقته، نهضت متنهدة، ولم تنظر إليه كثيراً، ثم ابتعدت عنها لتعود، ورياز يخلق من خلفها.

ولكنها أثناء تلاشيها من هناك، سمعت صوت روح العنقاء تخاطب أسكارث قائلة:

«تحمل قدرة والدها وعناد والدتها، لا عجب».

تبعثر المعنى في داخلها قبل أن يكتمل، لأنها كانت قد بدأت تعود بالفعل، بينما ظل أثر الجملة يتبعها إلى ما بعد الممرات.

منهريّة



تراقصت خطوات وارويك في الممر المؤدي إلى جناح تريشا، بينما
كان يدندن بنغم ارتجالي لا يستقر على لحنٍ بعينه.

مضت ثلاثة أسابيع منذ أن أحضرها إلى هذا الجناح، ثلاثة أسابيع
من شدٍّ وجذب، من محاولاتٍ متكررة لا تفضي إلى نتيجة، ومن
حواراتٍ تبدأ بسخرية وتنتهي بمطاردة، لا تختلف نهايتها كثيرًا عن
بدايتها.

لم يتغير حالهما كما كان يأمل، لا اقتربت منه كما توقع، ولا انهار ذلك
الجدار الذي ترفعه في وجهه كلما ظن أنه بدأ يتصدّع.

ومع ذلك، لم يكن إضرابها جامدًا تمامًا؛ فقد قبلت الطعام أخيرًا،
بعد إلحاح لطيف من إحدى الخادמות، لكن العلاج ظل مرفوضًا
رفضًا قاطعًا، وكأن الشفاء بلا قيمة إن جاء عبره.

ابتسم لنفسه وهو يقترب من الباب، وقد تذكر كيف التفّ على
عنادها بأسلوبه الخاص، ودسّ الدواء في الطعام، وانتظر أن تكتشف،
أن تشتدّ حواسها، أن تشعر بتلك النبضة السحرية الممزوجة بما تأكله.
لكنها لم تفعل، فقد كانت تلك تجربتها الأولى في التجرّد الكامل من



قوتها، ولم تكن تعرف كيف تقيس الفرق بين تحسُّنٍ طبيعيٍّ في الجسد،
وبين أثرٍ خفيٍّ يُزرع فيه، فمرَّ تحسُّنها البطيء عليها كأمرٍ غامض وغير
محدد، دون أن تربطه بشيء، أو تسأل عنه.

انتقل إلى داخل الجناح دون طرق كما اعتاد، تلفت حوله باحثًا
عنها، ليجدها واقفة أمام الباب خلفه، يدها ممدودة فوق الخشب،
تلمسه كأنها تحاول استدعاء شيءٍ ضاع بينهما، عيناها نصف مغمضتين،
وصوتها خافت، يكاد يكون همسًا:

«أتحبسني اليوم، بعد أن كنت حليفي؟».

قطب حاجبيه دون أن يقاطعها، بينما خفضت رأسها أكثر، حتى
لامس جبينها الخشب، ولامت الجهاد بنبرة مكسورة:

«أيها الخائن».

زم شفثيه ليقمع ابتسامته، ثم رفع أحد حاجبيه، قائلًا من خلفها،
بنبرة فضول خالطها التعجب:

«هل عندك القدرة على حديث الطبيعة؟».



انتفضت ملتفتةً إليه، وقد اتسعت عيناها للحظة قبل أن تضيقا
بحدّة، كان واقفاً عاقداً ذراعيه، ينظر إليها كما لو أنه دخل في منتصف
عرض غريب.

تراجعت عن الباب، ثم توجهت نحو الكرسي قرب الطاولة،
وسؤاله لا يزال عالقاً في ذهنها، لكنها كانت تفكر كيف تشرح له،
فلم تكن علاقتها بالطبيعة تصاغ بالكلمات، كانت إحساساً صامتاً بين
الطرفين، ولا يحتاج إلى لغة.

وحين حاولت أن تترجم ذلك إلى جوابٍ مباشر وبسيط، أدركت
أن الإجابة، وفق معايير وارويك، لا يمكن أن تكون إلا واحدة.

أجابته وهي تجلس على الكرسي زافرة بامتعاض:

«لا».

أوماً ببطء، وكأن القطعة الأخيرة قد سقطت في مكانها، ثم تمت:

«جننت إذن، لم أتوقع أن تفقدي عقلك بهذه السرعة».

أغمضت عينيها للحظة، تقاوم تلك الشرارة التي بدأت تتصاعد



في صدرها، كان يفعل ذلك يوميًا، بل مرات عدة في اليوم الواحد، يستفزها ويختبر حدود صبرها كما لو كان ذلك نصيبه المشروع من التسلية اليومية.

قالت بحق دون أن تنظر إليه:

«بل أنت من فقد عقله، فارجع إلى عقلك وأخرجني من هنا، لا تُبنى العلاقات بالقوة يا وارويك».

اتكأ على الحائط بذراعيه المعقودتين بثقة مُغيظة، يراقبها بعينين لامعتين، كمن يتأمل مشكلة مسلية أكثر من كونها أزمة حقيقية.

قال مستمتعًا أكثر مما ينبغي:

«بلى، تُبنى العلاقة بالقوة حين يكون أحد الطرفين ضروريًا في حياة الآخر، بينما الآخر يتمسك بكبريائه ويرفض الاعتراف».

عقدت حاجبيها بعدم فهم، ثم اشتاطت غضبًا حين استوعبت مقصده:

«ضروري؟! أنت؟! أنت...!».



تلفتت حولها بسرعة، تبحث، عن أي شيء، كما اعتادت في كل مرة
تصل فيها إلى هذه النقطة، ثم وقعت يدها على مزهرية قريبة، التقطتها
دون تفكير، وقذفتها بكل ما فيها من غيظ.

حلقت المزهرية في الهواء، ثم حلقت أبعد مما توقعت، واصطدمت
بالجدار بعيداً عنه بمسافة محرجة، وتفتت إلى شظايا متناثرة على
الأرض.

تجمّد لحظة، ناظرًا إلى موضع سقوطها، ثم عاد ينظر إليها وقد
تسللت ابتسامة جانبية إلى وجهه، وقال بنبرة منتصرة ساخرة:

«أرأيت؟ لهذا السبب تحتاجيني في حياتك.. لأصقل دقّتك في
إصابة الهدف».

اتسعت عيناها أكثر، وصاحت سخطًا:

«يا لك من...!».

وعوضًا عن إكمال جملتها، اندفعت نحوه فجأة، كما في كل مرة،
لكن لسبب لم يستطع وارويك تفسيره، ظلّ جسده يتفاعل كما لو أن



الخطر حقيقي، كما لو أنها قد تصيبه فعلاً، كما لو أن إصابتها ستسبب له أي نوع من الأذى، فيرتعد كلما انقضت عليه.

شحب وجهه، وتراجع إلى الخلف متعثراً:

«يا للهول! كنت أمزح! أمزح!».

لكنها لم تتوقف، فاستدار بسرعة وفتح الباب في حركةٍ شبه بطولية، ثم فرَّ إلى الخارج رافعاً صوته:

«سنكمل حديثنا عن بناء العلاقات لاحقاً!».

وأغلق الباب خلفه بسرعة، توقفت تریشا في مكانها وهي تلهث، عيناها مثبتتان على الباب، كأنها لم تصدق أنه فتحه وأغلقه أمامها قبل أن تتمكن من اللحاق به.

هرعت نحوه وأمسكت بالمقبض، وأدارته مرة ثم أخرى، ثم حاولت بعنف أكثر، لكن الباب لم يتزحزح مجدداً، فصرخت بغیظ وركلته بقدمها، ثم شتمته، وشتمت صانعه، وشتمت كل ما في هذا المكان من قيود.



توقفت بعدها للحظة، تحاول التقاط أنفاسها، وأخيراً، التفتت نحو
المزهريّة المحطمة على الأرض، ذهبت إليها وانحنت لتلتقط إحدى
قطعها الحادة، تأملتها وهي تتمم بنبرة وعيد منخفضة:

«ربما أطعنه بهذه في المرة القادمة».

لكن الفكرة نفسها لم تقنعها، فزفرت باستياء، وشتتت الجدران
الملّيسة بسحره، ثم شتت قوته التي تبطل قوتها، ثم الرابطة التي
أعطته تلك الصلاحيات.

باتت كلماتها تنفلت بحدة غريبة منذ أن حبسها، بذئنة وقاسية، لا
تشبهها، وأدركت بمرارة، أنه لسبب مختلّ، يستمتع بسماعها تنحدر
هكذا.

ألقت القطعة الحادة في سلة المهملات بقسوة، كأنها تعاقب نفسها
معها، وعادت إلى كرسيها، ثم ألقت بجسدها فوقه بإرهاق واضح.

أما في الخارج، فقد كانت خطوات وارويك تبتعد على عجل،
سريعة وغير منتظمة، بطريقة لا تليق باسمه أو بمكانته كقائد لتلك
المملكة.





لاحقًا في ذلك اليوم، بعد أن هداً الجناح من فورة الغضب التي
تركت آثارها متناثرة على الأرض، استلقت تريشا على فراشها بخمولٍ
متعب، وعيناها تنتقلان بين ما تبقى من الفوضى.

كانت الشظايا الصغيرة لا تزال تلمع على الأرضية، تعكس الضوء
في ومضاتٍ متقطعة، لكنها لم تشعر بالحاجة إلى تنظيفها، بل كان في
تركها كما هي شيءٌ من العناد.

أمالت رأسها إلى الجانب، وأغمضت عينيها للحظة، قبل أن يقطع
السكون صوتٌ عند الباب، طرقات خفيفة مهذبة.

فتحت عينيها قائلة دون أن تغير وضعيتها:

«ادخلي».

فلم يطرق الباب بتلك الرقة سوى الخادמות، انتقلت الخادمة إلى
الداخل، حيّت تريشا بإيماءة صغيرة، ثم التفتت إلى عملها فوراً.

لم تعتذر تريشا عن الفوضى، ولم تطلب الخادمة التبرير حتى
بنظراتها، انحنى فقط وبدأت تجمع الشظايا بعناية، قطعة تلو الأخرى.



راقبتها تريشا بصمت، فقد كان في حركاتها شيء مهدئ، أو ربما كان مجرد صمتٍ من نوع مختلف، لا يحمل مواجهة أو استفزازًا.

انتهت الخادمة من عملها ثم اختفت، لكنها سرعان ما عادت وهي تحمل مزهرية جديدة، لتضعها فوق الطاولة بعنايةٍ مبالغٍ فيها.

تنهّدت تريشا بصوت خافت وهي تنظر إلى المزهرية دون اهتمام حقيقي، فهي مجرد تفصيل إضافي لا يغير شيئًا في هذا المكان المغلق.

لكن الخادمة لم تستأذن للمغادرة كما تفعل عادة، بل اختفت وعادت مجددًا، عقدت تريشا حاجبها باستغراب دون أن تعلقَ عندما لاحظت أنها تحمل مزهرية أخرى، ثم وضعتها بجانب الأولى، وراقبتها وهي تخرج للمرة الثالثة دون تفسير، وتعود بمزهرية ثالثة.

حينها تحول الفضول إلى ارتياب، فاعتدلت جالسة غير قادرة على تجاهل الأمر أكثر، تتبعت الخادمة بعينها وهي تضع المزهرية الجديدة إلى جانب الأخريات.

نقلت تريشا نظراتها بين المزهريات الثلاث ومن أحضرتها، حتى تمكّن الفضول منها وكادت تسأل، لكن الفتاة سبقتها، تقدمت نحوها



ووضعت ورقة صغيرة على الطاولة الجانبية للسريـر، ثم قالت بنبرة محترمة:

«رسالة لكِ من القائد».

انحنى لها دون أن تفسر شيئاً، ثم استأذنت للخروج قبل أن تستدير وتختفي بنفس الهدوء الذي حضرت به، فيما بقيت تريشا في مكانها، تنظر بشك إلى الورقة، ثم إلى المزهريات، ثم عادت إلى الورقة. كان في المشهد كله شيء غير منطقي، أو ربما منطقي على طريقة وارويك الخاصة، تلك الطريقة التي بدأت تألفها رغم رفضها، فمدّت يدها أخيراً، والتقطت الورقة وفتحتها.

قرأت الكلمات لكنها لم تفهمها فوراً، فقرأتها مرة، ثم مرة ثانية، ثم
ثالثة:

«أهديك ثلاث مزهريات، لتكون لديك ثلاث محاولات في إصابتي
المرّة القادمة».

ظلت تحدّق في السطور، كما لو أن المعنى تأخر في الوصول، أو



رفض أن يستقر، فرفعت رأسها وتأملت المزهريات الثلاث وهي مصطفة أمامها، بريئة من العبث الذي يحمله باعثها.

عادت عيناها إلى الورقة، وظلت تنتقل ذهابًا وإيابًا للحظة طويلة، بما يكفي لتغير تعابيرها تدريجيًا من ذهول صامت إلى استيعاب بطيء، ثم إلى شيء آخر.

انقبضت شفتاها، وضاحت عيناها، وانزلت من صدرها زفرة ممتدة، مشبعة بنفاد الصبر، رفعت يدها إلى شعرها، وأدخلت أصابعها بين خصلاته، ثم بدأت تفرك فروة رأسها بقوة، كأنها تحاول أن تعيد ترتيب أفكارها، أو تطرد فكرة بعينها، فكرة أبت أن تغادر.

تمت بكلمات غير واضحة ومتقطعة، لا تستهدف أحدًا بعينه أو تعني شيئًا مفيدًا، شيئًا بين الامتعاض والاستسلام القادم.

عادت واستلقت مجددًا، حتى هدأت أفكارها المضطربة، حدقت بالسقف لبعض الوقت، وحاولت بشدة ألا تعيد النظر، لكنها نظرت إلى المزهريات مرة أخرى، إلا أن المنظور اختلف رغمًا عنها، فلم ترها كأسلحة كما أراد لها، بل دليل واضح على يأسه، شعرت بشيء بدأ



يتسلل إليها دون إذن، فأغمضت عينيها للحظة، وهمست تذكر نفسها:

«لا تتعاطفي...».

زفرت بحدّة، تحاول قطع ذلك الشعور قبل أن يترسخ أكثر، وبدأت تذكر نفسها، بأنه يحاول السيطرة عليها، أن يتسلل إلى داخلها، إلى عقلها، أن يتحكم برود فعلها.

لكن الفكرة لم تكتمل عندما تذكرت استمتاعه بنوبات غضبها، وكأنه سعيد برؤيتها تعبر عما بداخلها بحرية.

فتحت عيناها لتقابلها المزهريات مجددًا، ما جعلها تصر على أسنانها بامتعاض، فقد تمت ألا تجدها، أن تكون نسجًا من خيالها، بالرغم من أن ذلك سيعني أنها فقدت عقلها بالفعل كما قال، لكن فوضوية أفكارها أشعرتها بأن ذلك صحيح سلفًا.

قالت سائمة:

«رائع، نقل جنونه إليّ بنجاح».

لكن الكلمات لم تكن صلبة كما أرادت، لأن شيئًا صغيرًا جدًا كان قد



تسلل إلى داخلها، شيئًا لم تعترف به، ولم تسمح لنفسها حتى بتسميته.

فاكتفت بالنظر إلى هداياه بضياء، حتى قررت أنها تمثل تهديدًا لما
تبقى من سلامتها العقلية، ولن يتلاعب بها مجددًا.



عودة الأمل



كانت الحديقة الخلفية للقصر مغمورة بضوءٍ ذهبيٍّ خفيفٍ، يتسلل بين أغصان الأشجار حديثة الغرس، ويلامس التربة الرطبة التي كانت لا تزال تحتفظ بحرارة النهار.

انحنى وارويك إلى جوار إحدى الشتلات وهو يشبّتها بيده، بينما كانت والدته تجلس إلى جانبه، تراقب موضع الجذور وتوجّهه بصوتٍ منخفض إلى المكان التالي.

كان ذلك المكان يشبهه كثيراً، ذلك الهدوء الذي تخيّل منذ الصغر، كانت يدها تعملان بثبات، كما لو أنه وجد في هذا الانشغال المؤقت شيئاً يطمئن طفلاً لم يحقق أحلامه.

قالت والدته وهي تشير إلى الحفرة التي يعمل عليها:

«أعمق قليلاً».

أوماً دون أن ينظر إليها، ودفع يده داخل التربة أكثر، ثم ثبت الشتلة كما طلبت، مرّت لحظة قصيرة، لم يُكسر فيها الصمت إلا بحفيف الأوراق وصوت الدمدمة المكتومة للتراب وهو يُعاد إلى مكانه.



ثم جاءت الخادمة وتوقفت على مسافة قريبة، حتى ينتبه لحضورها، لكنها لم تنتظر طويلًا، إذ اعتدل قليلاً وهو يمسح يديه، ثم رفع رأسه نحوها.

قالت بنبرة مهذبة:

«سيدي، سلّمتها المزهريات ورسالتك».

توقفت يداه لوهلة، وتغير شيء في ملامحه، شيء لم يكن واضحًا بالكامل، ارتخاء خفيف عند زاوية فمه، تلاه زفير قصير، خرج أقرب إلى ضحكة مكتومة:

«جيد».

ثم التفت عائداً إلى عمله في تثبيت الشتلة، لكنه لم يخف ذلك الوميض الذي مرّ في عينيه، فلم يعد ذهنه في الحديقة، تخيلها، وتخيل كيف ستنظر إلى المزهريات، كيف ستقرأ الرسالة، تخيل الحيرة في عينيها كما تفعل دائماً حين لا تستوعب عبثه من الوهلة الأولى.

ارتفعت زاوية فمه أكثر، وهزّ رأسه بخفة، كما لو أنه يقول معاتباً



إياها بصمت:

(ساذجة أحياناً..).

توقفت والدته عن العمل للحظة، ونظرت إليه دون أن تسأله أو تقاطع أفكاره، اكتفت بمراقبته متألمة ابتسامته التي لن تملَّ منها أبداً.

لكن ضحكته الخفيفة لم تدم طويلاً، إذ ارتجفت أنفاسه فجأة، وتلاشت ابتسامته بعدها، وتوقف كلُّ شيء بداخله دفعة واحدة.

مرَّ عبْرهُ شيءٌ ما، إحساسٌ خفيفٌ وسريع، لكنه واضح بما يكفي ليتوقف عنده، إحساسٌ بعث فيه الأمل، فلم يأتِ من داخله، بل منها، ارتباك وتردد لم يتوقع أن تشعر به بعد كلِّ ما حدث.

كانت يده لا تزال فوق التربة، أصابعه نصف مغروسة فيها، لكنه لم يعد يتحرك، رفع رأسه قليلاً دون أن ينظر إلى شيء محدد، وظلَّ ساكناً كما لو أنه يحاول أن يمسك بهذا الإحساس قبل أن يختفي، أن يتأكد إن كان حقيقياً أم مجرد انعكاس لرغبته هو.

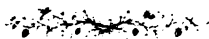
لكنَّه لم يختفِ فوراً، بقي موجوداً، خافتاً.. لكنه موجود.



توقفت يد والدته عند العمل عندما لاحظت التغير في تعابيرهِ،
وفتحت فمها توشك أن تسأله عما أصابه فجأة، لكنها تراجعَت في آخر
لحظة، لأن ملاحظته تغيّرت مجدداً، ظهرت ابتسامة أخرى على شفّتيهِ، لم
تكن واسعة ولا ساخرة، ولا حتى واثقة.

ابتسامة من نوع جديد، مذهولة ومتأملّة..

فأغلقت فمها مجدداً، لعلمها أنه في حالة لم يكن من السهل اقتحامها
بالكلام، أما هو، فعاد إلى الحركة بعدها، وأنهى تثبيت الشتلة كما بدأ،
ثم مسح يديه من التراب، وباشر في سكب القليل من الماء فوق النبتة،
لكن انتباهه لم يعد إلى الحديقة بالكامل، بل ظل جزء منه هناك، في
الجناح، معها.



كان النهار ينساب ببطء داخل الجناح، هادئاً على نحوٍ مزعج، فلم
يحمل معه ما يكفي من الحركة ليبدد الثقل العالق في المكان.

جلست تريشا فوق فراشها، تضم ساقها إلى صدرها، وتسند ذقنها
فوق ركبتيها، تراقب السماء خلال النافذة العالية.



كانت المزهريات الثلاث لا تزال مصطفةً على الطاولة أسفل
النافذة، تراقب الجنية بصمتٍ ساخر، كتذكير مستمر بشيء لم تقرر بعد
إن كانت ستضحك عليه أم تغضب منه.

طُرق الباب، فقالت بشرود دون أن تلتفت:

«ادخلي».

ظناً منها أنها الخادمة، لكن وارويك انتقل إلى الداخل كجزء من
إيقاعه اليومي، نظر إليها أولاً، قبل أن تقع عيناه على المزهريات، ثم
عاد إليها مجددًا.

لم تتحرك أو تلتفت، لكنها بطريقة ما أحست أنه حضر، ومع ذلك،
بقيت كما هي، كتفاها منحنيان، وعيناها ثابتان في الفراغ، لا تملك
الطاقة الكافية للتعامل مع هزله.

تقدم بضع خطوات محدّقا في النافذة مثلها، وفي ذلك الصمت،
ترنّم لحن الخوف على وترين؛ أحدهما الرغبة، والآخر هو التردد.

وبعد لحظات، قال كمن يحدث نفسه:

«كنت أكره يوم الإثنين».



لم تجبه، لكن زاوية نظرها تحركت نحوه قليلاً، تمنحه نصف انتباهها،
عله يفعل شيئاً تقرر به كيف تشعر تجاهه بعد الآن.

تابع مستنداً إلى ظهر أحد الكراسي، عاقداً ذراعيه:

«كان يبدأ فيه كلُّ شيء، العمل، المسؤوليات، الوجوه التي لا رغبة
لي برؤيتها، كلُّ ما يمكن تأجيله كان يعود في ذلك اليوم دفعة واحدة».

صمت لحظة، يراجع تلك الفكرة في رأسه، ثم أضاف بهدوء أخف،
لكن المعنى أسفل كلماته بات أثقل:

«أما الآن، فأكره جميع الأيام».

توقفت أنفاسها للحظة عندما داهمتها مشاعره، إرهاق عميق
وخائق، يتعارض مع شخصيته التي تبدو دائماً بلا هموم.

كادت تلتفت حينها، بل أرادت أن تلتفت، أن ترى إن كانت تعابيره
تعكس مشاعره أم تخفيها كالعادة، وبالرغم من أنها قمعت تلك الرغبة
بنجاح، فإن كتفها انحنت أكثر للإنهاك الذي كان يطفئ روحه.

ذكرت نفسها بعدم التعاطف معه، لكن الرابطة نقلت لها الحقيقة



دون تزيين، فترددت الفكرة في داخلها كدوامة لا تهدأ، كان يعاني بصمت لا يطلب به الشفقة، وطبيعتها التي اعتادت أن تُرَّم ما يتصدَّع في الآخرين لم تسمح لها أن تدير ظهرها له ببساطة.

كيف تتجاهل وجعًا لا تراه بعينيها، بل تشعر به في صدرها؟ وهي التي عرفت الوجع من قبل، وتشبَّعت به حتى صار جزءًا من كينونتها.

ذُكرت نفسها بأنه اختطفها، وسلب منها حقها في الاختيار، ولكن.. ألم تنتهِ معاناتها هي بذلك، ثم أقنعت نفسها بأن اختطافه لم يكن بدافع إنقاذها، لأنه لا يعرف الحقيقة، ولا يعلم ما يجري في ماجيسيا، أو ما كانت تعيشه هناك.

وبعد أفكار كثيرة متعارضة قررت أنه لم يفعل ذلك من أجلها، لكن صوته عاد من ذكرياتها، واضحا على نحو مزعج:

«لن أسمح لكِ بالموت..».

توقف صوت أفكارها هناك كأنها اصطدمت بحائط، تتساءل ممَّ كان يحميها وهو لا يعلم، فارتبكت الخيوط أكثر، لترسخ الحقيقة غير قابلة للجدال: ربما لم يعلم التفاصيل، لكنه رأى ما يكفي ليتكهن، رأى



ما كانت تحاول إخفاءه، ما لم تعترف به حتى لنفسها، لذلك قال لها حينها:

«أظن أنك تقمصت دور الضحية».

اشتد اضطرابها، وتداخلت الأسئلة حتى فقدت شكلها، ولم تعد تعرف إن كانت ممتنة أم غاضبة، إن كان ما فعله اعتداءً على حريتها أم محاولة مشوّهة لحمايتها.

كلُّ ما عرفته في تلك اللحظة، أنها لم تعد تعرف كيف تشعر تجاهه، فأغمضت عينيها لثانية، ثم فتحتها وهي تقول ببرود محسوب:

«هل أجبرك أحد على البقاء هنا؟ إن باتت أيامك أثقل من أن تُحتمل، فأنت لا تختلف كثيرًا عني».

التفتت ونظرت إلى عينيه مباشرة:

«أظن أنك تقمصت دور الضحية».

شلت ملامحه للحظة، ثم أومأ وأجابها ببساطة دون إنكار:

«لم يجبرني أحد».



رفعت كتفها:

«إِذَا، المشكلة ليست في الأيام، بل في قراراتك».

لم يعترض، ونظر إليها كما لو أن الرد لم يكن مفاجئًا، لكنه لم يرد
سماعه بصوت مرتفع، ثم تمتم لنفسه:

«ربما».

عاد الصمت للجناح، ليس صمتًا مريحًا، ولا عدائيًا كذلك، كان
هناك شيء بينهما، شيء غير مستقر، جعلها تشيح عينيها عنه وتعيدهما
إلى النافذة، كأنها تنهي الحديث بذلك، لكن تواصلهما لم يكن بالكلمات
في أغلبه، بل بالخيط الذي يصل القليلين.

ظل وارويك واقفًا مكانه يحدّق فيها من الجانب للحظة أطول مما
ينبغي، ثم أدار وجهه إلى المزهريات الثلاث، وقال فجأة بنبرة مستهزئة،
في محاولة متأخرة لكسر الحقيقة فيما قد قيل سلفًا:

«ربما سأستغل أنا المحاولات الثلاث وأحاول إصابتك».

لم تبدِ أي ردة فعل ظاهرة، لكن أصابعها اهتزت قليلًا، لم تبسم،



لكن الرابطة بعثت بشيء خفيف يشبه نسيماً ناعماً جداً، لا يكاد يُرى،
لكنه مرَّ عبر قلبه كضيف لطيف اختفى بسرعة.

أغمض عينيه، يستشعر تلك اللذة الخاطفة التي غمرته، ثم استقام
قائلاً:

«سأمرُّ لاحقاً».

لم ينتظر جوابها، لأن رجوعه لها لا يقبل النقاش، استدار لينتقل،
لكنه توقف لحظة دون أن يعيد الالتفات نحوها، كأن هناك شيئاً آخر
كان يمكن أن يقوله، وفي النهاية اختار ألا ينطقه.

أكمل انتقاله، بينما بقيت تريشا مكانها، تحدّق في الضوء الممتد من
خارج النافذة، تراجع جميع كلماته التي ظلّت عالقة في المكان.



معركة خاسرة



مرّ اليوم بركوذٍ غريب لم تعهده تريشا في هذا القصر، ركود لا يبعث على الراحة تمامًا، لكنه لا يحمل ذلك التوتر المعتاد أيضًا، كأن شيئًا بات معلقًا بينها، كمشكلة خدت قليلًا دون أن تُحل.

المفترض أن هذا السكون يشبهها، أن يكون أقرب لما تألفه وتلوذ به، لكنه بدا مختلفًا هنا، مشوبًا بشيء آخر، لذا استقبلته بشيء من الارتباك، ما قادها إلى إدراك متأخر بأنها اعتادت هزل وارويك أكثر مما ينبغي، لم تعلم متى ألفت تلك الأجواء، لكنها في لحظة ما نسيت كيف يبدو السكون، ولهذا، حين عاد الصمت وامتدّ حولها من جديد توترت وكأن كل شيء سلبي سيعود برفقته.

تركت طعامها وألقت الملعقة متنهدة، وأغمضت عينيها للحظة وهي تردد داخل رأسها:

(لا، هذا الهدوء ليس حقيقيًا، ولا ينبغي أن أعتاده).

لكن يدها مرّت على ذراعها، حيث كانت الكدمات التي تلاشت دون أن تنتبه، فتذكرت أن الألم أصبح منسيًا، ولم يعد جسدها يئن مع كل حركة، ومع ذلك لم تطمئن، بل تشوّشت أكثر.



كلُّ شيءٍ أصبح أسهل، النوم أعمق، الهواء أخف، المكان آمن.

وهنا بالضبط، عند تلك الفكرة، شعرت بالرفض يتصاعد من داخلها، فلا يجب أن يكون أمانها هنا، لا يجب أن يكون معه.

شدّت أصابعها على طرف الطاولة، تحاول أن تثبت نفسها في موقفٍ واضح، لكنها وجدت حيرةً أعمق من السابق.

نهضت وتحركت نحو الباب ووقفت أمامه، أرادت أن تذكر نفسها بأنه مغلق، ليتذكّر قلبها أنها سجينته لا غير، لكنها لم تضع يدها على المقبض فوراً، وبقيت للحظة تحدّق فيه فقط، كمن ينتظر معجزة تنقذه من الحقيقة المرة.

بقي الباب كما هو، جامداً وبارداً، مؤكّداً لها ما تود نسيانه، فمدّت يدها أخيراً، ووضعتها فوق الحديد المذهب، دون أن تضغط عليه أو تلفه أو تحاول فتحه.

أبقت كفّها عليه فقط، تستشعر قسوته، وتختبر إن كانت مشاعرها ستنعكس عليه بطريقة ما، وعندما طال انتظارها دون نتيجة، تمت بهمس مخاطبة نفسها:

«لا شيء هنا حقيقي، فلا تنخدعي».



سحبت نفساً عميقاً وأغلقت عينيها، تحاول أن تفصل نفسها عما يحيطها، أن تسحب عقلها من هذا الهدوء الذي بدأ يتسلل إليها دون إذن، لكن فوضى المشاعر والأفكار صارعتها حتى يئست، ففتحت عينيها بإحباط، واستدارت.

لم تكد تصل إلى كرسيها، حتى سمعت صوت خطوة واحدة خلفها أعلمتها بقدم زائر، لم تستدر نحوه، ولم تملك القوة لاستشعار هالته، لكنها كانت تعرف أنه وارويك.

أما هو فلم يتكلم، بقي واقفاً خلفها، ينظر إليها، يقرأ شيئاً في مزاجها.

بقيت حيث هي للحظات، تمنحه الوقت ليغادر، وتمنح نفسها الوقت لتقرر ما الذي ستفعله اليوم، هل تصرخ؟ لكنها لم تنغمر بغضبها كالعادة، هل تستخدم مزهرياته الثلاث بالفعل كما قال لها؟ لكن جسدها أثقل من الأمس.

وحين عجزت عن اتخاذ أي قرار التفتت ونظرت إليه، ثم ندمت فوراً.



توقف الزمن لوهلة، لم يتغير موقفها منه، لكن الضوء تغير،
فانسكب النور المتسلل من النافذة خلفها على وجهه بزاوية جعلت
ملاحه أوضح.

انعكست أشعة الشمس في عينيه، فبدت زرقها صافية على نحو
مألوف، كماء ساكن في بحيرة نقية، لا عمق فيها ولا برودة كما كانت
تتخيله دائماً.

وللحظة عابرة تساءلت كيف أقنعت نفسها يوماً أن هاتين العينين
تحفيان كل ذلك التعقيد، وكل تلك الأسرار والمؤامرات.

ارتبكت نبضاتها، وتأخرت نظراتها عنده للحظة أطول من اللازم،
فلم يقتصر الأمر على عينيه، بل كان في استرخاء ملاحه شيء مريح، في
الخط المستقيم لفكه، في سكونه غير المتكلف، في حضوره الذي لا يشبه
الرجل الذي بنته في رأسها.

حتى صمته لم يكن استفزازاً هذه المرة، بل رزانة هادئة جذبت
انتباهها رغماً عنها، ولم تستطع أن تسحب عينها فوراً.

انتهت لنفسها أخيراً حين ارتفع حاجبه قليلاً، ولمعت عيناه



باستعجاب مستمتع، فعلمت أن الرابطة فضحت مشاعرها، لذلك
قررت أن تحطم غروره قبل أن يتكون:

«وارويك، أعلم أنك وسيم..».

ارتفعت زاوية فمه فوراً، وبدأت تتشكل عليها ابتسامة واثقة،
لكنها لم تتركها تكتمل، وتابعت بنفس النبرة الضجرة:

«لكنك لست وسيماً بما يكفي لتكون بهذه الحماقة».

توقفت ابتسامته عن الاتساع، وتجمدت كما هي لوهلة، ثم سقطت
بالكامل متزامنة مع ذبول كتفيه، كطفل سُحبت منه الحلوى التي
سرقها.

ارتخى جفناه، ومالت زاويتا فمه إلى الأسفل قليلاً، عابساً بعدم
رضا، فداهمتها ضحكة ساخرة على تبدل حاله.

تنفّست ببطء لتقمعها، وحاولت أن تبقي صوتها ثابتاً، ثم أضافت:

«ما تفعله لن ينجح، فلن أنسى أبداً كيف وصلنا إلى هذا المكان».



ظنت أنها واثقة، لكن صوتها فقد توازنه في النهاية، فعلمت أنها تودُّ
إقناع نفسها أكثر بتلك الكلمات، وقبل أن تتمكن من تفسير دواخلها
المبعثرة أوماً وقال مُثنيًا:

«هذا جيد...».

استغربت لبرهة، لكنها باتت تعرفه أكثر من أن تنخدع أو أن
تصدق أنه يعني ذلك، ثم أكمل منهيًا هدوء ذلك اليوم:

«من الجيد أنك بدأتِ تشاركين مشاعرك بحرية».

لم تصدق حينها كيف ظنت قبل لحظة قصيرة أن غضبها قد تلاشى
إلى الأبد، فقد كان وارويك يحمل موهبة توليده في ثوان.

قالت بنبرة مشحونة ارتفعت مع كل كلمة:

«أنا أشارك مشاعري كما أشاء، ولكنني لا أريد مشاركتها معك أيها
الغبي!».

ظنت أن كلماتها ستؤذيه، لكنه أوماً متفهمًا وقال بصوت هادئ
استفزها:

«أعلم، وهذا ما أحاول تغييره».



انفعلت كما يحصل لها دائماً برفقته:

«وكيف ستفعل ذلك؟ بمعجزة؟».

صفقت وأكملت ساخرة تسترجع ما قاله سابقاً:

«أو.. أو ربما.. بجاذبيتك المزعومة؟!».

عقد حاجبيه شاعرًا بالإهانة:

«مزعومة! جاذبتي حقيقية للغاية».

تمالك نفسه وشرح بنبرة متعالية:

«لكنني أعلم لم لا تصدقين ذلك، فأنا نوع مختلف للغاية، نوع لم تقابليه من قبل».

اتسعت عيناها وباتت تلهث بأنفاسٍ حارّة متسارعة، تصاعد
الحق في داخلها حتى بلغ ذروته، حتى غدا إخراجها من جسدها دون
أن تؤذي نفسها أمرًا عسيرًا.

لكنّ يقينًا باردًا تسلل إليها وأخذ سخطها، فما إن يغرق وارويك في
غروره، فلا سبيل إلى إخراجها منه أو محاورته بعقلانية.



هبطت كتفها باستسلام، وقالت متنهدة بحسرة:

«آه، كم أتمنى أنني لم أقابلك، ليتنا نعود غرباء».

عادت الجدية إلى تعابيره، وبدا متأذياً بحق، لكنه قال باستياء هزلي:

«تريشا!».

إلا أن الرابطة نقلت مشاعره المجروحة بصفاء لا يمكن إنكاره،
لذلك أدعت العبث ومائلت نبرته المتذمرة:

«وارويك!».

وعندما فعلت ذلك أدركت، أن مشاعره أصبحت مهمة لها بما
يكفي لتراعيها، وأنها وقعت في شباكه كما أراد.



اختیار



في اليوم التالي، كان وارويك في طريقه إلى جناح تريشا حين
اعترضت مساره إحدى الخادِمات بانحناء مهذبة، ثم قالت بصوتٍ
خفيض:

«سيدي، تطلب سموُّ والدتكم حضوركم إلى جناحها، لتشاركوها
احتساء الشاي».

توقفت خطواته في موضعها، فقد كان توقيت طلبها غريبًا بعض
الشيء، كانت قد اعتادت استدعائه بين حين وآخر، ولم ترده قط
لضرورة عاجلة، بل لأحاديث لا تليق إلا ببطء الشاي.

ومع ذلك، لم يأتِ طلبها هذه المرة في ساعةٍ خالية من المعنى
كالعادة، كان قد خرج أصلًا متجهًا إلى جناح تريشا، مدفوعًا بعادةٍ
بدأت ترسخ فيه حتى غدت جزءًا من نظام يومه.

ظَلَّ واقفًا لوهلة قصيرة، تتجاذبه وجهتان لا تشبه إحداهما
الأخرى؛ واحدة تقوده إلى بابٍ يعرف ما وراءه من مقاومةٍ وسخريةٍ
ونفاد صبر.

وأخرى تقوده إلى امرأةٍ تعرف فيه ما لا يعرفه غيرها، ولن تحتاج إلى
كثيرٍ من الكلام لتدرك ما يتهرب هو من تسميته.



أحسَّ بانقباضٍ خفيفٍ في صدره، وكأنه استشعر مسار ذلك اليوم،
ثم قال للخادمة بهدوء:

«حسنًا، أبلغها بقدومي الآن».

استدار، وبدَّل مساره بخطوات بطيئة، كما لو أن قدميه تعرفان
جيدًا أنهما تتجهان إلى اعتراف مؤجل، ولم تكن هذه الدعوة عابرة
كالسابقات.

حين بلغ جناح والدته، كانت النافذة الواسعة مفتوحة على
الحديقة، وضوء العصر يتسرَّب إلى الداخل في خطوطٍ ذهبية هادئة،
يلامس أطراف الأثاث المصقول ويمنح الغرفة دفئًا رقيقًا متناسقًا مع
الألوان الزاهية للقصر.

كانت والدته جالسة إلى طاولةٍ صغيرة، أمامها إبريق الشاي وكأسها
نصف ممتلئ، وقد بدت سالمة البال منذ أن تلَقَّت العلاج.

رفعت نظرها إليه حين دخل، وابتسمت ابتسامة حنونة، ثم أشارت
إلى المقعد المقابل لها:

«تأخرت اليوم».



لم تقلها كما لو أنها تلومه، ومع ذلك، شعر أنها تعلم بأنه قرر المشي عوضاً عن الانتقال ليؤجل لقاءها ببعض الشيء.

جلس أمامها ساحباً الكرسي، ثم قال:

«عذراً، كنت في طريقي إلى مكانٍ آخر».

رفعت حاجبيها قليلاً دون أن تعلق، ثم مالت لتصبّ له الشاي بنفسها، كان ذلك تفصيلاً صغيراً وقديماً لا تزال تصرُّ عليه، رغم أن كلَّ شيء في حياتها تبدّل منذ زمن، وكأنه الطقس الوحيد الذي لم تنجح السنوات في انتزاعه منها.

تناول الكأس من يدها شاكرًا بإيماءة خفيفة، ثم ارتشف بلا استعجال، لم يبدأ الحديث مباشرة، تركا الصمت يتمدد بينهما بارتياحٍ مدروس من كلا الطرفين.

ثم بدأت هي بالسؤال عن أمور المملكة، فتحدّثا عن شكاوى وصلت من القرى الشمالية، وعن نزاعٍ قديم بين أسرتين عاد إلى السطح بعد موت أحد شيوخها، وعن دورية استطلاع تأخر خروجها من غابة موردن يومين كاملين، ثم ظهرت أخيراً محمّلة بها يكفي من القصص والمبالغات لتملأ مجلسين لا مجلساً واحداً.



ورغم أن الكلام لم يكن ثقیلاً، فإنه لم يكن فارغاً أيضاً، كان من ذلك النوع الذي يمرُّ فوق الأشياء قبل أن يغوص فيها، وكلاهما يعرفان أن الغاية ليست هذه القشور، بل ما سيأتي بعدها.

ثم انحرف الحديث قليلاً، كما يحصل دائماً حين تطمئن المجالس إلى أصحابها، فذكرت له امرأة نبيلة أرسلت رسالةً طويلة تشتكى فيها من فساد الطهارة الجدد أكثر مما تشتكى من سوء الموارد الغذائية نفسها، وضحكت ضحكة خفيفة وهي تقول:

«كانت لهجتها شديدة، حتى شككت ما إن كانت المملكة مهددة فعلاً، أم أن النساء صرن يعددن أزمة الزبدة شأنًا سياسيًا».

ابتسم وارويك بخفة، لأن الجلوس معها كان لا يزال يحمل تلك القدرة القديمة على إرخاء شيءٍ فيه دون أن ينتبه.

لكن والدته وضعت كأسها برفق، بعد أن تركت تلك الابتسامة تعبر وجهه وتخبو، ونظرت إليه نظرةً أكثر جدية، لم تتغير ملاحظتها كثيرًا، غير أن الهدوء فيها صار أوضح، وذلك الهدوء تحديدًا هو ما جعله يتأهب حين قالت:

«سمعت بعض الأحاديث...».



تجمد جسده من تلقاء نفسه، بينما تابعت:

«عن الجنية».

شعر في تلك اللحظة القصيرة أن الغرفة ضاقت فجأة، وظلّ ممسكًا
بالكأس بين يديه، دون أن يقرر إن كان عليه أن يرفعها ويشرب، أم
يضعها ويعطي حديثها قيمة أكبر.

واصلت إيلا بروية مقصودة:

«سمعت أنها هنا ضد إرادتها، وأنها حبيسة جناح.. خاص».

لم يكن في صوتها أيّ من نبرات الاتهام أو التطفل، ولا حتى قسوة
الأم التي جاءت لتوبّخ، بل شيء أقرب إلى الرغبة في التثبت من حقيقة
تفضّل ألا تكون حقيقة.

أما هو، فشعر بخزيٍ جارحٍ يمرُّ في صدره، لأنه أدرك فجأة كيف
يبدو الأمر من الخارج، حين يُقال دون أن يسبقه ما في داخله من تبريرٍ
وقلق.

بدا فعله قبيحًا، مكشوفًا على نحوٍ يفضح كلّ تعقيداته الداخلية
بدل أن يشرحها، فتح فمه قليلًا ليقول أي شيء، ثم أغلقه.



انتظرت إيلا أن يجمع كلماته، وعندما وجدته خاليًا؛ تأكدت،
فسألت ببعض الأسى:

«لماذا يا بني؟».

انحنت كتفاه قليلًا، فعرض شفثيه عاجزًا عن احتمال نظرة الخيبة
التي تخيلها في عينيها، كان يعرف أن الإنكار لن يجدي أمامها، وأن
الاعتراف أهون من الكذب والتحايل أمام نظراتها الثاقبة، لذلك
ترك قلبه يتحدث دون دفاع أو كبرياء، ولأول مرة، بدا اعترافه أشبه
بخطيئة وهو يلقيه عاريًا بين يدي والدته:

«هي كلُّ ما أبتغيه يا أمي، سيجنُّ قلبي إن تركتها ترحل».

تعثّرت أنفاسها عندما رأت الصبي الذي كان يختبئ خلفها كلما
ضاق به العالم، كانت تخشى الحروب عليه، ولم تتخيل يومًا أن يهزمه
قلبه.

ثم لان وجهها وصوتها:

«لكن الحب يا بني، لا يبرر الخراب الذي تخلّفه أفعالك».



رأته ينكمش داخل نفسه أكثر، فأسندت ظهرها إلى المقعد وزفرت

بخفة:

«لن أتدخل في علاقتكما».

رفع نظره المرتبك إليها أخيرًا، فتابعت وعيناها عليه بثبات:

«أنتما بالغان، ولستُ وصيةً على قلب أحدكما، ولكن..».

سكتت للحظة قصيرة قبل أن تضيف:

«هل تريدها بهذه الطريقة؟ قسرًا؟».

خرجت كلماتها هادئة، كان من الجلي أنها لم تستنكر ما يحدث، فهي أخبر بالرابطة حين تستحكم، وإنما أرادت أن تستوضح منه ما يريد حَقًّا.

لكن ذلك لم يخفف من حدة وقع كلماتها عليه، كأنها اختارت اللفظ الوحيد الذي لا يمكنه التحايل به، فبلغ فيه موضعًا لا يعرف كيف يحرسه.



قالت بنبرة رصينة:

«إن انصاعْتَ لك الآن، فستقضي بقية حياتك تتساءل إن كانت لك بالفعل».

لم يردِّ سماع ذلك، لأنه فكَّر فيه كثيرًا، ثم دفعه بعيدًا مرارًا، كما يُدفع مصير حتمي إذا لم يكن في النفس ما يكفي للشجاعة لمواجهته.

أما لت رأسها قليلًا، وقد وجدت الشفقة طريقها إلى تعابيرها أخيرًا، ثم سألته:

«ألا تريدها أن تختارك؟».

ساد الصمت بعد ذلك، بل هبط كاملاً في صدره وأثقل أنفاسه، طأطأ رأسه وأخذ ينظر إلى سطح الشاي الذي برد دون أن يشربه.

أراد أن يقول شيئًا في اللحظات الأولى، أيَّ شيء، أن يشرح أو يبرر، أن يذكر ما رآه على جسدها، وما عرفه من ألها، والخوف الذي لم يكن مستعدًا لتركها ترجع إليه في ماجيسيا.

أراد أن يقول إن الأمر لم يكن جشعًا صرفًا، ولا رغبةً في الامتلاك، ولا نزوة رجلٍ لم يحتمل الرفض، بل كان فيه ذعر وعجز، كان فيه لهفة،



وشيء أشبه بالرعب من أن يعيد العالم انتزاع ما تعلق به قبل أن يلمسه حقًا.

لكنه حين جرّب أن يرتب كلّ ذلك في ذهنه، بدت الحجة ناقصة
مهما اكتملت، لأنها لم تمسّ السؤال الذي تركته والدته في وسط الطاولة
بينهما:

(هل يريدّها بهذه الطريقة؟).

وكانت الإجابة حاضرة منذ البداية، مثلما كانت قاسية في
وضوحها..

لا.. لم يريدّها هكذا..

لم يريدّها يومًا ذليلة أو منكسرة، ولم يريدّها خاضعة لقيّد وضعه هو،
لم يريدّها لأن الطريق سُدّ في وجهها حتى لم يبقَ إلا سواه.

كان قد أقنع نفسه أن ما يفعله ضرورة، وأن المنطق لا يترك له خيارًا
آخر، وأن الرابطة هي التي دفعتها إلى هذا الحد.

لكن الكلمات بعد أن خرجت من فم والدته، لم تعد تسمح له بذلك



العدر الزائف، فقد كان يريدُها أن تختاره، وكان يعرف يقينًا، في موضعٍ أعمق من كلِّ عناده، أنها إن تُركت لحرية الاختيار، فلن تفعل.

تجلَّت الحقيقة منذ أن سمع السؤال وعجز عن جوابه، حين أدرك أن ما يريدُه منها لن يأتي، ولن يملكه أبدًا لو أرادَه نقيًا كما يستحق.

وأنه مهما تشبَّث، ومهما أوهم نفسه أن الوقت قد يغيَّرُها، فإن الحقيقة أبسطُ وأشدُّ فتكًا:

إما أن تأتيه باختيارها، أو لا تأتيه إطلاقًا.

وهو في قرارة نفسه، كان يعرف منذ زمنٍ أبعد مما يجرؤ على الاعتراف به أنها لن تختاره.

ظلت تلك العبارات تتردد داخله حتى بدأ قلبه يتقطع على مهل مؤلم، فلم تأت الحقيقة كسيفٍ واحد، بل كشرافٍ صغيرة متتالية، كلُّ حلٍّ منطقيٍّ فكَّر فيه منذ البداية، كلُّ طريقٍ مستقيمٍ لا التواء فيه، كان يفضي في نهايته إلى النتيجة نفسها:

الافتراق..



إن تركها.. خسرَها.

وإن أبقاها.. خسرَها بطريقةٍ أخرى أشدَّ بطئًا وربما أشدَّ مهانةً.

رفع يده أخيرًا، ومرر إبهامه على حافة الكأس، وكانت هذه الحركة الصغيرة وحدها هي ما منعه من الانهيار إلى داخل أفكاره.

قال كلمة واحدة لم يستطع إعطاء غيرها، قالها بصوتٍ واهن للغاية:

«فهمت».

لم تتعجل إيلا في الرد، واكتفت بالنظر إليه طويلًا، وفي تعابيرها ذلك الإدراك الهادئ بأن المواساة أقل فائدة من الصمت.

ثم مدت يدها إلى الإبريق وسألت بصوتٍ طبيعي لا ينتمي إلى تلك اللحظة:

«هل تريد المزيد؟».

رفع نظره إليها وهو مدرك أن السؤال لم يكن عن الشاي وحده، فهزَّ رأسه نفيًا، ثم وضع كأسه على الطاولة، ثم نهض وقد علم أن الحديث انتهى، وأن لا شيء يُقال الآن سيغير ما استقر في نفسه.



شكر والدته بصوتٍ منخفض، واستدار ليغادر، لكنه حين بلغ
الباب توقّف لثانية، كما لو أن قدميه لم تعودا تدلان الطريق الذي سلكه
يومًا تلو الآخر، وعندها شعر حقًا، أن نهايتهما قد حانت.

خارج النافذة، كانت الأشجار الصغيرة تتحرك برفق تحت النسيم،
ثابتةً بما يكفي لتبقى، وهشةً بما يكفي لتذكّر من يراها أنها لم تنتم لهذا
المكان.

رحیل



كانت تريشا جالسة قرب النافذة، حين بدأ ذلك الإحساس بالتسلل إليها، رغم أنه لم يأت دفعة واحدة فإنه بدأ مؤلماً وظل كذلك.

انغمر قلبها بحزنٍ بليغ حتى انقبض صدرها، إحساس خام بالفقد، شديد إلى درجة أربكت أنفاسها، كأن شيئاً عزيزاً يُنتزع منها.

لم تعرف ما الذي يحصل معه في تلك اللحظة، ولا ماذا خسر، ولا لماذا بدا الحزن فيه بهذا العنف، لكنها أحسّت بألمه كما لو أن قلبه يتشقق داخلها.

رفعت رأسها واجهة، كانت قد اعتادت أن تشعر بانفعالاته حين تشتدُّ، بالغضب إذا استيقظ فيه، بالقلق إذا استبدَّ به، وحتى بذلك اللهو الخفيف الذي يسبق دخوله عليها أحياناً، متلهفاً للعبث بها.

لكنها لم تعتد منه هذا الانكسار المكبوت، أو الفراغ الذي ابتلع صدره، فاستيقظ فضوها على الفور، ورغم كلِّ شيء، وجدت نفسها تريد أن تعرف سبب هذا التمزق لتُطَيِّيه.

غير أن هذه الرغبة ما لبثت أن اصطدمت بغيرها، بكبريائها التي لم تنسَ كيف أخذت إلى هنا، بعنادها الذي كان يرفض أن يلين



لأن صاحب هذا الألم نفسه هو من سلبها حريتها، وبذلك الصوت الصارم داخلها الذي لا يكف عن تذكيرها أن الرحمة لا ينبغي أن تُمنح بهذه السهولة لمن أخذ منها حق الاختيار.

كانت أفكارها تتجاذبها في صمتٍ متوتر، حتى انمحي كلُّ ذلك حين انفتح الباب ودخل منه وارويك، توقفت أنفاسها لوهلة، لم يكن الأمر في دخوله وحده، بل في التفاصيل كلها التي جاءت معه دفعة واحدة، فأربكت ذهنها وشطَّت به في أكثر من اتجاه.

دخل بخطوات مُثقلة لا تحمل شيئاً من العبث المعتاد، أو الاسترخاء المستفز الذي يسبق سخريته.

كان الباب خلفه مفتوحاً، لا موارباً ولا منفرجاً نصف انفراج، بل مفتوحاً بالكامل على الممر، على الخارج، على الطريق الذي يقود إلى ما بعد هذا الجناح.

ولكن لم يكن ذلك ما ضرب قلبها بضربة مباغتة، إذ إن ما شدَّ انتباهها أكثر وأربكها على نحوٍ أشد، هو وجهه.

منذ أن رفع عينيه إليها، عرفت أن شيئاً ما قد انطفأ فيه، كان هادئاً



أكثر مما ينبغي، وصامتًا أكثر مما اعتادت منه، لم تكن ملاحه منهارة، ولم يفقد جسده توازنه، لكن النور الذي اعتاد أن يقيم في عينيه، ذلك البريق الذي يجعل حتى بروده حيًّا، كان قد خبا.

بدا كما لو أن التعب قد وصل إلى موضع لا تبلغه العظام ولا الجلد، موضع ما وراءهما، مكان لا يُلمس إلا بالروح.

وقفت تنظر إليه، ثم إلى الباب المفتوح وراءه، ثم تعود إليه، عاجزة عن الإمساك بفكرة واحدة وسط كل ما يشتبك أمامها.

الباب الذي يقودها إلى حريتها، والسبب الذي جعله يتركه مفتوحًا، وملاحه الكثيبة التي لا تشبهه، كانت كل هذه الأشياء تندافع في رأسها معًا حتى لم تعد تعرف بأيها تبدأ.

توقف وارويك على مسافة منها، لم يرد الاقتراب كثيرًا حتى لا يربكها، ولم يرد أن يظل بعيدًا كذلك، ليتسنى له رؤية ملاحها لآخر مرة، ويحتفظ بها يستطيع من تفاصيلها.

نظر إليها مطولًا، ثم قال بصوتٍ بلغها رغم انخفاضه:

«سأجد شيئًا يفكُّ الرابطة.. أو يجمعها على أقل تقدير».



تجمّدت من الفراغ الذي خلّفته تلك الكلمات فيها، كأن شيئاً
انخفض داخلها دفعةً واحدة، شيئاً كانت تتكى عليه دون أن تعرف.

لم يأتها الارتياح كما يفترض، ولا الحزن الخالص، بل ارتباك موجع،
وخسارة مبهمة تسللت إليها قبل أن تفهمها، شعرت بميلٍ غريزي
للاعتراض، كأن قلبها سبقها إلى التمسك بشيء ما كان ينبغي له أن
يريده أصلاً.

ظلّت تنظر إليه دون أن يرفّ لها جفن، فتابع بذات الهدوء الذي
جعل الكلمات أثقل مما لو قيلت بانفعال:

«لا تأتي إلى اللقاء التالي، أنا أعرف كثيراً من المخلوقات القوية،
وسأبحث عن حل معهم».

ظنّت أن تلك الكلمات ستُفرحها، ربما لو قيلت في يوم آخر، ربما
كانت ستستقبلها كنجاة مفاجئة، كاسترداد متأخر لحقّها في الرحيل.

لكن شيئاً في طريقته، في هذا الحزن الذي يغلف كلّ حرف، في
الطريقة التي لم ينظر بها إلى الباب وإنما إليها، جعل المعنى يصل إليها
بشكل آخر.



لم يأت ليضع شرطًا جديدًا، ولم يأت ليَجْرُبَ لعبةَ أخرى من
الألعابِ المستفزة، لقد جاء.. ليودّعها.

وحين استقرَّت تلك الفكرة في ذهنها، فهمت فجأة سبب حزنه،
لأن مشاعرها لم تختلف كثيرًا عنه.

ازدردت محاولة ابتلاع الغصة التي تكونت في حلقها، ولم تتحرك
نحو الباب، مع أنها كانت تنتظر هذه اللحظة منذ دخلت إلى هذا
الجناح، إلا أنها حين وجدتها أمامها ترددت، فبقيت واقفة في مكانها.
كان بؤسه يربكها، رأت حزنه من قبل، لكنه كان مختلفًا هذه المرة،
فقد كان حزينًا لفقدائها، ومع ذلك لم تستطع أن تمنع الشك من التسلسل
إليها:

(ماذا لو كان هذا تلاعبًا آخر؟ ماذا لو كان يعرف جيدًا كيف يضع
حزنه أمامها ليحرِّك ضعفها؟ لماذا ترك الباب مفتوحًا بهذه البساطة؟
ولماذا الآن؟).

راحت عيناها تتقلان بينه وبين الباب مجددًا، بين الطريق الذي
يناديهما والرجل الذي بدا كأنه يقف في نهاية شيء لا يريد أن ينتهي،
بينما كانت الرابطة تزيد الارتباك تعقيدًا.



رأى وارويك نظراتها المترددة، وظنها تلهفًا للفرار، فتريث قبل أن يتحدث ليتمالك نفسه، ثم ارتسمت على شفثيه ابتسامة مريرة قصيرة، كأن السؤال أعاده إلى حيث بدأ كلُّ شيء:

«هل ما زلتِ تهابيني؟».

جاءت نبرته محايدة، لكن الرابطة حملت إلى داخل تريشا هشاشة لم تظنها في وارويك، أخفضت نظرها على مهل، أرادت أن تجيب بصدق، لكنها وجدت نفسها عاجزة عن معرفة ما هو الصدق هنا.

وسألت نفسها إن كانت قد خافت منه قط، كانت تخاف ما يمكن أن يفعله إذا أراد، وتخاف من ضعفها أمامه، ولكن بعد مرور الوقت، تبدل خوفها من جسدي إلى معنوي، وباتت تخاف أن تكون قد اقتربت منه أكثر مما تسمح به لنفسها، أما الآن، فلم تعد تعرف إن كان ذلك يُسمى رهبة، أم شيئًا آخر أكثر تعقيدًا.

كان ينظر إليها برجاء مكبوت، وتردد صدَى خوفه في صدرها، كأنه لا يريد أن يسمع الحقيقة، وكأنه رغم سؤاله، يتمنى منها أن تكذب.

لم تعلم أي طريق تختار، فقالت بنبرةٍ أرادت لها أن تكون ساخرة لا أكثر:

«ولم سأهاب ساحرًا وضيعًا؟».



وصلها إحساسه فوراً، حتى كادت تتراجع عن الجملة في اللحظة نفسها، لم تكن قد أرادت لها أن تكون لاذعة إلى هذا الحد.

أرادتها خفيفة وعابرة، من النوع الذي يعرف هو كيف يتلقاه ويعيد تشكيله بالمزاح، لكنها لم تكن تحيد العبث كما يجيده، ولم تكن تعرف كيف تضع السخرية على طرف الكلام، فلا تنفذ حدّها إلى العمق.

خرجت كلماتها قاسية، ولم تدرك ذلك حتى سمعتها هي كما سمعها هو، ثم وجدت نفسها عاجزة عن إصلاحها، كما وجد هو نفسه عاجزاً عن الرد.

كانت مشاعرهما فوضى خالصة، لا تبدأ عند نقطةٍ يمكن الإمساك بها، ولا تنتهي إلى معنى مستقيم، شيءٌ يشتعل وينطفئ ويتبدل في اللحظة نفسها، حتى إذا حاول أحدهما تسمية ما يشعر به، خانه اللفظ أو خائنه النبوة.

وعندما وجدت نفسها غير قادرة على إصلاح ما انكسر، تحركت قدماها نحو الباب، تجرّ كل خطوة كقرارٍ لا رجعة فيه.

حاولت أن تتجاهل ما يفيض منه مع كل حركة، حاولت أن تذكر نفسها أن هذا الألم ليس شأنها، وأنها إن التفتت إليه الآن فلن تغادر.



لكن الرابطة لم تترك لها هذه الرحمة؛ فقد كانت المشاعر تتضخم، وتوشك أن تطغى على كل شيء، فكان عليها أن تسوي الطقس لآخر مرة، أن تمنح نفسها وتمنحه تلك اللمسة الأخيرة التي تعيد لكل قلب ما عُلقَ بينهما.

توقفت إلى جواره، الباب أمامها، وهو إلى جانبها، والمسافة بينهما لا تزيد على ظل يد، وفي تلك اللحظة بالذات، نبع أمله كضوء مفاجئ يشق عاصفة رملية، ضعيفا أول ما ظهر، ثم واضحا بما يكفي ليجعل الرحيل أكثر صعوبة، فقد كان ذلك النوع من الرجاء الذي يولد على حافة اليأس، قبل أن يتخلى المرء عن نفسه.

مدت يدها لتلمس يده بظهر إصبعها، لمسة خفيفة تتم الطقس، لكنها لم تتمكن من وضعه عليه، أرادت أن تراجع، أن تسحب نفسها من جواره، كما أرادت أن تترك الباب كما هو، ألا ترحل، أن تبقى معه.

لكن عقلها كان يصرخ عليها، لأنه لم يألف السكون، ولأنه كلما اقترب من احتمال الهدوء، استدعى الخطر ليحفظ نفسه من المجهول.

كانت تعلم أن جميع مخاوفها في ماجيسيا، أن ما ينتظرها هناك ليس



رحيماً، وأن ما عاشته خارج هذا الجناح لم يكن إلا سلسلة من الأذى
والخذلان.

ومع ذلك، لم يكن في داخلها ما يجروء على تسمية هذا المكان موطناً،
ولا تسمية هذا الرجل حبل نجاة، كانت قد اعتادت الألم حتى بات
موضعه في القلب طبيعياً، بل مألوفاً وآمناً بطريقته المشوّهة.

أما السعادة أو ما يشبهها، فكانت تثير فيها الريبة أكثر مما تثير
الطمأنينة.

وأخيراً، مدّت يدها بمشقة، كأن جسدها يحارب قرارها، لأمس
إصبعها يده بخفة، لمسة لا تكاد تكون، لكن أثرها تحقق فوراً.

عادت المشاعر إلى القلوب دفعة واحدة، متدفقة ومحتدمة، أماً وحنيناً
وخسارة لم يتفقا قط على تسميتها، كأن اللمسة القصيرة صرعت الباب
بينهما.

لم تنتظر بعدها، تحركت نحو الباب سريعاً، أسرع مما توحى به
خطواتها الأولى، كما لو أن عليها أن تسبق نفسها قبل أن تتراجع،
وخرجت إلى الممر، ثم أغلقت الباب خلفها بقوة أكبر من اللازم.



لم تتوقف بعد ذلك، وهرعت تبحث عن أول منفذ طبيعي تراه أمامها، لم تبحث عن الطريق الأمثل، بل عن الطريق الأبعد، كأن المسافة وحدها قد تساعدها على الثبات.

ولكن مع كل خطوة كانت تأخذها بعيداً عنه، كان ألمه يرافقها، ظلاً متشبهاً بها عبر الرابطة، مخالب حادة مطبقة حول قلبها، تجرحها في كل نبضة وتذكّرها بأن الباب الذي عبّرته لم يغلق بالكامل مهما أرادت ذلك.

تباطأت خطواتها كلما ابتعدت أكثر، لكن عقلها ظل متسارعاً، يغلي بقائمة طويلة من التبريرات والتساؤلات:

هل فعلت الصواب؟ أكانت حريتها حقاً في هذا الرحيل، أم أن ما خرجت إليه ليس إلا شكلاً آخر من الهلاك؟

أخذتها قدمها إلى مكان لم تره في القصر من قبل، ولم تدل طريقها فيه، كان القصر في تلك الساعة هادئاً على نحو مهيب.

امتدت أمامها الممرات بلونها الفاتح، تلامسها أشعة الشمس المتسللة من بين النوافذ العالية، فتنعكس على الأعمدة المذهبة، وعلى



النقوش الدقيقة المرسومة فوق الأقواس والشرفات، حتى بدا كلُّ شيء حولها نقيًّا.

لم يكن في المكان شيء زائد أو مبتذل، حتى الفخامة لم تكن صارخة، بل عريقة، تعرف مكانتها جيدًا، ولا تحتاج إلى استعراض لتثبت وجودها.

شعرت بذلك الانقباض القديم يعود إليها ببطء، فقد كان القصر يضعها في مكانها المناسب، ويذكرها، بلا رحمة، أنها غريبة عن هذه الصورة كلّها، لا تنتمي إلى هذا النسيج، وليست من هذا الامتداد المتصل من العراقة، والدم، والسلطة، والتاريخ.

كانت تعرف جيدًا أن الجن ليسوا دون السحرة من حيث القوة الخالصة، بل كانوا أعظم في أوجه كثيرة، وقد رأت ذلك بعينها أكثر من مرة، وعاشت بين من تكفي لمسة منهم لتقلب الموازين.

لكن ما قيمة هذا حين تقف المسألة عند الأنساب؟ حين تصوير القوة نفسها أمرًا ثانويًا أمام السؤال عن البيت الذي خرجت منه؟

زفرت بغصة وواصلت سيرها بمحاذاة الجدار، وعيناها تبحثان



عن منفذ، كانت روحًا ناعمة، يتيمة، وهذه الحقيقة لم تتبدل مهما
تغيرت أوجه حياتها، مجهولة الدم من جهة، ومعلقة النسب من الجهة
الأخرى، لا تحمل اسمًا يفتح لها الأبواب، ولا مأساة نبيلة تصلح لأن
تُغفر لأجلها الفروق، بل نقص مجرد، يظلُّ نقصًا مهما حاولت تغليفه
بالقوة أو الأخلاق أو الوفاء.

أما وارويك..

توقفت خطواتها لحظة عندما تذكرت أنها كانت تحاول الفرار،
ثم رفعت عينيها ودارت بها حولها، ترى كلَّ الأسباب التي تؤكد لها
صحة قرارها.

فقد كان نقيضها التام، لم يولد فقط في بيت عريق، بل في سلالةٍ
اعتادت أن تُنتج القادة كما تنتج الأشجار ثمارها في موسمها.

كلُّ شيء فيه يسير بانسجامٍ مع ما حوله؛ الاسم، الدم، التربية،
الهيئة، والحق القديم في الوقوف في صدر المكان دون أن يسأله أحد من
أين جاء، ولماذا هو هنا.

حتى طريقته في الحركة كانت تنتمي إلى هذا القصر، إلى هذه



الأرضية التي تعكس ظله بثقة، إلى هذه الجدران التي لن تبدو كاملة حتى يمر بمحاذاتها.

لم يكن مجرد رجلٍ قويٍّ أو صاحب مكانة، كان استمرارًا لشيءٍ أكبر منه، ابن عائلةٍ اعتادت أن تُطاع، حتى انتهى به الأمر جالسًا فوق عرشه كما لو أن الطريق كان ممهدًا له منذ ولادته.

كلُّ شيءٍ جاءه كاملاً، حتى سحره، نقيًا، متسقًا، لا شقَّ فيه أو التباس.

وضعت يدها فوق صدرها بخفة، كما لو أن الضغط عليه قد يخفف شيئًا من وقع الحقيقة، إلا أنها عرفت منذ البداية، فلم يكن خوفها من الرابطة خوفَ فتاةٍ مرتبكةٍ من اقتراب رجلٍ يميل إليها؛ كان أقدم من ذلك وأعمق، وأقل قابلية للحل.

كانت تعرف في موضعٍ لا يصل إليه المنطق، أن استسلامها للرابطة لن يكون مجرد اعترافٍ بحبٍّ متبادل، بل خطوة إلى أرضٍ تعرف يقينًا أنها ليست لها.

فبأيِّ صفةٍ ستقف إلى جانبه؟



وبأيّ وجه ستدخل هذا القصر؟

وبأيّ حق؟

أطرقت عينيها إلى الممر تحت قدميها، تتبع بنظراتها خطوط الحجر المنتظمة، محاولة أن تهرب من الصورة التي تشكلت في رأسها رغماً عنها: هي إلى جواره في هذه المملكة، وعلى هذه الأرض، داخل هذا القصر، محط أنظار السحرة جميعاً.

لم تضطر أن تسمع كلماتهم حتى تعرفها، فلم يقبلوا اختلاط الأنساب قط، فكيف إن كان الأمر متعلقاً بقائدهم؟

كيف إن صارت الجنية اليتيمة، مجهولة الدم، هي من تدخل إلى قلب السلالة، ليس كضيفة عابرة، بل كملكة؟

ملكة.. حتى الكلمة نفسها بدت في ذهنها دخيلة.

مرّت قشعريرة خفيفة في ذراعيها رغم دفء الشمس، ففي تلك اللحظة، كانت تعلم أن أسباب هروبها لم تعد خوفاً على نفسها فقط، بل خوفاً عليه أيضاً.



فلو اقتربت منه حقاً، لو سمحت للرابطة أن تأخذ مجراها، لن تكون هي وحدها التي ستحمل نظرات الاستنكار والهمس والرفض، بل سيكون هو أيضاً في مرمى كل ذلك.

وإن اختارها، فسيضطر أن يختارها ضد ما نشأ فيه قومه، ضد تقاليد مملكته، ضد نقاء الدم الذي يُعامل هنا كما يُعامل القانون أو أشد، كان سيعيش حياة كاملة يحاسب فيها على كل قطرة دم لا تعرف هي مصدرها.

وكانت تعرف وارويك الآن بما يكفي لتصدق يقيناً أنه سيفعلها، وكان هذا، على نحوٍ مريب، جزءاً من المشكلة، لأنها ستكون السبب في كل المتاعب التي ستبعه، كل اضطراب، كل اعتراض، كل نظرة ازدراء خفية، كل حديث يدور في الأروقة بعد انصرافهما، وطبيعتها المطيبة لن تستطيع تقبل أنها منبع الأذى.

لن تصبح ملجأً لراحته، بل ستصبح العبء الذي يسير إلى جواره أينما مضى، الشجرة التي لا ينفك الآخرون يضغطون عليها ليقبسوا من خلالها حجم تنازله، أو حجم ضعفه، أو حجم انحرافه عن الصورة التي أرادوها له.



ولهذا ستقاوم، لأنها رأت ما وراء الضعف، وما بعد الاعتراف؛
كانت هناك سلسلة طويلة من العواقب، وكان ذلك سيكفيها لتراجع
في كل مرة تقف فيها على حافة الاستسلام.

بل لعلها في قرارة نفسها، لم تكن تخاف من أن يخذلها هو بقدر ما
كانت تخاف من أن يختارها حقًا، لأن اختياره عندها لن يعود حلمًا
جويًا، بل كارثة كاملة لا تعرف كيف تعيش تحت وطأتها.

توقفت أخيرًا عندما وصلت إلى طرف الحديقة، ووقفت تحدّق
طويلاً، كان الجمال فيها فظيعةً، من النوع الذي يجعلك تراه ثم ترى
نفسك أمامه أصغر، وأبعد، وأقل ملاءمة.

شعرت في تلك اللحظة أن كل شيء هنا مصمم ليؤكد لها ما تحاول
أن تنساه حين تكون معه وحده: أنه حين يبتسم لها، أو يمشي إلى
جوارها، أو ينظر إليها كما لو أنها وحدها التي تستحق أن تُرى، فهو
يفعل شيئاً أكبر من مجرد الاقتراب، كان يمد يده عبر هوة كاملة، وتلك
الهوة لن تختفي لأن أحد الطرفين اختار ألا يراها.

أغمضت عينيها لحظة، ثم فتحتها على نفس المنظر، وقد ازداد



صرامة في وضوحه، خفضت رأسها، واستقرت نظراتها على كفها
الملوثة بخطيئة أدهى من كلِّ ما سبق، خطيئة كانت بالنسبة إليها
الحقيقة الوحيدة الأكثر وضوحاً من كلِّ المخاوف.

أخذت عدة خطوات فوق العشب وهي ما زالت تحاول أن تقنع
نفسها بأنها اختارت ما يجب اختياره، وأنها لو بقيت لكنت خائنةً بعدة
معان، وأن كلِّ ما شعرت به في الجناح لم يكن إلا أثر ضعفٍ مؤقت.

لكن حججها جاءت هشة، ولا تصمد طويلاً حتى يرفضها قلبها.

احتضنتها الأرض أثناء مشيها، ولم تتوقف خطواتها حتى وطأت
ماجيسيا، ورغم أنها كنت تمشي بهدوء، فإنها وصلت لاهثة، وعقلها
يصيغ لها السؤال المرعب الذي كانت تتجاهله:

ماذا إن كانت ترتكب أكبر خطأ في حياتها؟

انسابت دموعها، وضافت أنفاسها، لم يكن السؤال عاطفياً كما بدا،
بل واقعياً للغاية، ولهذا لم تتمكن من تحريك قدميها أكثر، فيما عقلها
يتخبط عند سؤال آخر:



ماذا إن كانت قد رمت فرصتها الوحيدة للسعادة؟

لم تجد الجواب، لكن أسوأ ما في الأمر؛ هو أنها لم تكن تبحث عن
الأجوبة بقدر بحثها عن العقبات.



ذنب مختلف



وقفت كيأرا في قاعة العرش، الأعمدة الشاهقة ارتفعت من حولها
بصلابتها المهيبة، والسقف العالي بدا أبعد مما ينبغي، والنور المنسكب
من النوافذ الملونة كان خافتاً على نحو غريب.

وقف أليكس أمامها، أقرب مما رآته في أحلامها السابقة، كانت
تمسك يده وتضمها إلى صدرها، فشعرت بحرارتها في كفِّها، وبذلك
السكينة القديمة التي كانت تصيها كلما لامسته، سكينة تخبرها بأن
العالم مهما اضطرب، يبقى ثابتاً طالما كانت بين يديه.

رفعت عينيها إليه وقالت بصوت خرج صادقاً من قلبها:

«في كلِّ مرة.. سأختارك أنت».

كانت تتوقع أن يلين وجهه، أن ترق نظراته، لكنها شعرت بأصابعه
ترتخي داخل يدها، ثم تفلتها بهدوءٍ أقسى من أي انتزاع عنيف.

نزلت يديها إلى جانبيها فارغة، ورفعت نظرها إليه في ارتباك، فرأت
الاستياء يغمر ملامحه كلها، ثم قال بنبرة توحى بأن قلبه فقد رغبته في
المجادلة:

«لكنكِ ما اخترتني قط، هذه مجرد كلمات لا تعني شيئاً».



انكشمت القاعة عليها في اللحظة نفسها، وأخذت الأعمدة تبدو أقرب، الهواء تضاعط، والنور انطفأ بالتدرج حتى صارت الأركان تغرق في عتمة زاحفة نحوها.

أرادت أن تخبره أنها لم تبتعد عنه إلا وهي تتجه إليه من طريق آخر، لكنها لم تستطع، كان في عينيه يقين المرير، يقين من جرّب الانتظار حتى نفذ منه الصبر، ولم يعد يطلب التفسير.

وحين مدّ الظلام يده الأخيرة إلى ما تبقى من الضوء، استفاقت وفتحت عينيها على سقف الغرفة الخشبي، أنفاسها متقطعة ووجنتها مبللتان من جديد.

ارتفعت يدها لمسح دموعها، فيما هي لا تزال نصف عالقة في الحلم، جلست على فراشها والهواء البارد يلف جلدتها، وكلماته تتردد داخلها:

«لكنك ما اخترتني قط».

أطرق رأسها وأطبقت كفيها على وجهها، فلم تكن أحلامها من النوع الذي يمرُّ بلا أثر، لذا تعودت أن تعاملها بحذر، لأن ما يأتيها فيها لا يكون عبثاً أبداً.



قد لا يكون الحلم حقيقة حرفية، لكنه كان دائماً يشير إلى شيء،
يضغط على عقدة لم تنتبه لها، أو يفضح جرحاً كانت تغطيه بالكلام.

وقفت بثبات لكن توازن مشاعرها اختل سلفاً، فأخذت تستحم
وهي تتساءل ما إن كان أليكس يفكر بهذه الطريقة بالفعل، بعد أن
تركت المملكة وجاءت إلى هنا لأجله، لأنها اختارته قبل نفسها، لكن
ما نفع الدوافع النبيلة إذا كان وجهه في أحلامها يقول العكس؟

نهضت سريعاً، فالتفكير الطويل سيقودها إلى مكان لا تريد أن
تذهب إليه، كانت نزعته الأولى هي الذهاب إلى الممر وهدم الجدار
الفصل، لكن سنوات طويلة قضتها في تمارين مختلفة على الانضباط
كبحث اندفاعها، فارتدت ثيابها على عجل، دون أن تمنح نفسها
فرصة لترتيب عواطفها أو لتسكين قلقها الجديد، ثم نزلت بخطوات
حاسمة.

كانت قد اتخذت قرارها قبل أن تكتمل الفكرة في عقلها، ستعود،
ستبلغ آلير أنها عائدة إلى إيما تيروس، وأن التدريب انتهى، أو ربما
سيأجل.



لم تكن تعرف الصيغة الدقيقة، لكنها كانت تعرف أنها لن تحمل
البقاء يوماً آخر وهي تحمل هذا الظنَّ في صدرها.

وجدت المير في الداخل، هادئاً على نحوٍ مناقض لاستعجالها، ما إن
رآها حتى أدرك أن شيئاً ما قد تغير، لم يكن في ملاحظها استيائها المعتاد
من ضعفها، ولا ضيق الذرع الذي توقعه مع تدريب أسكارث، بل
شيء أكثر انفعالاً وأقل قابليةً للجدال.

قالت دون مقدمات:

«أنا عائدة».

ظلَّ ينظر إليها لحظة، ثم قال بلا عجلة:

«إلى أين؟».

«إيماتيروس».

لم يتفاجأ، وقال ببساطة شديدة:

«لا».



لكنها كانت قد جاءت ممثلة بعزيمتها إلى حدٍّ لم يسمح لتلك
البساطة أن توقفها:

«لم أطلب الإذن منك، قلت إنني سأعود».

ظَلَّتْ نبرته ساكنة، لكنها لم تعد متململة:

«وأنا أقول إنك لن تعودِي الآن».

اقتربت خطوة وقد بدأت حرارتها الداخلية ترتفع:

«ليس لك أن تمنعني».

حملق بها لبعض الوقت، ثم قال بصوتٍ جاف:

«إذا خرجتِ، فلن أسمح لكِ بالعودة إلى التدريب».

حينها توقفت لثانية، والكلمات التي كانت جاهزة على طرف لسانها
تلاشت قبل أن تخرج، فبدت في تلك اللحظة مترددة حقاً.

لكن توقفها كان بسبب الألم الذي أثاره هذا الشرط، فقد تعلّقت
بالتدريب أكثر مما اعترفت، وتمسكت به لأنه صار يَعِدُها بما جاءت
لأجله.



استدارت عنه بهدوء، واستقامت رافعةً رأسها، ثم قالت بحزم:

«لا فائدة لهذه التدريبات إن كان غيابي يؤرقه، ما جئتُ أتدربُ إلا لأكون عوناً له».

كانت تلك الحقيقة الوحيدة التي لم تتزحزح فيها، نظر أمير نحوها مطولاً، ثم قال بصوتٍ رزين:

«لكنكِ لن تكوني عوناً لغيرك ما لم تكوني عوناً لنفسك أولاً يا كيارا».

لمست الجملة موضعاً حساساً فيها، فعجزت عن الإجابة وبقيت صامته للحظة، ثم تحرك في داخلها شيء أكثر إلحاحاً.

أرادت أن تخبره سبب قرارها، لكنها عجزت عن ترتيب المشاعر، فكيف تشرح له أن أليكس لا يندرج عندها تحت فئة (غيرها)؟ كيف تبين له أن إنقاذ نفسها يبدأ دائماً بالعودة إليه؟

استدارت نحوه، وفي عينيها تلك العزيمة التي لم تتبدل بشرطه، ثم هزت رأسها قائلة بخفوت:

«أنت لا تفهم...».



ثم سكنت، لأنها حقًا لم تعرف كيف تجعله يفهم، كيف تجربه
ببساطة بأن أليكس اختارها قبل الجميع، بل اختارها رغم الجميع،
ورآها على حقيقتها خلف كل المسميات الثقيلة التي ألقيت عليها؟
يتيمة، أو هجينة، أو ابنة خائنة، أو مختارة، أو ملكة، أو أول عنقية..
كلُّ تلك الألقاب لا تعدو أن تكون غبارًا فوق سطح شيء رآه أجمل
مما كان.

كيف تصف لآلير نظرات زوجها التي تقول لها دائمًا:

(أراكِ كما أنتِ، أحبك كما أنتِ).

كيف تشرح أنه رغم عدم تصريحه بحبه لها من قبل، فإنه كان
حاضرًا في كلِّ شيء، وأثبتته في اختياراته، في وقوفه معها، في انحيازهِ
إليها حين كان الانحياز صعبًا؟

كيف توضح له أن أليكس لم يكن يومًا الجدار الذي تستند إليه،
بل البيت كله، المكان الذي تعود إليه روحها دون أن تشعر أنها مطالبة
بالدفاع عن وجودها؟



لم يكن أليكس الاطمئنان وحده، بل كان كلُّ المشاعر غير المشروطة،
بقي معها دائماً حتى في أسوأ نسخها، ولهذا بالذات لم تستطع ألا تهرع
إلى جانبه وهو في هذه الحال، حتى لو لم تر حالته بعينيها بعد.

أدارت وجهها على وشك أن تمضي، لكن أليز استوقفها بعرض
آخر:

«سأذهب أنا، وأعرف لكِ حاله».

التفتت مستغربة:

«ماذا؟».

قال وقد خفف في صوته شيئاً من جفافه السابق:

«قد تكون أحلامك انعكاساً لقلقٍ داخلي، لا أكثر، أكملِي دروس
أسكارت، وسأذهب بنفسِي وأخبركِ بما تريدِين معرفته».

ما إن سقط اسم العنقي الصامت على مسامعها حتى ارتج شيء في
دواخلها، اضطراب أعلمها أن الطريق الذي تقطعه أصعب مما كانت
تظن.



أدركت حينها، أن مجرد اهتزازها من ذكر اسمه يعني أن ما بين
بدائها ونهايتها معه لا يزال طويلًا، أغمضت عينيها لبرهة، ثم فتحتها
وقد عاد زمامها إليها، واستقر فيها قرارٌ لم يكن أقل إصرارًا من الذي
سبقه، فساومته قائلة:

«لن أنتظر حتى ينتهي التدريب، فقد يستمر لعدة أشهر، ولكن
حتى نهاية درسه اليوم».

أوماً ألمير كأن هذا القدر يكفي الآن، ثم أشار برأسه إلى الخارج
معلمًا:

«لقد وصل بالمناسبة».

التفتت إلى النافذة، فرأته ينتظرها ساكنًا في الخارج، عادت بعينيها
إلى العنقي الأول وسألته بامتعاضٍ لم تحاول إخفاءه:

«ما درسه بالضبط؟».

كان ألمير يتجاهل غالبية أسئلتها، لذا لم تتوقع أن يرد عليها، لكنه
قال:



«أنتِ لا ترين سوى الألم، ولهذا تعانين في فهم المغزى، وجَّهِي انتباهك إلى الدرس أولاً، حينها ستبدئين بالنمو».

كانت تنظر إليه بتلهف، وتسمع بتركيز ظناً منها أنه سيساعدها، لكن إجابته بحد ذاتها استدعت أسئلة أكثر، فتحولت نظرات الأمل إلى امتعاض، ورمقته بغیظٍ واضح، ثم انصرفت متأففة.

خرجت سائمة قبل أن يبدأ الدرس، بل قبل أن يبدأ اليوم، فقد اختارت أعصابها أن تشتد باكرًا، كي لا تمنح أسكارث متعة مفاجئتها بشيء جديد.

وقفت أمامه، وما إن واجهته حتى قالت من غير تمهيدٍ أو تحية:
«ألن تخبرني بذنبي بعد؟».

جاءها صوته داخل رأسها هادئًا:

«لكنني أنتظر الإجابة منك، ما ذنبك يا كيارا؟».

كادت تقول إنها لا تعرف، لكنه كان قد فتح فمه بالفعل، فعرفت أن لحظة احتراقها حانت، خطرت لها هذه المرة فكرة مختلفة، فربما كان الدرس كله في السيطرة، في إمساك النار قبل أن تستولي عليها.



أخذت نفسًا عميقًا، واستعدت لتحكم قبضتها على قوتها من الداخل، لتمنعها من الانفجار، لكن النار لم تكثر، وخرجت بالطريقة نفسها، عنيفة وملتفة من كلِّ جانب، لا تمنحها فرصة لتنظيمها أو قيادتها، تعلن بوضوح أن المشكلة أعمق من مجرد ضبط سطحي.

وسط الاحتراق، ارتسم على وجه كيara تعبير متضجّر يقترب من السخط أكثر من الألم، فقد سئمت الحيرة التي تسبق النار أكثر مما سئمت النار نفسها.



قبل أن تنهض بالكامل، بدأت تفكر من جديد عن ذنبها، دارت بعقلها في الماضي، في الأخطاء القديمة، فيها حوكت عليه سابقًا، لكن سبارك أعلن براءتها، ومحكمة النار انتهت يومئذ.

تساءلت إن كان ذنبها هو العودة إلى الماضي، لكنها لم تكن من فتحت البوابة، ولم تكن من اختارت تلك الفوضى، فبقيت أفكارها تدور في حلقةٍ دون مخرج، حتى نهضت من الرماد مرة أخرى.



لكنها حين كانت تشق طريقها للنهوض، رأت أسكارث وآلير جالسين على درج البيت الخارجي، يتبادلان محادثة صامتة.

لم يكن المشهد نفسه ما ضرب وترها، بل ابتسامة العنقي الصامت، ابتسامة خفيفة، واضحة بما يكفي لتقول إنها مستمتعان بيومهما، بينما هي تحترق وتنهض لتحترق مجددًا دون أن تفهم.

لاحظ أسكارث نهوضها، ولم ينتظر حتى تخرج كاملة من الرماد حتى يكرر اسمه، وكأنه استعجل ليعود إلى محادثته، كطفلة أشغلت والديها بكثرة المقاطعة.

فاحترقت شاعرةً أنها قاما بصرفها، لكنها وسط هذا الاحتراق لاحظت شيئًا، وهو أن آلير الجالس إلى جواره، سمع الاسم أيضًا، ومع ذلك لم يحدث له شيء.

لم تبدر من ناره استجابة واحدة، ولم ترتفع فيه شرارة، أو تتزحزح ملامحه بشيء يوحي باضطراب دواخله على أقل تقدير.

ضربها هذا الإدراك في موضع الغيظ مباشرة، وشعرت للحظة أن الاثنين يلعبان بها كأنها طفلة بالفعل، تدور حول نفسها كالبلهاء وهما يعرفان أكثر مما يقولان.



أُتَاهَا صَوْتُ رِيَّازٍ مُذَكِّرًا:

«أَنْتِ بِالْفِعْلِ طِفْلةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَعْمَارِهِمَا».

بَلَغَ بِهَا الضِّيقُ حَدَّهُ، وَقَرَّرَتْ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، أَنَّهَا لَنْ تَسْمَحَ لِقُوَّةِ
أُسْكَارِثَ أَنْ تَوْثِّرَ عَلَى نَارِهَا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَكْثَرَ، لَيْسَ وَهِيَ تَعْلَمُ أَنَّ
أَلِيكْسَ يَعْانِي، لَيْسَ وَهِيَ تَضِيعُ يَوْمًا بَعْدَ آخَرٍ بَيْنَ الرَّمَادِ وَالْحَيَرَةِ.

شَقَّتْ طَرِيقَهَا عِبرَ الرَّمَادِ بِكُلِّ سُرْعَتِهَا، دَفَعَتْ بِيَدَيْهَا إِلَى الْخَارِجِ،
وَسَحَبَتْ جَسَدَهَا مِنْ بَيْنِ مَا تَبَقِيَ مِنْهَا، وَمَا إِنْ خَرَجَ رَأْسُهَا حَتَّى
صَرَخَتْ، بِكُلِّ مَا فِيهَا مِنْ حَنْقٍ:

«أُسْكَارِثُ!».

الْتَفَتَ الرَّجُلَانِ مَعًا بِتَعَجُّبٍ، وَانْتَظَرَا النَتِيجَةَ، هَدَرَتِ النَّارُ
دَاخِلَهَا، لَكِنَّمَا قَبِضَتْ عَلَيْهَا بِكُلِّ مَا فِي إِرَادَتِهَا مِنْ عُنْفٍ، وَعَانَتْ وَهِيَ
تَصَارِعُهَا، انْشَدَّتْ عَضَلَاتُهَا، وَضَاقَ نَفْسُهَا، وَفِي النِّهَايَةِ؛ هَذَا اللَّهَبُ.

اتَّسَعَتْ عَيْنَاهَا أَوَّلًا، ثُمَّ ارْتَفَعَتْ ابْتِسَامَةٌ سَرِيعَةٌ عَلَى وَجْهِهَا،
ابْتِسَامَةٌ انْتِصَارٍ ظَنَّتْ فِيهَا أَنَّهَا تَجَاوَزَتْ الْعُقْبَةَ آخِرًا.



رفعت رأسها نحوهما، فخورة بنفسها، لكن أسكارث قال، بهدوئه
الذي لا يتغير:

«بالفعل، اسمي هو أسكارث».

والتهمتها النار وهي تصرخ بسخط.

عاد إليها أول احتراق بين السحرة، ذلك الإعدام الذي كانت بريئة
فيه تمامًا، وأدركت الآن وهي تنفحم مرة أخرى، أن وضعها الآن لا
يختلف عن الماضي كثيرًا، فكلما أعادت التفكير في الأمر، وصلت إلى
الفراغ نفسه.

لا ذنب واضح، ولا جواب نهائي.

لذا، حين صعدت من الرماد، رفعت نصفها العلوي أولاً، تنتظر
حتى تعود ساقاها، وما إن شعرت بهما تشكلان حتى انتقلت بسرعة
إلى غرفتها، لتبعد سمعها عن مدى صوته.

ارتدت ثيابها على عجل، وفي ذهنها فكرة أخيرة لم تُجرّبها بعد، لم
تكن راقية ولا عقلانية، لكنها كانت آخر حلّ لديها.



عادت إلى الخارج، وفي اللحظة التي رآها فيها أسكارث، لم تمنحه وقتًا ليتكلم، وهاجمته مندفعًا نحوه مباشرة، بسرعةٍ لا تخلو من المهارة، وإن كانت مشحونة بالتبرم أكثر من التخطيط.

لكنه تجنَّب ضرباتها الأولى بكلِّ سهولة، بحركةٍ بسيطةٍ تُغضب أكثر من أي مقاومة فعلية، فتح فمه لينطق اسمه، لكن درعًا صغيرًا من النار تشكل أمام شفثيه، ثم انطبق عليهما كقفلٍ يمنعه من النطق، دون أن يحرقه.

التفت أسكارث إلى آلير بشيء من الحيرة، فقال العنقي الأول، بنبرة تنضح بالضجر:

«علمها دورلان هذه الحيلة منذ وقت طويل، ولم تكفَّ عن استخدامها بعد ذلك».

داهمت أسكارث ضربة من الجانب، فتجنّبها من غير أن يردّها، لكن كيّار لم تمنحه فرصة لالتقاط أنفاسه، اقتربت أكثر وبدأت بعراكٍ جسدي مباشر لا يعتمد على النار.

كان يصد ضرباتها السريعة دون أن يؤذيها، يفسح لحركتها موضعًا ثم يغلقه، يلوّح لها بممرٍ فتتبعه، لتجد أنه لم يكن إلا جدارًا.



ومع ذلك، واصلت الدفع بإصرارٍ أجبره في النهاية على التراجع حتى بات ظهره ملاصقًا للحائط، فوضعت مرفقها فوق عنقه، وحشرت جسده في زاوية ضيقة، فيما رفعت يدها الأخرى خلفها وقد تشكلت فيها ضربة نارية متوثبة.

قالت بنبرة مشحونة وصدرها يهبط ويعلو بسرعة:

«كلما فكرت بالأمر، وجدت أنني لم أذنب بشيء، لذا أخبرني.. لماذا أعذب لذنب لم أقرّفه؟».

ابتسم عندما رأى أخيرًا اللحظة التي كان ينتظرها، وجاءها صوته داخل رأسها هامسًا بالرضا:

«اسمي يكشف حقيقة النار فقط.. ولكن النار تستجيب لصورة صاحبها عن نفسه».

مال برأسه قليلًا، فانزاح شعره وظهرت عيناه الفضيتان كاملتين، والتقتا بعينيها مباشرةً، وترددت أسئلته داخلها:

«أخبريني يا كيارا.. لماذا ترين نفسك مذنبّة على الدوام؟ ألهذا الحد



ترسخ فيكِ حكم محاکمتک الأولى؟ حتى صار هو العدسة التي ترين بها ذاتک؟».

ساد الصمت حينها، وبقي صوت أنفاسها اللاهثة بينهما عاليًا، لكن أفكارها كانت أعلى، فهمت في تلك اللحظة أن هذا التدريب لا يمتحن ناراها أو قوة سيطرتها عليها، بل يمتحن شيئًا أشد وهنًا.

لكنها قبل أن تغوص في هذا الفهم، تذكّرت حنقها من أسلوبه، من كلّ هذا الالتفاف المؤلم، فقالت بانزعاج يتردد على حدود الغضب: «هل هذا درسك؟ تتلاعب بعقلي حتى أظن أنني مذنب؟».

رفع يديه ودفع ذراعها عن عنقه بلطف بالغ، حتى كادت لا تشعر بملامسته، وأجاب:

«بل أنير بصيرتك، لترى ما قد تم التلاعب به سلفًا».

ثم رفع سبابته ولمس صدغها، مضيئًا:

«هذا ملكٌ لك، وكلُّ ما فيه ينبغي أن يكون تحت تحكمك، فإن سلمته لأحكام الآخرين عنك، عشت أسيرة لما يراه العالم فيك، والعالم كما ترين، شحيح الرحمة».



تراجعت وقد خفَّ الغضبُ لصالح ذلك الإدراك الجديد، أو مأت
متفهمة، فأردف:

«فهم الدرس وتطبيقه أمران مختلفان، سأظل أردد اسمي على
مسامعك، حتى تطهري نظرتك لذاتك من أحكام الغير، ولكن....».

رفع يده إلى شعره، وعدَّله حتى عاد يغطي عينيه، ورغم أن فمه
كان مطبقاً ولا يظهر من تعابيره شيء تقريباً، فإن نبرته حين دخلت
رأسها حملت شيئاً من التشويق الخفي:

«بعد أن رأيت عراكك الجسدي، أصبحت مهتماً بالتدرب معك
من هذه الناحية».

ارتبكت دون أن تعرف كيف ينبغي أن تشعر حيال هذا الاهتمام،
واكتفت بالإيماء، وعندها تذكرت اتفاقها مع آلير، التفتت إليه سريعاً
وقالت:

«قابله، كما اتفقنا».

أجابها مقراً بوعده:

«سأحدد موعداً للقاء».



ثم نقل نظره بينها وبين أسكارث، وتنهد:

«أصبحتين مرة أخرى».

التفت إليها وأضاف بنبرة أقرب إلى التأفف منها إلى التوبيخ:

«لماذا لا تكفين عن جذب المزيد من الزوار؟».

نظرت إلى أسكارث بعدم فهم، ثم عادت بعينيها الحائرتين إلى آلير،
فزفر بضيق، وتمتم لنفسه وهو يدخل البيت مغلقاً الباب خلفه.

وما إن اختفى داخله حتى التفتت كيارا إلى العنقي الجديد بابتسامة
جانبية مأكرة، وقالت:

«أهلاً بك معنا، فالير مملٌ جداً».

فهم أسكارث في الحال أنها كانت تدّعي الحيرة أمام معلمها،
لتريح نفسها من محاضرة أخرى من محاضرات آلير الطويلة، وبالفعل،
نجحت وخدعته.

خرجت من أسكارث ضحكة مسموعة، ورغم أنها كانت قصيرة،



فإن سماعها كان غريبًا بما يكفي ليحرك نارها قليلًا، أحست بها تتأجج،
ثم أمسكتها على الفور وأعادتها إلى موضعها.

فذكرها ذلك بما لم تتقنه بعد، وقرّرت بعزيمة أنها ستدرب، حتى
تتمكن من هذا الدرس بشكل كامل، لكنها توقفت عندما داهمتها
الفكرة متأخرة، ثم التفتت إلى أسكارث وسألته بعدم فهم:

«ألم يسمع آلير اسمك؟ لماذا لم يحدث له شيء؟».

جاءها صوته داخل رأسها مجيبًا:

«لأن آلير ببساطة، لا يحكم ناره».

عقدت حاجبيها أكثر، فتابع مفسرًا:

«النار عنده لا تزال الحَكَم، تقوده ولا يقودها، أما أنتِ....».

توقفت أنفاسها قليلًا حين أحست بعينه تستقران عليها من بين
خصلات شعره:

«فورثتِ قدرة حكمها من والدك».



لامست الكلمات شيئاً قديماً فيها لم ترغب العودة إليه، بينما أضاف:

«كان أليكس يحكم ناره كذلك، لذلك بقيت معه بعد تحوله، فهي منصاعة له بالكامل».

اتسعت عيناها وقد بدأت أشياء كثيرة في ذهنها تترتب بمنظور خاص لها، قوة أليكس، قوة والدها، قوتها.. والرابطة، كلها لم تكن خيوطاً متفرقة كما ظنت، بل نُسجت من أصل واحد:

تناسب القوى.

لذلك جمعتها الرابطة، لكن رياز تحدث حينها مصححاً:

«الرابطة تجمع لأسباب أكثر تعقيداً من مجرد قوة مُنحت منذ الولادة، لذلك ما زالت قواعدها مجهولة».

تنهدت لعودتها إلى نقطة البداية بسرعة مثيرة للشفقة، بعد أن ظنت وصولها إلى تفسير منطقي، وعندما أدركت أن عينا أسكارث ما زالتا عليها ضحككت محرجة وقادته إلى داخل المنزل، للتخطيط للأيام القادمة.



استفحال السم



عاد رو إلى جناحه شاعرًا بوخزات في قلبه، أغلق الباب وأسند
جبينه إلى الخشب للحظة، قبل أن يزفر نفسًا حادًا متقطعًا.

نار صامته تلتهمه من الداخل، ولا قوة له على إخمادها، بل كلما
تذكر تدريبات أمبر مع لانس ازداد اللهب احتدامًا.

بقيت يده خامدتين على حافة الساحة وهو يراقبهما يتصارعان،
يراقب ابتسامتها، فيضغط عليه شيء في صدره حتى يُوشك أن يمزقه،
لم تكن أمبر تتجاهله، لذا لم يعرف لذلك الشعور اسمًا، لكنه يعرف أن
قلبه لا يطيقه.

جلس على طرف السرير، أصابعه تنقر على ركبته بلا انتظام، حاول
أن يستدعي هدوء المعتاد، أن يوازن طاقته، لكن مشاعره كانت أعمق
من أن يضبطها.

ترددت ضحكة لانس على مسامعه مجددًا، فتمدد الحلق الغامض
في داخله، وما إن رفع يده عن ركبته حتى انبثق منها سيلٌ من القوة
غير المتزنة.

اندفعت كالهواء نحو الجدران كأنها دخانٌ أسود كثيف، سرعان ما
غشي المكان وحوّل جناحه إلى بقعة مظلمة يختنق فيها الضوء.



امتلاً المكان بضبابٍ قاتم يتنفس ويتلوى ويتجمع في الزوايا، فرفع
يده الثانية محاولاً استرداد سيطرته، لكن طاقته ترددت بين الطاعة
والتمرد.

صرَّ على أسنانه وزفر، ثم حاول مجددًا حتى استقرَّ السواد شيئًا
فشيئًا، ملتصقًا بالجدران ثم متلاشيًا كالرماد المتبدد، لكن أثره بقي في
الجو، كغصّة عالقة في الحلق، كالمرارة التي علقّت في قلبه.

أدار وجهه نحو المرأة فرأى انعكاسه، عينيّن متعبتين يغشاها ظلٌّ
أسود لم يكن موجودًا من قبل، كتفاه تعلوان وتهبطان بسرعة، وعرق
بارد ينساب من صدغه، رفع يده ليمسحه، فرأى أن أصابعه كانت
ترتجف.

شد قبضته عليها ثم وقف متوجّهًا نحو دورة المياه، وترك الماء
ينهمر على جسده ويغرق الأرضية بإيقاعٍ متواصل، فيما هو يحاول أن
يغسل ما يزحف أسفل جلده.

ترك حرارة الماء تعانقه حتى خفَّ اضطرابه، فأغلق الصنبور وأخذ
نفسًا عميقًا، ثم حسم قراره بالمواجهة، ارتدى ثيابًا نظيفةً على عجل،
وخرج من جناحه متجهًا مباشرة نحو جناح أمبر.



لم يعرف ماذا سيقول، أو ما الذي يبحث عنه تحديداً، لكنه كان يعلم أن ضيق صدره لن يهدأ ما لم يرها بعينه، طرق الباب مرة واحدة ثم دخل دون انتظار لردها.

كان المساء قد أرخى ستاره على المملكة، غير أن جناح أمير ظلّ مضاءً كعادته بإفراط، وصلت أنفّه رائحةً مرهمٍ عشبيٍّ، فاحت من القارورة الصغيرة، على الطاولة القريبة من النافذة نصف المفتوحة، تتدلّى منها ستارة خفيفة، لا تقي من برد إيماتيروس القارس، وعلى المقعد الطويل بجانبها وُضعت ثيابها النظيفة.

دخل متمهلاً ثم أسند كتفه إلى الحائط قرب الباب، لا يريد الاقتراب أكثر حتى يشعر أنها مرّجة به، ثم رفع بصره إليها.

كانت تقف أمام الخزانة وظهرها شبه ملتفتٍ إليه، تفكُّ رباط شعرها الذي تمزق أثناء التدريب، وتُسقطه على كتفيها، ثم تُلقِي به على الطاولة.

لم تستدر رغم علمها بحضوره، فقال ونبرته المنخفضة مقنّعة بالدفع:

«جعلتِ لانس يضحك اليوم، هذه معجزة».



علت وجهها ابتسامةً صغيرةً اختلط فيها الزهو بالمرح، وقالت
وهي تلتقط فوطةً نظيفةً من الرف:

«هزمته شرَّ هزيمة».

مرّت لحظةً ساكنة، ثم همهم رو هممةً غريبةً وغير مفهومة، كأن
الصوت خرج منه قبل أن يُقرّر، رفعت رأسها إليه وحدّقت في عينيه
لحظة.

فهمت فوراً، ثم أطبقت الخزانة بهدوء، وفي ومضة أصبحت أمامه
تماماً، بحيث لا يبقى بينهما سوى مسافة نفس يتشاركانه.

قالت برفق فيه شيء من المزاح المتعمد، لكسر حدّة ما يشعر به:

«رو راندكرو، هل تغار من ابن عمك؟».

لم ينكر، ولم يستطع التبرير أو التعبير، حرّك كتفيه حركةً خفيفة
وأزاح نظره إلى الجدار، غير قادر على مواجهة عينيها.

مدّت يدها وأمسكت طرف قميصه عند الترقوة، التقطت خيطاً
دقيقاً وأسقطته ثم مسحت الغبار مكانه، رفعت وجهها نحوه أخيراً



وقالت بنبرة أكثر جدية:

«أحبُّ التدريب مع لانس لأنه لا يتساهل معي، يستخدم الألم سلاحًا، وأنا أحوله سُلماً».

لم تحبذ أمبر الأحاديث المطولة، كانت تجدها مرهقة أكثر مما تستحق، لكنها مع رو فقط تغيّر كلِّ قناعاتها، فكيف إن كان الثمن ابتسامته أو مسح تكدره، لذا أضافت:

«لانس يدفعني إلى الحافة دائماً، حيث تصبح الخطوة التالية إما السقوط أو القفز، وهناك تتشكّل القوة التي أحتاجها».

سكتت قليلاً تراقب انعكاس ما قالت على عضلات وجهه، وعندما لم تجد ما يكفي من الارتخاء؛ اقتربت أكثر ولفت ذراعيها حول عنقه متابعة:

«أما أنت؛ فتجعلني أضربك لأتعلّم، وتُصيب نفسك لكيلا أتأذى، وهذا يُربكني أكثر، صحيح أنني أفضل الألم في التدريب، لكنه الألم الذي يصقلني أنا، لا الذي يؤذي».



لمعت في عينيه شرارةٌ سريعة، ثم خمدت بنفس السرعة، كان يعرف أنها صادقة، لكن، بداخله طيف لا يستطيع طرده، جرح قديم يأبى أن يندمل، شبحٌ يلزمه ويتغذى من لحظات ضعفه، يزحف إليه في اللحظات الصامتة كلما حاول التماسك، كائنٌ طفيليٌّ لا يعيش إلا على روحه، يقتات من كل فرحةٍ ويحوّلها إلى غصةٍ تتضخم في صدره تدريجيًا. رفع عينيه إليها، فتلقّت نظرتَه بنبرةٍ أوضح:

«لا تدع مشاعرك تتداخل مع التدريبات يا رو، لا تقف في الطريق بيني وبين تطوري».

تقلّص ما في صدره من اعتراض، وتراجع ذلك الطفيلي قليلاً، وتوارى بشكل مؤقت، كموجة تنكفي للحظة قبل أن تعود أعنف.

حرّك رأسه موافقاً، وقال بنبرةٍ تمنّى لو أنها كانت أكثر اتزاناً: «أكره رؤيتك تتألمين».

نظر إلى عينيهما بصدق:

«أستطيع أن أحمل عنك بعض ما يؤلمك، إن أذنت لي».



ابتسمت ابتسامةً صغيرةً ممتنة:

«تعاشتُ مع الألم حتى بات صديقًا يقويني عبر السنين، قربه
مألوف ولسعته دافئة، لكنه يغدو عدوًّا إذا انعكس على ملاحظك،
فكيف أشاركك إيَّاه؟».

رفعت كفَّها إلى وجنته، فأمال وجهه قليلاً نحو يدها، عيناها
تتنازعان الاعتراف، وتصرحان بما يعجز اللسان عن البوح به.

رفع يده إلى شعرها، لكنه قبل أن يتمكن من لمسه، التفتت أمبر نحو
الباب بسرعةٍ قطعت سكون اللحظة، وتبدَّلت ملاحظها من الصفاء إلى
يقظةٍ حادةٍ، فراجع رو نصف خطوة متأهبًا لأي طارئ.

حدَّق فيها مستفهمًا:

«ما الأمر؟».

لم تجبه مباشرة، بل أمالت رأسها قليلاً وأغلقت عينيها لحظةً وهي
تُنصِت، مستعينة بحواس مصاصي الدماء التي لا تُخطئ الذبذبات
البعيدة.



قال رو بصوتٍ خفيض:

«ما الذي تسمعيه؟».

فتحت عينيها، وفي حدقتها إنذارٌ يتجمّع، قالت وهي لا تزال
تُصغي إلى ما وراء الجدران:

«أصوات تشبه العراك، تأتي من مكانٍ بعيدٍ في القصر».

استقام رو، وانشدّت عضلات رقبته، لكنّه لم يندفع، اقترب
من الباب، ووضع راحة يده على الخشب، كأنها يطلب منه إيصال
الأصوات التي تعجز أذناه عن سماعها.

عاد بنظره إليها، فإذا بها لا تزال في موضعها، لكن كلّ ما فيها
تحوّل إلى أداة استشعار، صدرها يتّسع ببطء، أنفاسها حادة، وجفناها
يرتجفان رجفةً طفيفةً لا تكاد تُرى.

سألها:

«من أيّ ناحية؟».



أشارت بذقنها دون أن تقابل عينيه:

«الجهة الشرقية.. على ما أظن، المسافة بعيدة والصوت مُموه عبر الجدران، لكنه موجود».

تجهَّم مستنكراً:

«من سيتجرأ على بدء عراك داخل القصر؟».

أجابته بكلمة واحدة أعلمته بالكثير:

«الملك».

تنهَّد منهكاً:

«أليكس.. مع من يتعارك الآن؟».

لم يكذب ينهي جملة حتى اتسعت عيناها، وأسرعت خارج جناحها دون إعلامه بها استجداً، فكيف تخبره أن صوت أليكس الغاضب تبعته صرخة فتاة؟

وقف رو في الجناح الخالي للحظة قصيرة غير مدرك لما حدث، التفت نحو الباب المفتوح بضياح قبل أن يفهم أن هناك خطباً ما.



انتقل إلى جناح أليكس، لكن هدوء الممر أخبره أن وجهته خاطئة،
فانتقل إلى الساحة الجنوبية حيث تكون التدريبات وتعلو أصوات
العراك بالعادة، لكنه وجد الجنود واقفين بارتباك، وتعابيرهم قلقة
ومتوترة، فعلم أنهم يسمعون الاضطراب الحاصل كذلك.

نظر نحو القصر وهو يفكر، هل يذهب إلى قاعة الاجتماعات أم
قاعة العرش، لكن أحد الجنود التقط حيرته، فقال معلماً:

«جناح الملكة».

التفت رو نحوه مقطباً حاجبيه، وبداله الجندي خائفاً أكثر مما تبدي
ملاحظه، حينها استيقظت حواسه وتنبه إلى أن الأمر أكبر من المشاكل
السابقة.

انتقل إلى جناح كيारा، فوجد الباب مفتوحاً على مصراعيه، وأمامه
تماماً، كان أليكس يشد ياقة زي في قبضته بتعابير مهتاجة، ويحذره
مهدداً:

«إن شككت بقراراتي مجدداً، فستلقى ذات مصيرها».



خلف أليكس، جثت خادمة على الأرض تبكي بحرارة، وبجانبيها
أمبر تلف ذراعها حول كتفها لتطمئنهما من شيء لم يفهمه رو بعد.

أعاد نظراته إلى زي في اللحظة التي أوماً فيها المارشال بانضباط،
لكن شيئاً انطفأ في عينيه، شيئاً لم يكثرث له أليكس، بل التفت نحو
الخادمة ورمقها بسخط بالكاد يقمعه، ثم هدر أمره إلى أمبر:

«جهزي الساحة الأمامية للإعدام».

أومأت أمبر فوراً، ثم نظرت نحو رو بطريقة خاطفة أعلمته بدوره،
فتوجه إلى مكتب كيأرا المهمل، وأخذ ورقة كتب فيها كلماته على عجل،
ثم أرسلها زاجلاً أزرق إلى وارويك.

صاح أليكس بصوت ضرب الهواء كالسوط:

«فوراً!».

وقفت أمبر وهي تقبض على الذراع اليمنى للخادمة المنغمسة في
نحيبها، وانضم إليها زي جامد التعابير، قابضاً على ذراعها اليسرى،
ثم أخذها إلى الساحة الأمامية، فذهب رو معهم ليماطل الإعدام حتى
يصل وارويك.



تأخر أليكس لسبب غير معلوم لهم، فاجتمع الجنود على وقع الأوامر العليا، فيما سرت همسات الخدم المرتبكة كتيار بارد في الهواء المشحون، مشفقين على الخادمة الجديدة التي لم يمضِ على وجودها في القصر سوى أيام معدودة، لتجد نفسها تُساق إلى منصة الإعدام بتهمة لا تدرك حتى معناها.

كان وجهها شاحباً حد الذبول، وعيناها متسعيتين كمن أفيق من كابوسٍ ليلقي في آخر أشد وطأة، أما أعين من حولها فقد كانت تنتقل بين المنصة المجهزة والبوابة بقلق، تترقب حضور أليكس كما يترقب المرء هبوط عاصفة يعرف أنها ستقتلع كل ما تجد أمامها.

وبعد لحظة قصيرة شعروا أنها أطول مما تبدو، ظهر وارويك، لكنه كان مختلفاً، لم يكن في حضوره ذلك المرح المعتاد، ولا تلك الخفة الساخرة التي تسبقه أينما حلّ، بل بدا باهتاً على نحو غريب، ملامحه مُثَبِّطة، وخطواته بطيئة كأنها تجرّ خلفها إرهاباً طال كتمانها.

توقفت عيناه على الساحة، فالتقط المشهد كله في نظرة واحدة، الجنود المصطفين، الخادمة المذعورة، والتوتر الملقى فوق الجميع، ثم اقترب من مجموعة أصدقائه مستعلماً بصوت عكس ضيقه المسبق:

«ما الذي يجري؟».



أجاب زي بنبرة سطحية غليظة:

«قامت الخادمة الجديدة بتنظيف جناح الملكة، وسيتم إعدامها الآن».

أطلق وارويك زفرة ثقيلة متعبة، وكأن صدره لم يعد فيه متسع
لشيء آخر، ثم قال آخذًا زمام الأمور:

«خذها إلى الداخل، وخبئها لبعض الوقت».

لكن زي بقي في مكانه كأنه تمثال جليدي، لا يتحرك ولا يرمش،
فحدق به وارويك للحظة ثم رفع حاجبه باستغراب ضاق سريعًا إلى
نفاد صبر، فتحدث زي مجددًا بنبرة مقتضبة:

«أوامر الملك».

علم وارويك حينها أن أليكس فقد نفسه أكثر مما توقع، فأشار إلى
جندي آخر، وأمره بأخذ الخادمة والتواري عن الأنظار، تردد الجندي
أيضًا وظهر الاضطراب واضحا في وجهه، حتى رمقه وارويك بضيق
ذرع، نظرة تحمل من الوعيد ما يكفي ليحركه، فارتبك الرجل وأسرع
إلى تنفيذ الأمر، يسحب الخادمة شبه المنهارة.



تنهد وارويك مرة أخرى، ثم استدار نحو رو وقال بتهكم باهت:

«وأين سموه؟».

رفع رو كتفيه:

«أمر بتجهيز الساحة...».

انقطعت كلماته لاستغرابه من نظرات وارويك المثبتة عليه، كان الساحر يحدّق به مقطّبًا حاجبيه، وكأنه يراه لأول مرة.

والحقيقة أن وارويك كان يحاول أن يحدد الاختلاف الذي طرأ على الغراب، استشعر فيه تبدلًا خفيًا لا يفهمه، شيئًا حديثًا في عينيه، عمقًا جديدًا وسوادًا أثقل، لكنه لم يستطع أن يحدده أو يميزه بدقة.

اقتربت أمبر عندما شعرت باضطراب رو من هذا التحديق المطول، وقالت محاولة جذب انتباه وارويك بعيدًا عنه:

«الملك غاضب أكثر من أي مرة سابقة، خذ حذرك».

نجحت في تشتيته، لكن ليس بكلماتها كما ظنت، بل بمظهرها الرث، انتقلت نظرات وارويك إليها من رأسها حتى أخمص قدميها،



فرأى أثر التدريب العنيف لا يزال عليها، شعراً فوضوياً، ثياباً تحمل
الغبار والعرق، وملامح لم يمسسها الماء بعد.

فعلق ساخراً، لكن مزاجه المتكدر جعل نبرته أشد لدعاً مما أراد:
«ومن الذي قام بتعنيفك يا أمبر؟».

لم تعتقد أمبر يوماً أن كلمة واحدة كفيلة باستفزازها إلى هذا الحد..
تعنيف..

كلمة بسيطة في ظاهرها، لكنها شقت طريقها إلى ذكريات مقبلة،
ذكريات تضخم أثرها بعد تحوُّلها، حتى باتت الكلمة نفسها إهانة لا
تحتمل.

رفعت حاجباً متحدياً، وجاء ردُّها على مستوى النبرة نفسها:

«أنا لا أعنف، لكني لا أمانع تعنيفك أنت قليلاً».

استدار إليها بكامل جسده، فمه يحمل شبح ابتسامة، ووجهه لا
يزال متمسكاً بلهوه الظاهري، لكن نبرته حملت خيطاً من الجذ سَمِعَهُ
الجميع:

«هل تودين قتالي؟».



كاد رو يتدخل، لولا أن صوت أليكس هز الأرض تحتهم:

«أين الخادمة!؟».

تجمد الهواء أكثر، والتفتت الرؤوس نحوه بوجل، كان أليكس واقفاً خارج البوابة، مهيباً كتمثال صيغ من الغضب، يتصاعد البخار من جلده الساخن، وعيناه المحمرتان حملتا وسطهما شعلتين صافيتين، واضحتين إلى حد مفزع، وفي يده فأس الإعدام الذي لم يُستخدم منذ قرون.

نظرة واحدة إليه أعلمت وارويك أنه غارق في محيط عواطفه حتى الاختناق، لم يكن أليكس يعرف هذا الجانب من نفسه قبل كيارا، هي من أيقظت قلبه، وهي من جعلت الألم فيه يملك هذا السلطان، ولذا لم يتعلم بعد كيف يروضه حين يخرج عن حدوده.

ورغم تفهّم وارويك لصديقه، فإن قدرته على الاحتواء كانت في أضعف حالاتها اليوم، كان مجهداً أكثر مما يسمح له بلعب دور العاقل، وكان يتوق لمن يحتويه هو هذه المرة، لا لأن يكون من يتكئ عليه الآخرون.

لذلك، حين تحدث أخيراً، عكست نبرته استياءه الصريح:

«أمرتهم أنا بأخذها إلى ستونهنج».



اشتعلت النيران في حدقتي أليكس أكثر، حتى خُيِّلَ لمن يراه أن
ألسنة اللهب تراقص داخلهما بالفعل:

«من سمح لك بإلغاء قراري؟».

تنهَّد وارويك وقد فقد البقايا القليلة من صبره، وقال بحدَّةٍ متعبة:
«تدارك نفسك يا أليكس، ولا تضخم الأمر أكثر».

لكن أليكس لم يكن في حالٍ تسمح له بالارتداد ولو خطوة واحدة،
فجاءت نبرته مشحونة:

«لو أنك تهتم بمملكتك بقدر اهتمامك بشؤوننا لازدهرت
ستوننج! لكنك تقضي أوقاتك في نزعات برفقة جنية لا تريد حتى
سماع اسمك!».

اتسعت عينا وارويك اتساعًا طفيفًا، قبل أن تضيقا وتتقدّدا، أجاب
فورًا بصوت انخفض من شدته:

«لهذا السبب لجأت كيारा إلى غيرك في كلِّ أزمة واجهتها، لأنك
عديم الإحساس، ترفع درعًا منيعًا لحمايتها دون أن تتوقف لحظة
لتسألها عن رغباتها».



تسمر الجنود في أماكنهم، وتوقفت الأنفاس في الصدور، لم يجزؤ
أحد على التدخل، حتى الزمن بدا كأنه جفل للحظة.

أخذ أليكس خطوة واحدة في اتجاه صديقه، خطوة واحدة فقط
استطاعوا رؤيتها بوضوح، ثم شق الجموع كالرمح.

لم يمتلك وارويك فرصة لإدراك أن أليكس يهاجمه، إلى أن شعر
بيديه تقبضان على عنقه، وتدفعانه بعنف إلى الأرض، حتى اصطدم
ظهره بالحجارة الصلبة أسفل الثلج.

تحرك جسد وارويك على الفور، بدافع أعشى لم يترك متسعاً
للتفكير، ولكم أليكس في صدره بقبضة تتخللها صواعق فضية، حتى
اندفع هو بدوره إلى الوراء مترنحاً على قدميه، فيما انقذف أليكس في
الهواء بعيداً.

لكنه سرعان ما هبط على قدميه، بلياقة تناقض الغضب الجامح
الذي يعلو محياه، ولم تختلف نظرات وارويك عنه كثيراً، حلق
الصديقان ببعضهما للحظة قصيرة، لحظة مشدودة مثل وتر على وشك
الانقطاع، ثم التحما كعاصفتين.

انهيار مملكتين



لكمات متبادلة وضربات موجّهة، كلاهما يمتلك من القوة ما يكفي
لِيُسْقَط الآخر، لكن ما كان يدور بينهما لم يكن مجرد قتال.

كان تفرّيعًا مكثّفًا لكلّ صمت سابق، لكلّ خيبة مؤجلة، لكلّ وجع
خفي، ولكلّ شعور مكبوت لم يجد منفذًا إلا الآن.

أليكس، الذي أحسّ أن كيّاراً قد تخلّت عنه، لم يحتمل أن يُشكك
أحد في أوامره، حتى لو كان وارويك نفسه.

ووارويك، الذي يضخّي بنفسه من أجل الجميع، الذي تخلّت عنه
تريشا للتو، وجد في تصرف أليكس الأرعن خيانة لكلّ ما يحاولون
بناءه، ولكلّ ما كادوا يخسرونه ليصلوا إلى هذه النقطة.

تشققت الشفاه، وسالت الدماء من الأنوف، وتفتّحت الكدمات
بلون البنفسج الداكن فوق الأذرع والوجوه، حتى تلتطخ الثلج بالدم
تحت أقدامهما.

رفع أليكس يده اليمنى، لتنبثق منها شظايا من نار، قذفها كخناجر
مشتعلة، فرفع وارويك راحته على الفور، وانفجرت أمامه دائرة من
الضوء الأزرق، التهمت الضربات في ومضة ساطعة قبل أن تتلاشى.



قفز أليكس واستدار في الهواء، والنار تتجمع في قبضتيه، ثم هبط مصطدماً بوارويك الذي أطلق صواعقه بلا تردد، مظهرًا قوة لا يطلقها إلا نادرًا.

كانت ضرباتهما غير متوازنة، تحكمها المشاعر المحطمة أكثر مما يحكمها العقل، فتلونت السماء فوق الساحة بألوان لا تُرى عادة إلا في الحرب، وتراجع الجنود إلى أطراف المكان خشية أن تبلغهم الهجمات، بينما اندفع الخدم إلى داخل القصر، وأغلقوا الأبواب بإحكام كأنهم يحاولون حبس الفوضى خارجًا.

همَّ رو بالتدخل، لكن زي أوقفه بهدوء حازم، وعينه لا تفارقان المشهد:

«لا تتدخل، كلاهما بحاجة إلى هذا».

نظر إليه رو متحيرًا، ثم أعاد بصره إلى القتال المستعر، بينما كان الهجوم يشتدُّ واتساع الانفجارات يبتلع ما بقي من المسافة الآمنة.

أشار أليكس بأصابع يده الخمسة نحو وارويك، فانطلقت منها خيوط نارية حادة، تجنبها وارويك سريعًا، لكن أحدها أصاب كتفه.



لم يخترق الخيط جسده، لكنه غطى كتفه بحروق شديدة جعلته يهوي على ركة واحدة، ويطلق للمرة الأولى منذ سنين صرخة اهتزاز لها كلُّ من في الساحة، صرخة كمد، خرجت من عمق لم يسمح لأحد برؤيته من قبل.

حينها قرر رو التدخل رغم كلِّ شيء، وهرع إلى الأمام، لكنه لم يكذب يخطو حتى مدَّ زي ذراعه أمامه ليمنعه، وقبل أن ينبس رو بكلمة دفعه زي إلى الخلف بقوة لم يحسب حدتها، ولم يقصد بها إلا حمايته.

اندفع رو إلى الوراء لمسافة طويلة، وسقط متدحرجاً حتى ارتطم جسده بقضبان القصر، فأطلق تأوُّها مكتوماً من الألم.

ومن قلب ذلك الموقف، انطلقت آمبر باحتدام، وقفزت نحو زي في ومضة قاتمة، ثم اصطدم جسدها بجسده في اشتباك عنيف.

ظهرت قواها كمصاصة دماء بصورة وحشية طاحنة، كما صقلتها التدريبات، لكن زي بقي متماسكاً، يصدها كما لو أنه يعرف كيف يروّض اندفاعها ويكسر إيقاعه.

راقب رو المعركة الثانية تشتعل أمامه، فصرخ بهما أن يتوقفا ولم



يسمعه أحد، كان الدم يقطر من جبينه، وكتفه المخلوعة تمنعه من التحول.

فاعتدل جالسًا بصعوبة، وأطلق قوة الزيروسكو عليها معًا بقلب يغلي، إذ لم يُرد أن يشل زي ويترك آمبر لتقتص منه دون رادع.

انسحب لون الحياة من عينيها، وسرى بث الموت في سائر جسديها، تقهقر جسد زي بإخضاع لا يستطيع هزمه، بينما ترنحت آمبر للحظة، وارتعشت أنفاسها، ثم عاودت الوقوف لتكمل هجومها بعناد.

وفي تلك اللحظة، ظهرت تريشا من بين أشجار الصنوبر التي تحيط الساحة من الجانبين، جاءت مدفوعة بألم وارويك، ذاك الألم الذي لم يكن يضاهي ألمها نفسه، لكن وقعه كان أشد على قلبها الذي لم يعد يعرف كيف يكذب عليها.

نظرت بعينين متسعيتين ووجه شاحب إلى المشهد الفوضوي أمامها، ثم تحولت دهشتها إلى استنكار، العائلة انقلبت على بعضها، الجنود واقفون على الأطراف يشاهدون، وبعض من الشعب تجمعوا خلف القضبان يراقبون حماة مملكتهم وهم ينهارون تحت وطأة مشاعرهم.



رفعت يديها، فخرجت من الأرض جذوع أشجار الصنوبر،
متشابكة كالأفاعي وصلبة كالسلاسل، وانقضت نحو ثلاثة منهم، رو
وأمير وأليكس، لتقيدهم بمهارة ودقة.

تأوه رو أكثر حين لفت الجذوع كتفه المصابة، فأطلقت أمير صرخة
خشنة وهي تحاول تحرير نفسها لتصل إليه، أما زي، فاختنق للحظة
قبل أن تنحسر عنه قوة الزير وسكو، ثم هبط مستنداً إلى يديه، يلتقط
أنفاسه بصعوبة. أما أليكس فظل كحيوان مسعور مكبل.

كان وارويك على وشك الانقضاض عليه، لكنه تجمد ما إن رأى
الجذور تلتف حول صديقه وتجذره إلى الخلف، انعقد حاجباه وانقلبت
تعبيره من احتياج خصم متأهب إلى قلق حام استشعر الخطر.

لكنه لم يجد الوقت ليفعل شيئاً، قبل أن يشعر بيدها تشد ذراعه
بقوة، وتحاول سحبه خارج المكان قائلة:

«تحرك».

التفت إليها، لكن جسده لم يتزحزح من مكانه إثر أعصابه المشدودة
وأنفاسه المضطربة، فمدّت يدها الأخرى وقبضت على قميصه،



وجذبت به بجسدها بقوة أكبر، مستاءة من عجز قواها عن الوصول إليه
كما تريد، وكررت صارة على أسنانها:

«هيا، تحرك».

ثم التقت عيناه القلقتان بعينيها.. فتحركت قدماه تلقائيًا، ومضى
معها بعيدًا نحو الأشجار، بينما كانت تريشا تدعو في داخلها أن
تستجيب لها قوتها هذه المرة فقط.

ومض سحرها الخاص، وكأن الرابطة أرادت أن تثبت لها من
جديد، بأن قوتها لن تؤثر على وارويك، إلا إن خرجت من أجله، لا
عليه.

غاصت داخل الشجرة، وانتقلت به إلى قصر ستوننج، تاركين
خلفهما ساحة تعجّ بالصراخ المكبوت، والأنفاس المتقطعة، وشرر
الغضب العالق في الهواء، لا يقمعه إلا الجذور التي أبقتهم في أماكنهم.

حاربوا قيودها للحظات قليلة فقط، ثم خفت مقاومتهم، وبدأ
الوعي يعود إليهم تدريجيًا، وسط الفوضى التي أخذت تهدأ ببطء.





سحبت تريشا وارويك من يده وقميصه وكأنها تقوده، رغم أن حركتها لم تحمل سحراً أو قوة تذكر، لكنه تبعها كما لو أن جسده عاجز عن المقاومة.

كان وجهه يبدو للعين المجردة صامتاً، لكن صراخه الداخلي كاد يصمُّ أذنيه، وبدأ سخطه الذي خَفَّت قليلاً في الساحة يتصاعد من جديد، أعمق وأمرّ.

متسائلاً كيف تجرؤ على العودة بعد أن تركته؟ كيف تأتي من أجله بعد أن أمرته ألا يتدخل في شؤونها؟ كيف تحطمه كل مرة، ثم تعود كما لو أنها لم تفعل شيئاً؟

حين وصلا إلى جناحها؛ تجمدت الخادمة ما إن رأتها، واتسعت عيناها بارتباك، ثم انحنت على عجل وانتقلت هاربة، كأنها فطنت أن ما سيحدث بعد لحظات، لا ينبغي لأحد أن يشهده.

أفلتت تريشا قبضتها عن وارويك قبل أن تستدير نحوه، رفعت عينيها إلى وجهه أولاً، ثم هبطت بهما إلى كتفه المحترقة، فتجهمت ملاحظها دون أن تشعر.



كانت أنفاسه قد هدأت نسيئاً، لكنها سرعان ما عادت لاهثة من
كمّ الانفعالات التي تراكمت في صدره دفعة واحدة.

مدّت يدها نحوه، تحاول أن تلمس كتفه، أن تفحص الجلد المتقرّح،
لكنه أمسك معصمها فجأة، بقوة جعلها ترفع رأسها إليه بسرعة.

قال بصوت منخفض حازم:

«إياك ولمسي».

تراجعت خطوة دون أن تنزع يدها من قبضته، ونظرت إليه طويلاً
بعينين امتلأتا بالدهشة والوجع معاً، ومع ذلك، تابع متجاهلاً ما كان
يرتطم بقلبه عبر الرابطة:

«ألم ترحلي؟ فلماذا جئت الآن؟».

رغم أن نبرته خرجت عدائية، فإن يده ظلت مطبقة على معصمها،
فحاولت تريشا ألا يبدو صوتها خائفاً، لكن التوتر فضحه وترك فيه
ارتجافة خفيفة:

«لهذا السبب تتعارك مع صديقك كأنكما صبيان؟!».



ثم أشارت إليه، إلى جسده المتورم، وإلى آثار القتال الظاهرة عليه،
وأضافت بحدّة فضحت قلقها:

«ناهيك عن كونكما تمثلان قوتيّ مملكتين، ما فعلتماه كان مشيناً
لللغاية، أمام الجنود، أمام الشعب، أمام أنفسكما!». .

اشتعلت عيناه بغضب مضغوط، وقال على الفور:
«أولستِ الملامة؟».

عقدت حاجبيها مستنكرة، ورفعت ذقنها بعناد:
«وبِمَ ألام؟ ما شأني بكلّ هذا؟».

حطمت الكلمات المكبوتة بداخله منذ زمن جدار كبريائه دفعة
واحدة، فجذبها من معصمها، ليتقدّم جسدها تلك الخطوة الفاصلة
بينهما، ثم اندفع صوته خارجاً بقوة، ممزّقاً ما تبقى من أقنعتة:
«لأنّي أفكر فيك!». .

صرخها دون أن يرمش، محدّقاً في عينيها الخضراوين بثبات عارٍ،
كمن قدم قلبه كلّهُ، وتركه مكشوفاً للعيان.



كانت أنفاسه الممزوجة بحرارة كمدته تلطم وجهها، فيما حدّقت به
بغم مفتوح وعينين متسعيتين، عاجزة عن الحديث.. بل عاجزة حتى
عن التفكير.

لم تتحمل صدق نظراته، فأزاحت عينيها عنه، وتراجعت إلى
الوراء، لكن وارويك أغلق الفجوة بينهما فوراً، فتراجعت مرة أخرى.
كانت عيناه لا تزالان محتدمتين، غير أن نبرته بدأت ترقُّ مع كلّ
خطوة أخذها نحوها، كأن غضبه لم يعد يعرف كيف يبقى على هيئته
الأولى في حضرة هذا الاعتراف:

«أقلق عليك في كلّ لحظة.. وأبحث عنك في كلّ مكان».

التصق ظهرها بالجدار، فشدت قبضتها إلى جانبيها، تثبت نفسها
قدر ما تستطيع، بينما واصل كلماته بصوت صار أقرب إلى الهمس:
«أبحث عنك حتى في الأماكن التي أعلم أنك لا تمرّين بها..
وأنتِ...».

توقف عندما رأى الخوف يعود إلى عينيها، بل شعر به يمتدُّ إلى قلبه



عبر الرابطة، واضحًا في برودته، ففهم في تلك اللحظة أنها لا تريد سماع اعترافه، أو لا تحتمل سماعه الآن.

ظل فمه مفتوحًا لوهلة، مستعدًا أن يتخلص من بقية المشاعر العالقة في صدره، لكنه استسلم في النهاية، وزفر نفسًا طويلًا محبطًا، ثم تغمست مستديرًا عنها:

«ارحلي وحسب».

لكنها أمسكت يده قبل أن يستدير بالكامل، تجمد فورًا، وبلغ الأمل قلبه بسرعة جارحة، حتى كاد يرفعه من انهياره للحظة، لكنه ما لبث أن انطفأ حين قالت:

«ولكن إصابتك...».

لم يدعها تكمل، استدار في لحظة خاطفة، وضرب الجدار جانب رأسها بعنف، حتى ارتج المكان بسحره من حولها وهو يصرخ:

«ارحلي!».

انتفض جسدها كله، فتجمد مصدومًا من وجهها الشاحب، من



ارتفاع كتفيها، وانكماش رقبتها وكأنها تحاول الاحتواء منه داخل نفسها.

زفر بعدم تصديق، وأوماً عدة مرات بقهر مكتوم، ثم همس بصوت يحمل ألماً جلياً بين الحروف:
«سأرحل أنا».

استدار مترنحاً وقد أنهك جسده من تخطيط مشاعره، أكثر مما أنهكته إصابته، ثم اختفى، وبقيت تريشا مكانها، أنفاسها لاهثة، وقلبها يتقطع.

لم تر خطواتها التالية بوضوح، لم تعرف ما التصرف الصحيح، عجزت عن التوفيق بين أوامر عقلها، والخوف القديم الذي يدفعها إلى النجاة، وبين قلبها، الذي ظل واقفاً عند اعترافه، مذهولاً، ومرتبكاً يرفض أن يمضي.

استدارت أخيراً، حاسمة أمرها بالعودة إلى ماجيسيا، لكن خطواتها جاءت مترددة على نحو يكاد يفضحها، فجسدها وحده هو من تحرك،



بينما بقيتها عالقة عند صوته، عند نظرتة، عند تلك الجملة التي خرجت
منه كجرح مفتوح.

أما وارويك، فعاد إلى جناحه ممزقاً، كلُّ ما أخرجه عاد وارتطم
به من الداخل، فدخل إلى الجناح كمن يسير وسط الضباب، لا يرى
طريقه ولا يدرك وجهته.

توجّه إلى فراشه، وجلس في الظلام، كانت جراحه تنزف، وكتفه
يثنّ وجعاً، لكنه لم يلمسه، ولم يحاول تضميده، فألم الجسد تفصيل بعيد
لم يستحق الالتفات حينها.

ومهما بلغت جراحه الخارجية، لم يؤلمه شيء قط، بقدر صدها
المستمر، ورفضها الوثوق به، رغم اعتماده عليها أكثر مما يظهر، أكثر
مما يطيق.



حائط رخو



لم تطل قبضة الجذوع بعد انصراف تريشا، لكنها بقيت بها يكفي
ليتسرب الإدراك إلى أليكس تسرُّبًا بطيئًا مخزيًا.

رأى ما حوله قبل أن يقرَّ بها في داخله، رأى وقفات الجنود المتوترة،
نظرات الشعب التي تنم عن خوفهم من المستقبل، عن معنى تعارك
ملكين لأقوى ممالك أسكونزول.

ثم رأى أصدقاءه، واقفين على مسافة فرضها عليهم الموقف،
تُنازعهم رغبة الاقتراب وخشية ما قد يجدونه منه إذا اقتربوا.

لم تحمل نظراتهم حُكمًا أو لومًا، بل حملت العجز والقلق، وكان
ذلك أكثر مما يُحتمل بالنسبة إليه، لأن تلك النظرات أثبتت أن ما يجري
له تجاوز الحدود، لدرجة أن حتى من يعرفونه، لم يعودوا يعلمون كيف
يتعاملون معه.

أنزل رأسه، فانسدل شعره أمام عينيه وأسبل عليه ستارًا رقيقًا عن
العالم، لم تكن حركة واعية، وإنما عقل غلفته المذلة.

وما إن أحس بالجذوع تترأخي، حتى وقف عائداً إلى جناحه بهدوء،
شاعرًا بثقل نظرات الجميع على كتفيه الذابلتين، فمشى دون استخدام



سرعة خارقة، أو انتقالةٍ نارية، كما لو أنه يعاقب نفسه بالتمرغ في العار الذي استحقه.

لاحقه الصمت من الساحة إلى الجناح، وبينما كان صمت الساحة أنفاسًا محبوسة، كان صمت جناحه جدرانًا مهجورة.

حاول أن يذكر نفسه بأنه ما زال عنقيًا ولو بشكل جزئي، وعليه التصرف بناءً على ذلك، لا بغرائز مصاصي الدماء الانفعالية، وأن المنطق يجب أن يكون أساسه واستناده.

لكن الفكرة خذلت، ولم تمنحه الدافع الذي توهمه، وإنما أغرقته أكثر في خزيه، كما أن السم الحار في دمه، جرى داخل عروقه مذكرًا بأنه لم يعد من قضاة العدالة، ولم يعد قادرًا على أن يزن نفسه بناءً على معاييرهم.

أخذ عدة خطوات داخل جناحه دون وجهة محددة، لا يعرف إن كان عليه الذهاب إلى دورة المياه ليغتسل، أم إلى الفراش ليرتاح، أم إلى النافذة ليفكر.

حينها انبثق أمامه ثقب ناري، فتوقفت أفكاره لبرهة، لم يكن ذلك



ثقب سبارك أو أي عنقي يعرفه، فالسرعة المندفعة للنار تحمل من شخصية حاملها، أما التي أمامه فكانت أكثر إحكامًا واتزانًا، تنطوي بطريقة لا يتقنها من تعلم الفتح حديثًا.

تساءل إن كان عراكه مع وارويك قد أخلَّ باتفاقية العدل أو تجاوز أحد القوانين دون أن يدرك بسبب حالته الفوضوية مؤخرًا، فانتظر بترقب إلى أن تقلص الثقب وخفت ضوؤه، وأظهر له العنقي الأول دون غيره.

ثمة أشياء لا تحتاج إلى مقدمات أو تعريفات لتدركها، مثل الحالة التي تحيط بآلير، كانت قديمة بالمعنى الحقيقي للكلمة، حالة ترسبت من طبقات زمنية بعيدة، وتكشفت حتى كاد يجزم أنه يستطيع لمسها بأنامله.

لم يقابله أليكس بطريقة رسمية من قبل، لكنه عرف هويته فور وصوله، وتعرف على حالته، كان هناك شيء في حضور آلير يستدعي احترامًا تلقائيًا، ذلك الاحترام الذي تُناوله لكل من يسبقك بعمر يفوق إدراكك.



لكن، كان هناك أيضًا شيء آخر أقل لباقة وأكثر صدقًا، حقد مفاده أن هذا الرجل هو من اختارته كيارا، وأن تدريباته هي ما شغلت وقتها وفكرها وأيامها التي كان يتمنى ألا تكون لغيره.

لم يكن حنقه موجهًا لآلير تحديدًا، بل لحقيقة أن اختيارات كيارا دائمًا ما تتجاوزته، وقلبه لا يستطيع تقبل ذلك الأمر مهما حاول أو برر الأسباب.

أما آلير، فكان يتفحص أليكس من الرأس حتى أخمص القدمين، ثم تجعد ما بين حاجبيه، فظن أليكس أن تجهمه نابغ من الازدراء، لذا استقام قليلًا مستعيدًا بعضًا من ثقته التي هزتها قرارات كيارا.

لكن العنقي الأول فتح فمه، وقال محدثًا نفسه:

«تبًا، أكره عندما تكون كيارا محقة».

توقف عقل أليكس عند سماعه اسمها، وصمتت جميع أصواته الداخلية فجأة، ليبقى ذلك الاسم يتردد في فراغها.

كيارا..



أحس بشيء ينعقد في منتصف صدره، خيط اشتد بعد أن ظنه
منسيًا، ليكتشف في تلك اللحظة أنه بالفعل ما زال موصولًا بينهما.

أراد أن يسأل، أن يقول أي شيء يجعل المير يُكمل، أي كلمة تبقي
اسمها حاضرًا في الهواء لوقت أطول، محقة في ماذا؟ ما الذي قالته
كيارا؟ وأين هي الآن؟ كيف هي؟ هل تسأل عنه؟ هل تعلم كيف
يموت كل يوم عدة مرات بدونها؟

لكن حنجرته لم تسعفه، والكلمات التي فكر فيها بدت ثقيلة أو
تافهة أو كليهما، فآثر الصمت، واكتفى بالمراقبة.

فيما بدأ المير يتجول في الجناح بلا تعجل أو تكلف، خطوات مخلوق
اعتاد أن يكون في كل الأماكن دون أن يكون غريبًا فيها.

مر بإطار على الجدار، مزين بورق الذهب، لمسه بطرف إصبعه
بشكل فاتر، ثم رفع بصره نحو الثريا، حيث تتدلى البلورات في
سلاسل ضوئية متراصة بعناية، وبقيت عيناه هناك لحظة كما لو أنها
تجربان محاكمة خفية.

وأخيرًا، تنهد ونقل نظراته بشكل سريع عبر الجناح قائلًا، دون أن
يقصد بكلامه أحدًا بالضبط:



«دائماً ما تكون الأماكن الأكثر بريقاً أقل دفئاً».

ثم التفت نحو أليكس:

«هل تتفق معي؟».

كان صوت أمير ثخيناً، ليس جهوراً، لكنه كثيف، صوت تُسمع كلماته بوضوح دون الحاجة إلى رفع النبرة، ظل ينظر إلى أليكس ينتظر بالفعل إجابته، لكن أليكس لم يسمع نصف كلامه، لأن عقله كان لا يزال في مدار اسمها، يحاول أن يستخلص من الجملة القصيرة التي قالها أكثر مما فيها.

فحسب أمير أنه لا يجد إجابة لسؤاله، أو ربما لم يكثرث كثيراً ليحييه، فاستدار متابعاً:

«لاحظت أن أكثر القصور استعراضاً معرضة للسقوط أسرع من غيرها».

ومشى نحو النافذة، مردفاً بذات النبرة، كما لو أنه يقرأ من سجل قديم:

«آمل فقط ألا يلاقي هذا المكان مصير قصر السحرة».



خرجت الكلمتان الأخيرتان بثقل مختلف عن الكلمات التي
سبقتهما وإن لم يتكئ عليهما، فلم تكن مجرد ذكرى تاريخية في فمه؛ بل
شيئاً عاشه، لكنه تجاوزها بسرعة من يعرف أن ثمة فرقاً بين التذكر
والاستغراق.

أخذ مكانه على الكرسي قرب النافذة، ثم وجّه نظرة مباشرة نحو
أليكس، نظرة جادة تقول إن ما سيقال تالياً هو ما أتى من أجله:

«أنت تربك تدريباتها بعدم استقرارك».

توقف وقفة قصيرة قبل أن يتابع، لكنها اتسعت لأفكار أليكس
جميعها، فقد ظن أن كل ما يجري فيه من تقلُّب ومدٍّ وجزر، يبقى
حبس جانبه هو من الحائط، ولا يتسرَّب إليها.

وسمعه الآن بأن اضطرابه يصل إليها، أن شيئاً منه لا يزال يعبرُ
إليها، رغم الفاصل الذي وضعته بينهما؛ جعله يكتشف أن الجدار لم
يكن يوماً صلباً كما بدا له.

تابع آلير مضيفاً بنبرة سطحية:

«تمالك نفسك لتنتهي بسرعة، وتعود إليك».



بسرعة..

علقت الكلمة داخل أليكس وتاهت هناك، لأن السرعة التي يتخيلها لآلير لا تشابه ما يراه هو، فغياب كيارا قد أخذ عدة سنوات سلفاً، ومن يعلم كم بقي لها لتنتهي.

كان يعلم أن السنة الواحدة عند المعمرين ليست ثقلاً يُضاف فوق عمرهم، بل محطة تُذكر ثم تُنسى، وآلير بكلّ قدمه، ربما يرى سنوات التدريب السابقة كما يرى غيره أسبوعاً، شيئاً يمرُّ دون أن يلاحظ، فالأبدية تفعل ذلك، تجعل الزمن انسيابياً لا حوافَّ له، تسبح فيه دون أن تتذكر متى بدأت، أو تعرف متى ستنتهي.

لكن أليكس أحسَّ بكلّ واحدة من تلك السنوات، بالرغم من أنه كان مثلهم يوماً، يُمرّر الوقت دون أن يحسب، لكن كيارا أتت وأعطت زمنه الحواف.

ومنذ أن عرفها، أصبح الوقت شيئاً يُقاس بها، قبلها وبعدها، وكلُّ يوم مضي منذ غيابها كان يوماً يعرف وزنه جيداً.

نظر إلى آلير، شاعرًا للمرة الأولى في حياته، أنه لم يعد يشبه العنق،



فتح فمه وتحدث أخيراً، بصوت أكثر هدوءاً مما توقع من نفسه:

«كيف تجري تدريباتها؟».

نظر إليه آلير نظرة متعجبة، كأنه لاحظ سلسلة أفكاره الداخلية،
وقدّر له اختياره ذلك السؤال قبل أي سؤال آخر، ثم قال بنبرته
الثخينة نفسها:

«متذبذبة، لكنها تدهورت في الأيام الماضية».

انسدل صمت قصير بينهما، ثم قال أليكس مفكراً بصوت عالٍ:

«لهذا السبب لم تأت إلى الممر».

رفع آلير حاجبه مردداً:

«الممر؟».

ثم تجاوز الموضوع بلا مبالاة، وقال بلهجة تُنهي ذلك المسار:

«أيّا كان، تمالك نفسك لكيلا تُربكها».

زفر أليكس نفساً ثقيلاً، يدرك ما عليه فعله وقوله، لكنه لا يستطيع



ترك الأمر دون مقاومة، فخرج منه السؤال منسوجاً من التهكم والألم:

«وكانها تهتم».

توقف آلير بعد أن كان على وشك النهوض، ورمقه متململاً
لبرهة، يُعيد ترتيب حساباته، وعقبات تركه للرجل المحطم أمامه على
كيارا، ثم قال بنبرة متضجرة:

«أتعرف كم مرة كادت تعود إليك؟».

رفع أليكس نظراته المتسائلة نحوه، فأكمل مباشرة:

«مرة كل ثلاثة أشهر تقريباً، وأحياناً تصل إلى جبال الميركور، ثم
تتذكر أنك سبب تدريباتها فتعود مجدداً».

دفع الكلام أليكس نحو منطقة وسطى بين الحزن والفرح، بين
الاستياء والارتياح، منطقة تجلس فيها الحقيقة وتنتظر أن يقرر صاحبها
ماذا يفعل بها.

تصوّرها في جبال الميركور، تقف عند حافة ما بينهما، ثم تراجع
لأنها اختارت أن تكمل ما بدأت من أجله هو.



وهذا بالضبط ما جعل شيئًا ما ينكسر في صدره، شيئًا من الجهة الخطأ، لأنه أراد أن يكون اختيارها لا الهدف، وهذا الفرق الضيق بين المعنيين هو ما جعله ينهار مرة بعد الأخرى.

انتزع الكلام من مكان عميق وغير مريح، وألقاه على آلير بكل ما فيه من كراهية، كراهية ليست موجهة للرجل أمامه بالضبط، بل لكل ما يمثله:

«لكنها اختارتك أنت في النهاية!».

قالها بنبرة تشبه الاتهام، رغم أنه يعلم أن آلير لم يأخذ شيئًا منه، فالاختيارات لا تُسرق، لكن المنطق لم يهدئ ما في قلبه.

وقبل أن يُتيح لنفسه فرصة مراجعة ما يقوله، تابع:

«لماذا عرضت تدريبها أصلاً؟ لم يبلغني أن لك جانبًا تطوعيًا».

بقي آلير صامتًا ومراقبًا، كأن حالة أليكس تستوجب التأمل قبل أن يُعامل معها، ظلت عيناه تتجولان عليه بهدوء، ثم قرر أن يُعطيه أكثر مما طلب، وقال:

«لن يقدر قلبك أن يهبها الطمأنينة إن كان يفتقدها».



ثم مضى عائداً إلى منزله، لم يُفسّر أو يُكمل، ولم يلتفت ليرى أثر كلماته، نهض من الكرسي بالبطء نفسه الذي جلس به، واختفى داخل ثقب ناري جديد.

وصل الكلام إلى مكان في أليكس، كان لا يزال يُفتّش فيه عن المعنى، يحمل شيئاً على غرار المرأة التي توضع أمامك وتجبرك على النظر.

كرّر الكلمات في رأسه مرة..

ثم مرتين..

ثم تركها ترسخ..

ظل ينظر إلى مكان أليكس الخالي، وهو يعيد ترتيب أشياء تقلبت في داخله، طوال هذا الوقت، كان يحمل نفسه بطريقة معينة، يسمح لنفسه بالانهيار، لأنه ظن أن كل ما يجري له من شأنه وحده، ظن أنه يتخبط في مكان لا تبلغها موجاته، وإذا به يكتشف أنه كان يرمي حجارته في بحرها وهو لا يعلم.





لم يُثقل آلير خطاه بها تركه خلفه، كان قد اعتاد على أن يقول ملاحظاته ثم يتركها في يد السامع ليفسرها بطريقته، فبعض الكلمات لا تُنبئ إلا بعد غياب صاحبها، وهذه كانت إحدى بذوره الكثيرة.

كان المسير إلى منزله طويلاً بما يكفي للتفكير، وقصيراً بما يكفي ليتتهي في ومضة، وجد حين وصوله أن تدريبات كيara مع أسكارث ما زالت قائمة، عدا أن كلمة تدريبات كانت أوسع مما ينطبق على ما يراه.

كانت كيara مستلقية على الأرض، تنظر نحو السماء كمن يصارع شيئاً داخله، وهالاتها المتداخلة توحى بتدريبات شاقة، لكن خمود وميضها يقول إن المخزون قارب على النفاد.

أما عيونها.. فكانت زائغة، حتى تساءل إن كانت ترى أبعد مما أمامها، إن كانت ترى أليكس في قصره حائراً ووحيداً.

لاحظت كيara حضوره، وقالت دون أن توجه عينيها نحوه، بصوت خرج فائراً ومرهقاً:

«لَمْ تَحْذَرْنِي مِنْ قُوَّةِ أُسْكَارِثِ الْجَسَدِيَّةِ؟ أَنَا لَسْتُ قَوِيَّةَ أَمَامِهِ كَمَا ظَنَنْتُ، هَلِ التَّدْرِيْبُ.. هَلِ نَضِيعُ وَقْتِنَا ب...».



تساءل إن كان الممر الذي ذكره أليكس قبل قليل يشدها نحوه
ويزعزع ثباتها، فقاطعها وهو يمرُّ بجانبها نحو منزله:

«القوة تبدأ من الداخل، لن يقوى الجسد ما دام العقل هشاً أمام
نفسه».

قالها بطريقة عابرة وغير مكرثة، وتابع طريقه كمن أدَّى ما عليه
وبقية الأمر ليست من اختصاصه، وما أن أغلق الباب، حتى عادت
إلى ذهنه الكلمات التي قالها لكليهما.

لم يقصد صياغتها بهذا الطريقة، إلا أنها تشابهت بشكل عجيب،
جملتان لشخصين في مكانين منفصلين، لكنهما ينتهيان إلى الجذر نفسه.
كانا يتلقَّيان الدرس نفسه بوجه مختلف، مجبرين على الفراق، كي
يبصرا ما كان القرب يحجبه عنهما.

همهم لنفسه، ثم دخل ليعدَّ القهوة السوداء قبل أن يقرر أنه يريد
شربها، كانت عادة قديمة لا يُفكر فيها كثيراً، مثل معظم العادات التي
أصبحت جزءاً من تضاريس اليوم، فتصبح الحركات بلا انتباه، بينما
يذهب العقل إلى أماكن بعيدة.



جلس أمام طاولة الطعام، والكوب بين يديه يُصدر بخارًا خفيفًا،
وعيناه تراقبان كيارا من نافذة المطبخ، ثم أخذ يفكر فيهما.

رأى خلال حياته الطويلة علاقات تحمل من الغرابة ما يجعل المنطق
يُشيع عنها، ومن المنطق ما يجعل الغرابة تصمت.

وما جمع كيارا وأليكس، كان يجلس في ذلك المكان الضيق بين
الاثنين، فما أدركه اليوم هو أن أليكس هو النهاية بالنسبة إلى كيارا،
الجائزة بعد جهد طويل، النور في آخر النفق، والهدف الذي يُعطي لكل
ما سبقه معنى.

أما أليكس، فكانت كيارا بالنسبة إليه شيئًا مختلفًا تمامًا، كانت
البداية، بداية كل شيء لم يعهده، بداية نبضه، بداية المشاعر التي لم يكن
يعلم أنه يحملها، وبداية حياته الحقيقية.

كلاهما يسلكان الطريق نفسه، ولكنهما في اتجاهين مختلفين.

خرجت منه ضحكة مكتومة لا تتجاوز حدود صدره بكثير،
استجابة لا إرادية لما وجد فيهما من طرافة، قرب الكوب من فمه،
ثم تجمّدت يده، عندما أدرك أن الضحك وجد طريقًا إليه، بعد أن
صنعت منه مسيرته الطويلة مخلوقًا لا تُحرّكه الأشياء الصغيرة بسهولة.



وهذا الشق الصغير في قلبه، الضحكة التي لم يستدعها ولم يتوقعها،
أثارا فيه فضولاً منع نفسه سابقاً عن الاقتراب منه.

أبقى الكوب قرب فمه، وسمح لنفسه بسؤال لم يكن يُحِبُّ أن
يسترسل فيه، لكن أفكاره سبقت قوانينه، وسلكت طريقاً أعمق مما
أراد:

إن كانت علاقة كيارا وأليكس، بكل ما فيها من غرابة ومنطق،
وجمال وتعقيد، قد استطاعت أن تستخلص منه ضحكة، فماذا ستفعل
علاقته هو بمن اختار القدر أن يكون معها؟

المختارة..

أي نوع من التعقيد ينتظره؟ أي بداية، وأي نهاية؟

بقي السؤال معلقاً في الهواء مثل بخار القهوة، لا إجابة تُسرِعُ إليه،
ولا يد تدله، والشق البسيط في قلبه المتحجّر يُعلن عن وجوده بهدوء.

لحن الخوف
والصمت



استيقظ وارويك في اليوم التالي على وخزاتٍ خفيفة تنبض في كتفه المحروق، ألم حاد لكنه مألوف بما يكفي ليوقطه دون أن يفزعه.

كان الجناح غارقاً في الظلام، والستائر الثقيلة لا تزال منسدلة، تحجب أول النهار عن الحجر والأثاث، وعن قلبه الذي لم يبرأ من ليلته السابقة.

ومع ذلك، لم يخطئ إدراكه لحظة، كان هناك شخصٌ في الجناح. حرك رأسه ببطء، مثقلاً بما تبقى في داخله من تعبٍ ومرارة، ورغم أن ملامحها كانت بالكاد مرئية في الظلال، فإنه عرفها فوراً، تريشا.

كانت جالسة إلى جواره، قريبة بما يكفي لأن تصل إليه أنفاسها الخافتة، تُمرر أصابعها برفق على كتفه، فيما تعمل قوة شفائها بصمت بالغ وخفية، تحشى أن يتنبه لها قبل أن تنتهي.

أبعد يدها ببرود متعمد دون أن ينظر إليها، ونهض متجهاً نحو النافذة، لم تكن في حركته قسوة صريحة، لكنها حملت ذلك الجفاف الذي يخلّفه الانكسار بعد أن يبيت ليلة كاملة في القلب.



وما إن بلغ الستائر حتى مزَّق عتمة المكان بيده، مزيجًا الستائر دفعة واحدة، فاندفعت أشعة الشمس إلى الداخل، استدار لينطق بها حسبه واضحًا:

«لم أطلب علاجك، ولا أريده».

لكن صوته انكسر قبل أن يُكمل، رآها واقفة في موضعها نفسه، ووجهها مائل قليلًا، فلم تجرؤ على رفعه كاملاً نحوه، لكن عينيها.. كانتا محمرتين، ورطبتين، تحملان أثر دموع لم تجف بعد، ليريه الليل أنه مرَّ عليها بأشواكه هي الأخرى، وأنه عندما مضى ترك فيها شيئًا لا يُخفى.

تجمّد في مكانه، أراد أن يسألها عن سبب دموعها، أن يقترب، أن يهدئ تلك العينين العطوفتين، لكنه لم يتحرك، لأنه يعرفها، ويعرف أنها لن تعطيه شيئًا مما بداخلها، ولا تريده أن يطلبه.

أيقن حينها أنها نقطة ضعفه الأقوى، وأنه مهما غضب من صدها، ومهما تألم من عزوفها عنه، فإنه سيعود إلى جانبها فور أن تسمح له بخطوة واحدة، وأدرك بمرارة متهكمة، أنها إن طعته تسعًا وتسعين مرة، فسيسمح لها بالمئة إن رآها تبكي أمامه.



مشى نحو السرير مستسلماً، عائداً إلى قدرٍ قبله على مضض، وجلس كما كان، ثم أغمض عينيه كأن اعترافه بالألم قد استنزف ما تبقى منه اليوم، كأن قبوله لعلاجها إقرار بهزيمته أمامها.

رأته ساكنًا، فلم تتردد طويلاً، اقتربت بخفة أشد من السابقة، وجلست إلى جواره، ثم رفعت يدها من جديد، وهذه المرة أكملت علاجها بدقة أكبر حين فهمت أنه لن يبعدها.

بين كل لمسة وأخرى، عاد الصمت ليعزف على أوتار الخوف الذي قيدهما، مدندناً بلحنه الحزين، لحن تسمعه أرواحهما فقط.

هو مستسلم لواقعه، لا يقاوم أكثر، ولا يعاتب مجدداً، وهي تحارب كلَّ حذر فيها، تكسر حجراً من أسوارها، ثم آخر، وتبني بهما جسراً هشاً يمتد نحوه.

ما إن انتهت حتى نهض سريعاً، ينفض عن جسده لحظة الضعف قبل أن تتجذر، يحاول أن يتنشل من نفسه ما يكفي ليبقيه واقفاً أمام شعبه، أمام اسمه، أمام الصورة التي لم يعد يملك منها إلا ما يتظاهر به.



همَّ بالتوجه إلى الباب، لكن يدها قبضت على كفه، كانت لمستها الخفيفة ثابتة، تعلمه بأنها اتخذت قراراً مهماً لم تفصح عنه بعد.

شعر بقلبها يرتجف، فالتفت إليها، ليرى في وجهها شيئاً جديداً، نظرة مهزومة خالية من الحدة والكبرياء، رأى انكساراً شفافاً، كأنها سلّمت نفسها أخيراً لشيءٍ لم تفهمه تماماً، لكنها تعبت من مقاومته.

قالت بصوت مبحوح، تحاول أن تحبس دمعاً كانت على شفير الانهيار:

«أريد أن أقول لك شيئاً».

انقبض صدره بمجرد أن قالتها، فقد عرف أن ما سيأتي بعدها سيغيّر كلّ شيء، رغم أن كلّ ما تمناه منها يوماً هو بتلة صغيرة من حياتها، إلا أنه ارتعش عند فكرة حصوله على شيء منها أخيراً.

لكن روحه آمنت أنها ما إن تفتح الباب له، فسيدخل بلا تردد، مهما حملت الضفة المقابلة من مصير.

أوماً بلا أسئلة، ولما رأت موافقته، سحبته معها خارج المملكة، إلى



مكانٍ لا يُفترض به أن يخطو فيه، ولا هو أراد يومًا أن يأتي إليه، ومع ذلك، تبعها وقلبه يسبق خطاه.

استقبلته رائحة الأرض الرطبة أولاً، نقية على نحوٍ يكاد يغسل روحه المنهكة، ثم وصله حفيف الأوراق الرقيق الذي صنع نغمًا هادئًا، ينساب برفقة خرير الماء الذي لم يأت من مصدر واحد.

رفع عينيه إلى أجمل بحيرات رأتها عيناه.. بحيرات الجوزيل.

صفاء مائها أقرب إلى الوهم، يتلألأ تحت ضوء الشمس، المتسلل بخجل من بين أغصان الأشجار الكثيفة، وفي قاعها، كانت الأعشاب الخضراء الزاهية تنمو كأنها بساطٌ طبيعيٌّ حيٌّ.

هدوء مدهش لا يُكسر إلا بزقزة طائر من بعيد، أو انحناء غصنٍ فوق سطح الماء، ليلامسه بحنان عابر، ثم يرتد إلى مكانه كأن شيئًا لم يكن.

بدت الأشجار المحيطة بالمكان كحراسٍ وُلدوا فيه، لا ينامون ولا يشيخون، أغصانهم تنسج فوق الماء لوحاتٍ من الضوء والظل، فتتبدل رسوماتها كل لحظة.



فما تراكمت الصخور عند الضفة، مغطاة بطحالب خضراء
ونباتات ضئيلة، تُضفي على البقعة رهبة العراقة، كأنها خلقت لتُنسى،
ثم تُكتشف من جديد حين يحين موعدها.

مكان حُفظ كما هو منذ قرون، بعيدًا عن الضجيج، بعيدًا عن
المخلوقات، وبعيدًا عن كل ما هو مؤلم.

لكن انبهار وارويك لم يدم أكثر من لحظة، فما إن وقعت عيناه على
تريشا الواقفة بينه وبين البحيرة الكبرى حتى انطفأ كل شيء آخر.

كانت تقف على هامش انهيار قريب، جسدها يرتعش ارتعاشًا
خفيفًا لا تستطيع السيطرة عليه، ويدها لا تكفان عن فرك بعضهما
بعضًا.

كانت عيناه مغرورتين بدموع جديدة، ورأسها يلتفت كل ثانيتين
تقريبًا نحو البحيرة، وكأنها ستلتهمها إن لم تأخذ حذرًا.

أطبقت شفتيها، ثم فتحتهما، ثم عادت وأطبقت عليهما، صوتها
يأبى الخروج، أو الكلمات التي تُصرُّ على قولها أكبر من أن تتحملها
حنجرتها.



أما الرابطة.. فكانت هائجة بمشاعرهما، لا تفرق بينهما، ولا تمنح أحدهما رحمة الانفصال عن الآخر.

ورغم حزنه وألمه، فإن ما يفيض منها في تلك اللحظة كان أعمق وأكثر تحبُّطًا: ذنب، خوف، ندم، توتر، وكراهية.. لا لأحد سوى نفسها.

ولأول مرة، لم تبد كجنيةٍ عاشت عقودًا طويلة، واكتسبت من السنين ما يكفي من الصلابة، بل كفتاةٍ صغيرة، مرعوبة من شيءٍ أكبر منها بكثير، شيءٍ تعرف أنه قادم منها آخرته.

تقدم خطوة، وامتدت يده نحوها دون وعي منه، لا يعرف ما عليه فعله، ولكن جسده سبق عقله إلى الرغبة في إنقاذها.

«تريشا..»

لكنه لم يكذب يكمل حتى اندفعت الكلمات من فمها مرتجفة ومتعثرة:

«عليّ.. عليّ إخبارك بشيء.. شيء مهم».

التفتت نحو البحيرة مجددًا ثم عادت إليه بسرعة، لا تملك وقتًا كافيًا



لتوزع خوفها بينهما:

«يجب.. يجب أن تعرف الحقيقة قبل.. قبل أن تقرر...».

انعقد حاجباه، وقال حائراً:

«أقرر؟».

أبقت نظراتها المكسورة معلقة في عينيه لثانية، ثم انسابت دموعها على وجنتيها، وارتفعت على شفتيها ابتسامةٌ حزينة ومنهكة:

«تقرر.. إن كنت تريد إبقائي في حياتك.. بعد أن تعرف الحقيقة».

اضطربت أنفاسه، دون أن يفهم تمامًا ما الذي ضرب صدره أولاً:
أهي الرابطة مختلة التوازن التي تغرقه بقلقها، أم خوفه من الحقيقة التي
ظلت تؤجلها، أم صورتها المحطمة أمامه وهي تبدو كمن يسير إلى
حتفه بإرادته؟

تحدث بصوت متهدج، وكلماتها تنكسر بين شهقة وأخرى:

«أنا.. أنا من.. كنت...».



ابتلعت ريقها وأغلقت عينيها لحظة، تجمع شتات شجاعته من
أماكن بعيدة، ثم قالت أخيراً دفعةً واحدة، لتنتهي الأمر بسرعة، علّه
يكون أقل ألماً:

«أنا قائدة الانقلاب ضد الملك الراحل.. أنا من قادت التنظيم
وسهلت تنفيذه، وأنا..».

ثم توقفت.. لأنها رأت الصدمة في ملامحه، وكأنها تعكس لها كلمة
سمعتها آلاف المرات:

خائنة.. خائنة.. خائنة.

رأتها في ذهنها قبل أن تراها في عينيه، رأت خيبتها القديمة كلها
مجتمعة أمامها، ورأت مستقبلاً كانت تحشاه ينفث فجأة على مصراعيه:
ازدراءه، نفوره، انقلاب نظرتة نحوها، تلك النظرة التي تفحص
الإنسان من رأسه إلى أخمص قدميه كأنه غريب لا يُعرف.

للمحظة، ظنت أنها ترى ذلك كله على وجهه، لكن الحقيقة كانت
شيئاً آخر تماماً، فلم ينظر لها باشمزاز، بل بشفقةٍ لحالها.



انزلقت عيناه على جسدها سريعاً، يبحث عن أي أثر تركه الملك
الراحل، فلا يمكن أن يخرج من تحت يده انقلابٌ كهذا دون أن يسبقه
تعذيب وإذلال، وكسرٌ طويل.

فتش بعينه عن ندوب، عن بقايا قسوته، عن السبب الذي قد
يدفعها إلى ذلك الفعل العظيم، ولم يجد جواباً جاهزاً، لكن يقينه بأن
هناك جواباً مقنعاً لم يهتز.

فتحت فمها من جديد، تريد إكمال اعترافها، أن تضع الخنجر كله
بين يديه قبل أن تتراجع:

«أنا من...».

لكن شيئاً ما حدث وأوقف الكلمات في حلقها، اتسعت عينها
فجأة، ثم أغلقتها بإحكام، وتوترت عضلاتها كلها، شددت قبضتها
إلى جانبيها كما لو كانت تنتظر ضربة سوط خفي، وانفلتت شهقاتها
متقطعة وخافتة.

حرق بها وارويك بنظرات تائهة، ثم لاحظ اهتزاز سطح البحيرة



خلفها، دوائر صغيرة متتابعة أخذت تتسع، كما لو أن البحيرة تتنفس
وتتحرك، ومن أعماقها ارتفعت الظلال.

شقت كتلةً داكنةً صفاء الماء ببطء مهيب، جعلت الضوء حولها
ينكسر ويرتد، رافضاً أن يلامسها مباشرة، وهمست الريح بين
الأشجار، ثم انقطعت أصوات الطيور، وكلُّ ما في البقعة توقف
ليشاهد.

ظهر الرأس أولاً، شعرٌ كثيف، حالك السواد، ينساب فوق الوجه
والكتفين كستارٍ ليليٍّ لا يمسه البلل، ثم بدت الملامح، جبهة مرفوعة،
وعينان مغمضتان، كما لو أنها تصغي إلى شيءٍ لا تصل إليه حواس
الآخرين.

وما إن خرجت بالكامل من الماء، حتى خيم صمت جاثم.

كانت تقف فوق سطح البحيرة دون أن تغوص، ودون أن يبتل لها
طرف، كأن الماء غير خصائصه، فحضورها وحده كان كافياً ليجعل
قوانين المكان أقلَّ يقيناً مما بدت عليه قبل لحظات.

كان قوامها ممسوقاً ومشدوداً كوترٍ قوس، ولباسها ليس فستاناً ولا
حريراً، بل درع مقاتلةٍ يحتضن جسدها بعناية صارمة، أسود كالعتمة،



منسوج بخيوط غريبة تلتقط الضوء وترده كالفضة الباردة تحت أشعة الشمس.

كتفاها مكشوفتان، وفي خصرها سيفان متقاطعان، ينبض معدنها بخيوط خضراء دقيقة، وعلى جبينها وشم قديم بلون الفحم، يتوهج بين الحين والآخر.

وبعد أن استقر الماء تحتها وعاد إلى هدوئه، فتحت عينيها التي لم تكن مجرد عينين، بل مجرتين يكسوهما سواد لا يشبه ظلمة الليل، بل ما أتى قبله، شيء أبعد وأقدم، عمق يربك الناظر، حتى أن النظرة التي أطلقتها لم تكن حادة، ومع ذلك أرسلت الخوف سريعاً ومباغتاً.

شعر وارويك في تلك اللحظة بقوته تنكمش داخل ذاتها في احترام غريزي، كما تنكمش الفرائس أمام ما تعرف بالفطرة أنه أكبر من أن يُختبر.

تفاوت شاسع في القوى لا يستطيع إنكاره، قوتان من عالمين مختلفين تمامًا، فعرف من دون برهان، أن الفارق بينه وبين هذه المرأة ليس من النوع الذي يُقاس بالمقارنات المألوفة.



لم تكن قوتها من ذلك النوع الذي يزأر ليعلم بوجوده، بل من النوع الذي تدرك حضوره قبل وصوله، يتغلغل في العظام، ويقنعك بصمت تام أن هذا الكيان، إن أراد، استطاع التحكم بكل شيء فيك، وكسر كل شيء حولك من غير أن يرفع إصبع.

ومع كل ذلك، كان في وقفاتها هدوء واثق إلى حد التوتر، فتأكد أن هذه المرأة لن تسير إلى الحرب أبداً، بل الحرب هي التي ستبعتها أينما حلت، وأنها إحدى الملكات الثلاث.

كان قد قابل كثيرين من الجن، وواجه وجوهاً ومراتب شتى، لكنه لم يقف يوماً أمام حضور كهذا، حضور لا يحتاج أن يعلن عن نفسه ليهيمن على المكان، ولا يحتاج إلى التهديد ليفهم ما الذي يمكن أن يحدث إن اختل مزاجه.

وفي ذلك الصمت المشدود، تأكد وارويك أن ما كانت تخبئه تريشا أكبر مما ظن بكثير، وأخطر مما أوحى به.

كما أنت



كانت تريشا لا تزال واقفة في موضعها بين البحيرة ووارويك،
تحاول أن تتابع اعترافها، لكن الكلمات التي خرجت منها لم تكن
صالحة لأن تفهم من أول مرة:

«لم أرد أن.. لم أذهب لأ.. لم يكن..».

كانت تبكي وتتكلم معًا، وفي كل مرة تحاول أن تلتقط طرف
الجملة، يفلت منها شيء في منتصفها، فتتكرر عباراتها تحت وطأة ما
اختزنه في صدرها لسنوات.

«رأيت شيئًا.. ما كان ينبغي لأحد أن يراه.. لذلك..».

ابتلعت شهقة، وضغطت أصابعها في بعضها بعنف حتى بهتت
مفاصلها، ثم أغمضت عينيها لحظة، لتمنح الكلمات صوتًا مفهومًا:

«الملك.. لقد كان.. وحشًا، كلّفني بمهمة.. ليقتلني بعد تنفيذها».

انحنى قليلًا حين خانها صوتها، كانت تبكي كمن تحرر أخيرًا،
كمن أدرك أن ما أخفاه طويلًا قد خرج إلى النور، وأنه لم يعد يملك
بعده سوى الحقيقة، مهما كانت بشعة، ومهما التهمت من صورته أمام
من يجب.



لم يعرف وارويك إن كان عليه أن يقترب أم يتريث، كانت الرابطة بينهما مضطربة إلى حدٍّ لم تعد معه الحدود واضحة، حزن يفيض، وخوف يرتطم، وشيء من ذنب عتيق يتسرب إلى الروح، حتى خيَّل إليه للحظة أن البكاء في عينيها لا تعيشه هي وحدها، وأنه لو رفع أصابعه إلى وجنته لوجدها مبللة.

ومع كلِّ ذلك، كان في طرف وعيه شيء آخر لا يستطيع أن يسهو عنه، ألا وهو حضور الملكة الصامتة فوق الماء.

لم تكن تنظر إليه مباشرة، ولكنه كان يشعر بأنها تدرك كلَّ حركة تصدر منه، كلَّ شدِّ طفيف في كتفيه، وكلَّ مرة ينزلق فيها بصره من تريشا إليها.

لم تفتح فمها، ولم تتدخل، لكن حضورها وحده جعل المكان محتشداً بسلطة معلنة خانقة.

رفع وارويك عينيه إليها مرة أخرى، ثم أعادها إلى تريشا التي كانت لا تزال تصارع الكلمات وحدها، فتقدَّم خطوة بطيئة، كان هناك شيء في الهواء حوله يطالبه بالحذر، لكنه لم يستطع أن يقف بعيداً وهي بهذه الحال.



شعرت تريشا بحركته، فرفعت عينيها المبللتين إليه، تتلوى في ارتباك معذب بين رغبتها في أن تقول كل شيء، وخوفها من أن ينكسر كل ما بينهما لحظة الاعتراف.

حاولت أن تتناسك، ومسحت دموعها بكف مرتجفة، لكنها ما إن فتحت فمها من جديد حتى عاد صوتها متقطعاً ومتشابكاً مع أنفاسها، عقلها يريد أن يسرع إلى الخلاص، بينما قلبها يجرُّ كل حرف:

«كنت في.. المملكة وقتها.. بعد ال..حرب..».

نظرت إلى الماء خلفها دون أن تقابل عيني الملكة، تقيس المسافة التي تفصل حاضرها عن تلك الأيام، وتحاول استدعاء الحدث الأول، من حيث بدأت نهايتها، ثم تابعت:

«كنت أعاقب بسبب.. بسبب تدخلتي في حرب كيارا، لم يكن يُسمح لي بالعمل، لكنه..».

شدت على آخر الكلمة حتى ابيضَّ طرفا شفثيها، ثم رفعت بصرها إلى وارويك، تطلب منه الصبر قبل الرحمة، رقق نظراته إليها،



ثم اقترب منها خطوة أخرى، وعيناه تتنقلان بينها وبين الملكة، فيما أكملت:

«لكن الملك.. أمرني أن أذهب هناك..».

توقفت لتستجمع أنفاسها، فعقد وارويك حاجبيه سائلًا:
«إلى الملكة؟».

هزت رأسها نفيًا، لكن الملكة هي التي أجابته متحدثة للمرة الأولى،
قالت بصوتٍ غير مرتفع، لكنه بلغ مسامعه بوضوح:
«إليَّ».

ثم سكنت كما لو أنها لم تكن بحاجة إلى أكثر من كلمة لتعيد ترتيب
الصورة له، التفت وارويك نحوها تلقائيًا، وازداد توتر انتباهه، لم يكن
في نبرتها تعمدٌ لإثبات الهيبة، لكن صوتها وحده أشعره بأنه يصغي إلى
شيء يجب التوقف عنده للحظة.

تابعت تريشا وقد منحها صوت الملكة أول خيطٍ واضحٍ تتبعه،
ومع ذلك، خرجت زفرائها مرتجفة مجددًا:



«كان الملك يعلم أنها على وشك أن تنفصل من شدة العذاب..
أرادني أن أعالج روحها لأنها كانت تتصدع.. من كثرة ما فعله بها».

تغيّر شيء في وجه وارويك، وتصلب جسده بذلك الهدوء الذي
يسبق الغضب، نظر إلى المرأة بإدراكه الجديد، ولم تبد له لوهلة كملكة،
بل كابنةٍ لملكٍ كان قادرًا على هذا المقدار من الفطاعة.

ثم عاد إلى تريشا باحتدام مروّض:

«ماذا كان يفعل؟».

لم تجبه فورًا، وانزلت عيناها إلى الماء ثانية، تنتظر اعتراضًا لم يأت،
ثم أجابته:

«أشياء تجعل الموت يبدو آمنًا».

أخذت نفسًا عميقًا، لكنه لم يبق فيها طويلاً:

«حين رأيتهما.. عرفت الحقيقة كلها دفعة واحدة، عرفت أنه لم
يكن ملكًا قاسيًا وحسب، بل كان وحشًا، وعرفت أنني مهما فعلت،
فلن أبقى سوى روح ناعمة بلا قيمة في نظره، لأنني ما إن أنتهي من
علاجها..».



«فمن رأى الحقيقة لا يُترك حيًّا لروبيها».

تحرك وارويك خطوة أخرى، حتى صار قريبًا بما يكفي ليلحظ ارتجاف كتفيها مع كلِّ نفس، وهو يسترق النظرات إلى الملكة، لكنها كانت ساكنة، كأن ما يُقال لا يعنيها، إلا أن صمتها نفسه لم يكن حيادًا بقدر ما كان مراقبة واعية لكلِّ تفصييلة.

تابعت تريشا بسرعة، تخشى أن ينقطع تدفقها:

«ومع ذلك.. لم أرِد أن أكون جزءًا من حربٍ أخرى، ولا من دمٍ آخر، ولا من عرشٍ آخر يتقاتل الناس حوله».

رفعت عينيها إليه بئأس قديم:

«كنت أريد النجاة فقط.. فقط النجاة».

هبط بصرها إلى الجهة اليسرى في حركة خاطفة تدل على أنها تقصد الملكة دون أن تلتفت إليها مباشرة:



«قالت لي إنني سأموت حتماً إن لم أتصرف، قالت لي أن.. أمهد لها الطريق فقط، وأنها ستخلص منه بنفسها».

هنا تكلمت الملكة مرة أخرى:

«ولم تكن إلا الحقيقة».

التفت إليها وارويك وقد أثار سكونها فيه الريبة، لم تكن تنظر إليه، لكنه شعر للمرة الثانية، أنها تراه بوضوح، وأن صمتها اختيار محسوب، فتساءل إن كانت تنتظر زلة اللسان من تريشا حتى تقرر مصيرها.

اقترب خطوة صغيرة أخرى قبل أن يتشكل السؤال على لسانه، فيما عادت تريشا تتكلم:

«لم أُرِد أن أفتح باباً لا أعرف إلى أين يفضي، ولكن..».

أغلقت عينيها، وشدَّت على نفسها:

«لكنني لم أُنح فرصة عادلة للحياة، فكيف أُقتل بسبب طاعتي؟!».

ثم فتحت عينيها الدامعتين بنظرة قاسية، نظرة من يعرف فداحة ما



فعل، ويكره في الوقت نفسه الطريق الذي أوصله إليه:

«سجلت المداخل التي أعرفها، والممرات التي رأيته، والحراسة
وتبدل مواقعها، وصرت الثغرة التي لم يتوقعها الملك، فمن يظن أن
روحاً ناعمة ستجرؤ على التمرد؟».

تبدلت تعابيرها بعدها إلى حيرة:

«لكن الانقلاب حدث أبكر من الموعد المتفق عليه، وحين
وصلت.. كان الملك..».

توقفت قليلاً قبل أن تكمل بصوتٍ خافت، ظهر فيه تأنيبها الداخلي
بوضوح:

«قد مات..».

التقط وارويك التفاصيل من بين أنفاسها المكسورة، لكن الصورة
لم تتضح كاملة، فسأل:

«وما الذي حصل بعد ذلك؟».



انتقلت نظراتها إلى نقطة ما خلفه، وعيناها تمشيان في ذاكرتها نحو شيء لم تعد ترغب في رؤيته، ثم أجابت بشرود مرعوب:

«الدماء.. جميع الممرات التي نقلتها، والمداخل التي سجلتها.. كلها كانت..».

ارتجفت شفاتها:

«مغطاة بالدماء والجثث».

سكتت بطريقة أكثر فتكاً من البكاء، فاقترب وارويك أكثر، وفي كل مرة كانت عينه تذهب إلى الملكة، كان شكُّها يزداد.

بدا له أن وجودها هنا جزء مهم من الاعتراف نفسه، ودورها الآن أكثر من مجرد شريكة في الحدث، ثم سأل تريشا، بصوت خرج خفيضاً لكنه صار أكثر خشونة مما بدأ به:

«بعد ذلك؟ ما الذي حدث؟».

هزت رأسها لتعكس له قلة حيلتها في ذلك اليوم المشؤوم:

«لم يبق لي حينئذ إلا الركض، فركضت إليها».



رفعت يدها إلى صدرها عندما ضربها الخوف مع صورة الملك
الساقط:

«كنت أريد أن أعرف إن كانت حية.. وحين رأيته مغطاة بالدماء،
لم أتمالك نفسي، تجاوزت حدودي و.. احتضنتها».

تهدج صوتها:

«وهذا ما رآه الشعب».

أنزلت نظراتها إلى يديها متممة:

«خائنة..».

ثم صمتت لثوانٍ طويلة لم يُسمع فيها سوى أنفاسها، وكان
وارويك قد فهم الصورة أخيراً، فهم كيف تُصنع الحقيقة العامة من
لقطة واحدة، كيف يتحول مشهد خاطف إلى قفص لا يكفي العمر
كله للخروج منه.

تقدم خطوة أخيرة، وهذه المرة صارت تريشا في مجال يده، فمد
ذراعه إليها وسحبها برفق حتى وقفت إلى جواره، ثم جعل غالبية
جسده تسترهما عن الملكة.



خرجت منه الحركة قبل أن يفكر فيها كاملة، نبعت من خوف خالص على رفيقته، فرغم كل ما سمعه، فإنه ظلّ يتوقع أن يتحول هذا الاعتراف إلى محاكمة، وأن إدانة الملكة ستأتي في النهاية.

لكن الملكة ابتسمت، اتسعت شفتاها في ابتسامة جانبية سريعة حين رأت فعلته، ابتسامة خاطفة لا يمكن قراءتها كاملة، لكنها حملت شيئاً بين الإدراك والقبول.

أما تريشا، فلم تقاوم يده، كانت منهارة إلى حدٍّ جعلها تذهب حيث وضعها، فمجاورة جسده في تلك اللحظة أرحم من الوقوف وحدها أمام الحقيقة التي خرجت أخيراً.

كانت على وشك أن تتابع جلد نفسها، ولكن وارويك شعر بذلك قبل أن تنطق، فسبقها بسؤاله، صاراً على أسنانه:
«ما الذي فعله الملك لك؟».

نظرت إليه بعدم فهم للحظة، ثم أدركت أنه يلوم الملك، وأن ذهنه ذهب مباشرة إلى ما سبق الانقلاب، ولم يقف عند الانقلاب أساساً.



قالت بصوتٍ هامسٍ، وقد لسعها إذلال الإجابة:

«فعل الكثير».

ثم أضافت وقد انخفضت عينها:

«لكنني لم أكن الحالة الأسوأ».

هزّ رأسه وكأن تلك الحقيقة لا تغير شيئاً، وكان وجود من كانت حالتهم أسوأ لا ينزع القسوة عما وقع عليها، ولا يجعل ما لاقته أكثر رحمةً.

ظلّ ينظر إليها، بينما أخذت الحكاية التي سمعها لتوه تعيد تشكيل كل ما ظنه عنها، حتى حسم ما لم تحسمه هي في نفسها، ووضع الحقيقة أمامها كما يراها من زاويته قائلاً:

«لستِ قائدة الانقلاب الحقيقية، وإن كنتِ كذلك فانقلابكِ مبرّر للغاية».

حمل صوته طيفاً من الحنق، حنق جديد موجه إلى شيء آخر، إلى نظامٍ كاملٍ أكل حقوق هذه الجنية، أكمل وعيناه لا تزالان عليها:



«وجميع من يلقون باللوم عليك؛ يفعلون ذلك لأنك الهدف الأسهل، لا الهدف الفعلي».

رفعت رأسها نحوه بسرعة، كانت لا تزال باكية، ولا تزال أنفاسها غير منتظمة، لكن الاعتراض اندفع منها بلا رحمة تجاه نفسها:
«لكنني شاركت بالفعل».

ثم شددت أكثر، تمنع عنه أي احتمال لتبرئتها:

«كنت السبب في نجاح ال...».

جاء صوت الملكة هادئاً، يقطع عليها جلد ذاتها بحزم ناعم:

«كلامه صحيح».

بدأ الماء بالتحرك تحت قدميها لينقلها إلى اليابسة وهي تضيف:

«لست السبب، لكن ماجيسيا كانت بحاجة إلى خائنة لتلعنها».

نقلت عينيها السوداوين من تريشا إلى وارويك، وهي تخطو على

الأرض:



«ولا يمكن أن تكون الملكة هي المذنبه، لذلك وقع اللوم عليكِ...».

ارتفع حاجباها بطريقة خاطفة، وتسلسل شيء من التهكم الطفيف إلى نبرتها:

«مع أنهم لم يريدوا الملك أصلاً».

كانت تقول أقل ما يلزم، لكن كل كلمة تخرج منها تحمل ظل حياة كاملة خلفها، وتترك ما بعدها يتمدد في الهواء من تلقاء نفسه.

ابتلعت تريشا أنفاسها، واهتز صدرها وهي تحاول أن تستعيد سيطرتها على هذا الفيض من الذكريات والمشاعر معاً.

مسحت دموعها بتماسك مزيف أمام الملكة، رغم أن صوتها المهتز فضحها:

«لا بأس، كنت أعلم أن انخراطي في الانقلاب سيقود إلى نتيجة لا تنصفني...».

ثم أكملت تواسي الملكة في أمر لم يفهمه وارويك:

«وهذا الأمر غير مهم.. ما يهم هو أنكِ تمكنتِ من...».



فقاطعها بانفعال:

«بل مهم! إن كان يؤذيك فهو مهم!».

خرجت الكلمات أسرع مما يسمح به اتزانها المعتاد، لكنه لم يستطع البقاء ساكنًا وهي تقلص ألمها لتخفف عبء غيرها بتلك الطريقة.

توقفت ونظرت إليه فاعرة الفاه، فتابع وقد بدأ الغضب في صوته يمتزج بشيء من الازدراء لما تفعله بذاتها:

«توقفي عن استصغار أملك يا تريشا، هل تظنين أن معاناتك الصامتة مقياس لقوتك؟!».

ارتجفت شفتاها أمام صفعات الحقيقة، ولكنها مع ذلك، لم تكن قادرة على التخلي عن عدوها الأقدم بهذه السهولة، فقامت تبرر بسرعة، وتدافع عن شيء تعرف أنه يؤذيها، لكنها لا تعرف نفسها خارجه:

«لكنني حقًا مُلامة، فأنا...».

تابعت أعذارها التي لم يقتنع بها منذ البداية، وفهم حينها أن



تصحیح نظرتها عن نفسها لن يكون أمراً يتم في هذه اللحظة، ولا حتى في هذا اليوم.

عرف أنه أمام بناءٍ كاملٍ من الأحكام، وُضع حجرٌ فوق حجر حتى صار بيتها الوحيد، وأن اقتلاعه لن يبدأ بإقناعها بأنها بريئة، بل بإفهامها أن ما تعيشه ليس حقيقةً مقدسة، وإنما صورةٌ تشكلت في داخلها حتى لبست ملامحها.

استدار عنها بكامل جسده، وواجه الملكة مباشرة هذه المرة، وقد تجمعت في نبرته كلُّ مشاعره الحانقة، وسألها بحدة:

«وأنتِ؟ ماذا فعلتِ بعد أن نفذت مطالبك؟».

أضاف وذراعه تعبران بتلويحاتها عن دمه الفائز:

«والملكات اللاتي اعتلين العرش دون تردد، ماذا فعلن؟».

شدَّت تريشا على قميصه بخفة، في تحذير لا شعوري منها، فقد خافت أن ترى الملكة في انفعاله تجاوزاً للحدود.

رغم أنها عرفتها وتعاطفت معها، بل وتقربت منها أكثر مما فعلت أخواتها، فإن هذا لم يمنحها يقيناً كاملاً بما يمكن أن تفعله لو أهينت.



شعر وارويك بلمستها، ونقل بصره إليها سريعًا، فرأى في وجهها ذلك القلق الصادق، قلقًا لا يخصُّها ولا تمنحه لنفسها أبدًا.

لكن اللحظة لم تدم، لأن الملكة أجابته بنفس نبرتها الموزونة:

«منعتُ الملكة الأولى تريشا من استخدام قوتها داخل المملكة، حتى لا يتهمها أحد بأنها اعتدت عليه ويستغل صورتها المشوهة».

جاء ردُّها باردًا، ما أشعل النيران في قلبه، اتسعت عيناه على مصراعيها وردَّ باستنكارٍ ساخط لم يستطع تمالكه:

«ليستغلوا قيودها ويعتدوا عليها وهم آمنون؟!».

ثم هبطت الحقيقة فوق صدره كالحجر، ثقيلة وصادمة، نظر إلى تريشا وقد أخذت الأسئلة في ذهنه تجد أجوبتها، الخوف المتواصل، الحذر الذي ظنه طبعًا فيها، الألم الذي كانت تخفيه ببراعةٍ تنمُّ عن الاعتياد، الكدمات البشعة التي لم تجد من يعالجها، الانكماش الذي كان يتسلل إلى كتفيها عند بعض الأصوات، وذاك التردد الغريزي كلما أرادت أن تثق أو تقترب.



فأدرك.. أن سؤاله كان واقعها بالفعل، وأن المشكلة كانت أعمق
من ذلك بكثير، فقد تشكلت قيمتها من كل ما جرى لها، من كل يد
امتدت لتؤذيها وهي عاجزة عن الدفاع، من كل نظرة ألصقت فيها
الخيانة، حتى صارت الكلمة تسكن في داخلها أكثر مما تسكن في
أفواههم.

فهم حينها لماذا بدت مذنبه حتى وهي تروي ظلمها بنفسها، ولماذا
كانت الكلمة الأسهل على لسانها دائماً:

أنا..

أنا الملامة..

أنا السبب..

أنا التي فعلت..

كانت ترى نفسها وتبني قيمتها من عين من آذوها، لا من عين
الحقيقة.

تجنبت نظراته التي رأت عبرها، فارتفعت يده إليها، وبيطء شديد



استقرت عند كتفها، لم يرد أن يفزعها، لذا كانت لمستها خفيفة، ولم تشبه
أبدًا قلبه الذي ثقل مع كل حقيقة انكشفت عنها.

كان حزينًا عليها على نحوٍ أعمق من أن تصفه الكلمات، تخيل
في ذهنه بيتها الذي لم يطأه قط، وتخيلها داخله وحيدة، منغلقة لزمن
طويل، تعود كل يوم إلى نفسها، ولا تجد إلا الصمت ليرد عليها، حتى
أقنعتها الوحدة أنها تستحق كل ما حصل.

خاطبها هامسًا من موضع قريب من قلبه:

«تريشا...».

لكنه لم يجد الكلمات، فجاء صوت الملكة بعده:

«لهذا تركنا لها بعض المساحات، وسُمح لها بأشياء لا تُمنح لغيرها،
مثل التدخل في الشؤون الخارجية، والحركة خارج المملكة بحرية...».

عاد نظرها إلى وارويك، وحملت عيناها نظرة ذات معنى واضح:

«ولذلك تُركت لتساعدك، لكنها ظلت تعود إلى ماجيسيا بإرادتها..

رغم الرابطة...».



التقط وارويك مقصدها فوراً، لم يكن الأمر معروفاً لعامة الجن، ولا مطروحات هذه الصراحة بين أهل المملكة، لكن الملكات.. أو بعضهن على الأقل، لم يعتبرنها خائنة بالصورة التي ألصقها بها الشعب.

بل وترك لها منافذ تبقىها قادرة على التنفس، وعلى أن تكون نافعة في مكان آخر، أردنها على نحوٍ ما، أن تخرج، أن تجد لنفسها ملجأً يتجاوز هذه الأرض التي لم تعد رحيمةً بها.

لكنَّ الرفض لم يأت من الشعب أو من العرش الملكي، بل من تريشا نفسها.

التفت نحوها فوجد أنها كانت تنظر إليه كمن ينتظر الحكم رغم كلِّ ما قيل، فلم يكن كشفها لقلبها له اعترافاً وحسب، بل وضعاً لعنقها تحت سيف ما سيقره بعدها.

وكانت تلك النظرة وحدها كافية لتكسر ما تبقى من مقاومته للطفها، فاقترب منها أكثر، وقال بهدوءٍ لم يُخفِ ما فيه من قرار:

«تعالى معي».



عقدت تريشا حاجبيها:

«معلك؟».

ثَبَّتَ عينيه عليها وقال بحماس أكبر، وكأن الفكرة راقت له أكثر
مع كل ثانية:

«اتركي المملكة التي ظلمتك، وتعالِ إلى مملكتي».

اتسعت عيناها، ثم انكمشت ملاحظها بين الدهول والارتباك،
هزت رأسها بخفة، ثم هزته بقوة أكبر:

«لا.. لا يمكنك أن..».

قاطعها برفق لم يُضعف حسمه:

«بل يمكنني».

أخذت نفساً مضطرباً، ثم قالت بسرعة، تضع أمامه كل أسباب
الرفض قبل أن يقترب أكثر:

«لكنني خنت مملكتي، كيف تثق بي؟».



هزَّ رأسه وجاءت إجابته فورية وبلا تردد، فلم يرَ في السؤال
موضعًا للنقاش أصلًا:

«لا يهمني».

ازداد ارتباكها وقد بدأت كلُّ عُقدتها القديمة تتجمع في اللحظة
نفسها، وتابعت باعتراضات متتابة:

«لكنني روح ناعمة.. بلا أصل أو اسم، ولا أنسب إلى عرقٍ ملكي
عريقٍ مثلك!».

زفر ضحكة مكتومة قصيرة، ثم قاطعها بيقينٍ صادم:
«أريدك يا تريشا».

ثم اقترب منها بما يكفي ليهبط صوته إلى موضعٍ أدفأ:
«أريدك.. كما أنت».

سقطت الكلمات في داخلها كما يسقط شيء على ماء راكد، فيوقظ
طبقاته كلها دفعة واحدة، تجمعت كلُّ مخاوفها ونواقصها، ولم تجد
مبررًا منطقيًا واحدًا لليقين الذي يقف به أمامها.



لم تستطع أن تصدق بسهولة أن أحدًا يرى كلَّ ما تراه هي في نفسها،
ثم يبقى على هذه الحال من الرغبة الواضحة فيها.

طال الصمت حتى عزف الخوف لحنه بينهما مجددًا، خاف أن ترفضه
مرة أخرى، وخافت هي أن يستيقظ في أحد الأيام ليرى الحقيقة كما
تراها هي.

راقبتهم الملكة من مكانها وكأنها تسمع اللحن الخفي بينهما، فعادت
عينها إلى سطح البحيرة وهي تتمتم بهدوء كما لو أنها تردد لنفسها
حكمة قديمة:

«العائلة الحقيقية ليست دمًا أو أرضًا خلقنا منها، بل تلك التي
تختارنا في انكسارنا.. رغم تشوُّهنا وخوفنا، رغم نقصنا».

ثم سكنت وتنهدت بعمق، فبات واضحًا أنها تعرف معنى ما تقول
من مكانٍ لا يخص تريشا وحدها.

عاد الصمت بعدها بين الثلاثة، لكنه لم يعد الصمت الذي يلحق
الخوف، بل الصمت الذي يتبع الحقيقة حين تنكشف، ويبقى الجميع
واقفين أمامها، لا يعرفون بعد كيف يعيدون ترتيب ما بعدها.



بدأت يد تريشا ترتجف من جديد، فانتبه وارويك ومد أصابعه إلى
ظهر كفها، ولامسه لمسة صغيرة تقول:

(أنا هنا...).

رفعت عينيها إليه، وفيهما ذلك الضعف الذي لم تعد تحاول ستره،
ذلك التعب الذي صار أخيراً مرئياً لأنها توقفت عن دفنه.

وقالت بصوت يكاد ينهار:

«كنت أرى لحظة اكتشافك للحقيقة في كوابيسي، لكنها لم تنتهِ بهذه
الطريقة أبداً».

ترددت لحظة، ثم تابعت وقد انخفض صوتها أكثر:

«ما زلتُ خائفة، ربما ستدرك المعنى الحقيقي لاختيارك لي لاحقاً،
أو...».

توقفت عن الكلام عندما أزاح خصلات شعرها عن وجهها
بنعومة، لم يقل لها شيئاً، واكتفى بالنظر إليها مطولاً، نظرة امتلأت
بأشياء كثيرة بلغت قلبها مباشرة.



في تلك اللحظة، تحركت الملكة مقتربة منهما، فتأهّب وارويك غريزيًا لأي ردّ فعل، لكنه صدم عندما وجد الملكة تلف ذراعيها حول تريشا، وتضممها إليها.

همّت تريشا أن تبادلهما العناق، لكن الحركة توقفت في منتصفها حين سمعت همسات الملكة في أذنها، قائلة كلماتٍ من لغة غريبة لم تعرفها من قبل.

لم تكن اللغة مألوقة، ولا الأصوات من النوع الذي يمكن تخمين معناه، ومع ذلك فهمت تريشا كلّ كلمة، وهبطت ذراعاها إلى جانبيها هبوطًا وثيدًا، ثم انسابت دموعها صامتة وحارة، لكن عينيها لم تكونا حزيتين هذه المرة، بل حيتين بأمل جديد.

افترقتا بهدوء، وتبادلتا نظرة قصيرة، لكنها تكفي لتغيير ما أتى بعدها، ثم ابتسمت الملكة لها برقّة، وأومأت إيحاءً صغيرة تؤكد بها ما قيل.

عندها التفتت تريشا إلى وارويك، ليرى في عينيها اليقين الجديد، هشًا بعض الشيء، لكنه حيّ على الأقل، تقدمت نحوه، ثم أحاطته



بذراعيها، تجمد وارويك لوهلة من الدهشة، قبل أن ييادها العناق بخفة، يخشى أن تكون اللحظة أخف من أن تصمد إذا شدَّ عليها أكثر من اللازم.

رفع نظره إلى الملكة أمامه، فوجدها تومئ له هو أيضاً، لكن وجهها لم يحمل اللين السابق، كان فيه طلبٌ صامتٌ، ووعدٌ مطلوب، وتحذيرٌ في الوقت نفسه.

تقول بنظراتها وحدها:

(هي في عهدتك الآن).

أوماً لها بقبولٍ، فقالت مخاطبةً صديقتها:

«تريشا؟».

التفتت الجنية إليها، فتابعت بامتنان:

«سأظل مدينةً لك، بقدر تضحيّتك لي».

ثم أخذت خطوة واحدة إلى الخلف، فامتد الماء من خلفها والتف



حولها في حركةٍ مهيبية، سحبها إلى أعماقه كما لو أنه يتلعتها، وأعادها إلى موطنها، وفي لحظةٍ واحدةٍ فقط، عاد السطح إلى سكونه الأول.

ظل المكان هادئًا لثوانٍ قصيرة قبل أن تبدأ أصوات الطيور والحشرات بالعودة تدريجيًا، وكأن الطبيعة استأنفت عملها، فيما وقف وارويك وتريشا معًا يتأملان البحيرة لوقت أطول.

ثم التفت إليها، ومد يده نحوها، فنظرت إليها لبرهة، تفكر في كلِّ ما تعنيه هذه البداية، كلِّ الخوف والتعب، وكلِّ ما لم تُقنع نفسها به بعد.

وفي النهاية، أمسكتها، فأخذها معه أخيرًا، ولكن في الوقت الذي وصلا فيه إلى جناحه، كانت قد بدأت تنهار على مهل؛ انهيارًا هادئًا يتفكك فيه الجسد من الداخل، بينما يظلُّ ظاهره قائمًا بصعوبة.

اقرب منها بقلق واضح فرفعت عينيها إليه، ليرى أنها معزولة ولا جدران تبقّيها محمية، ثم تمتعت معترفةً بما ظلَّت تؤجله كثيرًا:

«أنا متعبة».



شَقَّتْ تلك الكلمة شيئًا في صدره، عرف حينها وهو ينظر إليها في
عتبة هذه الحياة الجديدة، أن الطريق أمامها طويل، وأنها لن تشفى في
ليلة وضحاها، لكنَّه سيبقى ملازمًا لها مهما طال المسار، خطوة وراء
الأخرى.

عبد المسیح



كان الليل قد استقرَّ فوق قصر إيماتيروس بعتمته الهادئة، انسكب ضوء القمر على الشرفات العالية، وتسربت خطوطه الفضية الخافتة بين الممرات، تتقطع بين أعمدة القصر ومشاعل الجدران التي أوشكت نيرانها على أن تندمل.

كان أليكس جالسًا وحده في شرفة جناح كيारा المطلة على المحمية، خمد الصراع الذي كان بداخله بعد حديثه مع آلير، فتقبل الواقع مهما كان مرًا؛ لأنه أرجم من الاستمرار في القتال.

كان جالسًا بجانب طاولة الطعام الصغيرة، ساعده فوق ركبتيه، ويداه متشابكتان أمامه، وعيناه معلقتان في فراغ الليل تارة، وفي الحياة داخل المحمية تارة أخرى.

كان يفكر في القلق الذي خلّفه قتاله مع وارويك على القصر، الجنود صاروا أكثر صمتًا، والخدم أكثر حذرًا، والمرور في الممرات نفسها لم يعد طبيعيًا كما كان يومًا.

سمع من خلفه وقع خطوات عرف صاحبها دون أن يلتفت، خطوات من عرفه رقيقًا في المعارك والاجتماعات، والدروب الطويلة.



جلس وارويك على الكرسي المقابل له بلا مقدمات، وترك بينهما صمتًا جديدًا، لا يشبه جلساتها المعتادة، فلم يكن مريحًا، أو مفعماً بسخرية أو معرفة تكفي عن الكلام، بل كان كشيءٍ ثالثٍ معها، شيء لا يود أيّ منهما تسميته أولاً.

بقي أليكس ينظر إلى الأمام لوهلة، ثم قال دون أن يلتفت:

«أعلم سبب انفعالي وما الذي دفعني إلى تلك الحالة، أعلم ما تراكم داخلي حتى حجب عني المنطق، لكنني...».

توقف قليلاً ليأخذ نفساً بطيئاً، فالكلام نفسه ما زال يسرّ عبر مكان متورم فيه، ثم أدار وجهه إليه أخيراً:

«لكنني شعرت أن غضبك تجاوز أمر تريشا، وأن اللكمات لم تكن بدافع داخلي، بل أتت لي شخصياً».

تحرك شيء خفيف في فكّ وارويك، ارتخاء صغير سبق قول ما تم التفاوض عنه، ظلّ ينظر إلى الليل لحظة، وعاد بذاكرته إلى تلك الليلة داخل الكهف، حين اشتعل جسد أليكس بالنار وهو يضم كيارا إليه.



تذكر شهقات الجميع المرعوبة، قبل أن يختلط ذلك الرعب
بالارتياح، فقد كان يفعل ما عجزت كيara عن فعله لنفسها.. كان
ينقذها.

لكن وارويك لم يشعر بأي من ذلك، ظلَّ يحرق في أليكس بعينين
عالتين بين الصدمة والوجع، وقلبه ينهار بصمت، لأنه كان يعرف
الحقيقة التي لم يلتفت إليها أحد:

أليكس لا يستطيع العودة من الرماد..

ألّت عليه وحدته من جميع الاتجاهات، وشعر أنه ترك أمام الحياة
وحيداً، ولأول مرة، رآها أكبر من أن يواجهها بمفرده.

انتظر أن يرفع صديقه عينيه إليه، أن يودّعه، أن يعتذر لرحيله
بهذه الطريقة، لكنه ظلَّ ينظر إلى كيara وحدها، وفي تلك اللحظة،
شعر وارويك بطعنة الخيانة تُغرس في صدره، فصديقه الوحيد اختار
الذهاب إلى الموت دون أن يلتفت إلى من سيقى خلفه.

انتشل نفسه وعاد إلى الحاضر، ثم أطارق قليلاً، وبدأ بصوت
منخفض، خشن بطريقة خفيفة:



«كنت أعرف أنك لا تستطيع العودة.. في الليلة التي أحرقت فيها نفسك مع كيارا.. كنت أعلم، أنك لن تعود من رمادك».

شحب وجه أليكس على نحوٍ طفيف، فيما تابع وارويك دون أن يرفع عينيه:

«ولذلك.. شعرت أنك خنت العهد الذي بيننا».

حلت كلماته من الصدق ما يكفي ليجعل الهواء أشد كثافة، لم تحمل شيئاً من اللوم أو الاتهام، بل مجرد اعتراف من رجلٍ أمسك هذا الشعور أكثر مما يحتمل.

أردف مبرراً عن أليكس قبل أن يتدخل:

«أنفهم حالة كيارا ليلتها، وأنفهم أنها لم تكن تحتمل التأخير..».

أخذ نفساً قصيراً، ثم أكمل بعدم راحة:

«ولهذا لم أتمكن من التصريح باستثنائي بحرّية، لم يكن الوقت، ولا الظرف، ولا حتى حقك في القرار يسمح لي بأن أقول كيف شعرت حينئذ».



رفع رأسه هذه المرة، ونظر إلى صديقه مباشرة، ثم برر عن نفسه:

«لكنني خسرت والدي في ذلك اليوم أيضاً..».

كان ألم رؤيته لوالده وهو يُعَدُّ أمامه عميقاً للغاية، أو لعل الجراح كانت غائرة في داخله منذ زمن، وكلُّ وجع جديد لم يكن سوى طبقة أخرى فوقها، حتى بات من الصعب عليه أن يفرِّق بين ما يوجعه فعلاً، وبين ما يعيد إليه آلامه القديمة، فيغرق في الاثنين باستسلام.

بهت أليكس دون أن يجد ردّاً مناسباً، فلم يتوقع أن ذلك الظل بقي بداخل صديقه كلَّ هذا الوقت دون أن يعلم، كان يعرف أن وارويك تأذى تلك الليلة، وأن شيئاً فيه انكسر.

لكن أن يكون هو جزءاً من الأسباب، فيبقى الأمر سرّاً، أن يمشي إلى جواره ويلقي بمزاحه، ويقف معه في كلِّ ما تلا تلك الحادثة، وهو يحمل في صدره هذا الشعور بالخيانة وبالفقد في آنٍ واحد.. فهذا ما لم يضعه في حسابه يوماً.

فتح أليكس فمه:

«وارويك..».



خرج اسمه بطيئًا، كأن عليه أن يعبر طبقة الدهول أولاً، ثم سأله
بتعابير لا تزال تائهة:

«لماذا لم تخبرني؟».

ابتسم وارويك ابتسامة صغيرة باهتة:

«لأنك لم تكن في حالٍ يسمح بأن أزيدك شيئًا».

ثم أضاف، وهو يحرك كتفه قليلًا، غير قادر على البقاء ثابتًا:

«ولأنني لم أكن في حالٍ يسمح لي أن أتكلم دون أن أبدو أناثيًا».

ظل أليكس ينظر إليه طويلاً، لم يرد الدفاع عن نفسه، ولم يرغب
في الجدال، بل باغته نوع صعب من الحزن، يأتي حين يكتشف المرء
متأخرًا الألم الذي سببه لمن يحب.

قال أخيرًا بصدق خالص:

«أنا آسف».

لم تكن اعتذارات أليكس كثيرة، لكنها حين تأتي، تكون واضحة



وصريحة، نظر إليه وارويك لحظة، واستقبل الاعتذار بصدر رحب،
مدرِّكاً أن الذكرى ستأخذ وقتها حتى تزول.

لكنه لم يحتمل أن يظل المشهد جدياً لوقت طويل، فزفر وقال بنبرة
عادت إليها ملامح طبعه القديم:

«لا تكثر من النبل الآن، قد أبدأ بالبكاء، وحينها سنحتاج شاهدين
وسبارك ودفترًا لتوثيق الحدث».

انفرج شيء في وجه أليكس أخيراً، ابتسامة خفيفة تلتها هزة رأس،
وقال بيأس من يعرف صاحبه:

«ما زلت عاجزاً عن البقاء في لحظة صادقة كاملة».

أجابه بنبرة دفاعية:

«وهذا من حسن حظنا، وإلا لتحولنا إلى رجلين مثقلين بالمشاعر
في منتصف الليل».

ثم انكمشت ملامحه بشيء من التقرُّز:

«كما أنه مشهد لا يليق بقيادة أقوى الممالك».



خرجت من أليكس ضحكة قصيرة، مبحوحة، ولكنها حقيقية،
فباتت الأجواء أخفَّ بعدها، ثم سكنا قليلاً قبل أن يعود أليكس
ليسأله بتحفظ:

«وتريشا؟».

عرف وارويك من نبرة السؤال أنه لا يسأل بدافع الفضول، بل
بدافع الاطمئنان على صديقه وحسب، فمال إلى الخلف قليلاً، وضم
أصابعه خلف رأسه، ثم أجاب باختصارٍ مقصود:

«سوينا أمورنا».

رفع أليكس حاجبه:

«إجابة مربية».

ضحك وارويك، وتساءل عن ردة فعله إن علم أنه اختطفها في
السابق، ثم تفادى الإجابة بالعبث:

«كم لديك من الوقت؟ لأن التفصيل سيحتاج ليلتين، ثم علاجاً
نفسياً، وربما قوة مسح الذاكرة».



لم يضغط أليكس أكثر، لكنه قال بنبرة أخف:

«إذن، تحسنت العلاقة بينكما».

أطلق وارويك زفرة نصفها تعب ونصفها شيء أقرب إلى الاستسلام

الراضي:

«أجل، ولكن الطريق لا يزال طويلاً أمامنا».

ضحك أليكس عندها، وقال متهاكماً وهو ينظر إلى الأمام:

«أطول من سنوات غياب كيارا؟».

أطلق وارويك تأوُّهاً طويلاً ومبالغاً، ثم التفت إليه باستياء

مصطنع:

«لا تنحس علاقتي بتريشا أكثر مما هي عليه سلفاً».

اتسعت ابتسامة أليكس قليلاً:

«لم أعلم أنك تؤمن بالتطير».

تجههم وارويك وبدأت نبرته تأخذ لمحة من الجدد:

«لا دخل للطيرة بهذا، بدأت علاقتنا قبل ذهاب كيارا أصلاً، ولم

تقبلها ترিশا حتى الليلة الماضية، لذا لا تدخلنا في لعتكم العاطفية».



قال أليكس وهو يشيح بوجهه نحوه، متلذذاً بالفكرة:

«ولكنك قلت إن علاقتهما منحوسة مسبقاً، لذا تشبيهي لن يغير في المعادلة شيئاً».

توقف وارويك عاجزاً عن المعارضة، ثم تنهد من عمقٍ حقيقي هذه المرة، وقال:

«تَبَّ! بهذا المنطق.. أظن أن النحس تابع منّا نحن، ولا دخل لكيارا وتريشا».

سكت أليكس لحظة، ثم قال متفكراً:

«أظنك مصيباً».

نظر إليه وارويك باستغراب، ثم التقت عيونهما، وظلت متلاقية لثانية واحدة فقط قبل أن ينفجر الاثنان ضاحكين.

جاءت الضحكة قصيرة أولاً، ثم اتسعت وتحولت إلى شيء أخف، راحة مؤقتة لرجلين أرهقتها الحياة أكثر مما يليق بهما، فوجد كلٌّ منهما في الآخر المساحة التي لا تحتاج إلى شرح.



ومرّ الوقت بعد ذلك مثل نسيمات الليل، ينساب من حديث إلى آخر، تحدّثنا عن أمورٍ لا تستحق الذكر أصلاً، وعن مواقف قديمة خسر فيها رو رهاناً سخيّاً وما زال ينكر، وعن زي الذي يصرُّ على الجمود كأنه اختراع شخصي، وعن أمبر التي لو أُعطيت نصف ساعة إضافية في التدريب لحوّلت أي شجار عابر إلى مجزرة صغيرة.

لم يكن أيّ من ذلك مهماً في ظاهره، لكن أثره كان ضرورياً لهما.

وحين نهض وارويك أخيراً، كان في وجهه شيء لم يره أليكس عليه منذ سنوات؛ ارتياح حقيقي، وإن كان مؤقتاً، عدل ياقته، ثم قال وهو يتجه إلى الداخل:

«حسنًا، سأذهب إلى شريكتي الآن، تستطيع التمرغ في وحدتك مجدداً».

هز أليكس رأسه، وقال بنبرة فيها بقايا ضحك:

«اخرج من قصري قبل أن أطرّدك».

وضع وارويك يديه في جيبيه وهو يتعدّد، وردّ من غير أن يلتفت، رافعاً صوته قليلاً:

«لا يهم، لدي قصري الخاص».



ثم اختفى من داخل الجناح، بينما بقي أليكس وحده بعد ذلك، يتأمل نجوم الليل لبرهة، لكن الوحدة لم تعد كما كانت قبل قليل، لم تكن خانقة، ولا مكتظةً بذلك الصخب الداخلي الذي كان يلتهمه.

نهض في النهاية ليعود إلى جناحه، وأخذ يمشي بين ممرات القصر كلها ببطء، ليعيد إليه الطمأنينة التي مزقها بيديه.

كان كلما مرَّ بخادمة أو جندي، أبطأ من خطواته قليلاً، وابتسم لهم، في دعوة مباشرة إلى الاقتراب، إلى الارتياح في حضوره، إلى وضع ثقتهم به من جديد.

وكان يرى أثر ذلك مباشرة، فالجنود الذين شدَّهم التوتر في السنوات السابقة، بدأت وجوههم ترتخي قليلاً، والخدم الذين صاروا أكثر خفوتاً في خطواتهم، رفعوا أعينهم إليه بإحساس واضح من الأمان.

كانت المملكة تتنفس من صدر ملكها، وكان يكفي أن يمشي بينهم مستعيداً شيئاً من هدوئه، ليعود بعضُ الاتزان إلى المكان.



رابطۃ المشاعر



في الأسبوع الذي تلا مجيء تريشا إلى ستونهنج، صار الزمن داخل القصر يتحرك بإيقاع مختلف، كانت أكثر حذرًا، تخفف وقع خطواتها لا إراديًا، فلم تكن قد صارت جزءًا طبيعيًا من المكان بعد، ولم تحاول أن تتصرف على هذا الأساس، لكنها لم تعد غريبة عنه كذلك.

في أول ليلتين، نامت في جناح ملكي أعده لها وارويك على عجل، بكل ما يليق بمقام من أراد لها أن تكون بجواره، وبكل ما ظن أنه قد يهبها شعورًا بالأمان والاحترام والراحة، لكنه في صباح اليوم الثالث، أصيب بشيء يشبه الهلع حين اختفت، لم تكن في الفراش، ولا عند النافذة، ولا في الشرفة، ولا حتى في الحمام الملحق بالجناح.

اجتاحه الخوف فورًا، ورسم عقله الاحتمال الأسوأ بأنها غيّرت قرارها ليلاً، وعادت إلى ماجيسيا دون كلمة، دون وداع، ودون أن تمنحه حتى فرصة أخرى ليمنعها أو ليفهم.

ثم وجدها في هذا الجناح، الجناح نفسه الذي كان سجنها أولاً، الذي كان يحرك فيها الغضب والنفور والاختناق معًا، لكنه عندما وجدها فيه، كانت جالسة عند النافذة بسكون.



أخبرته حينها بصراحة أنها تجد صعوبة في النوم في الجناح الملكي،
بينما هذا المكان تغير بالنسبة إليها، صار هادئًا في على نحوٍ لا يفسّر،
يصفّي ذهنها من كل شيء، كأن الجدران التي حبستها يومًا امتصّت
توترها القديم مع قوتها.

لم يعترض وارويك، بل جاءها في اليوم التالي بقائمة كاملة من
الخوايات التي قد ترغب في تجربتها، وسألها أيها تريد، وأي أدوات
تحتاج، وأي نوع من الأشغال قد يريح قلبها إذا انشغلت يدها.

لم يكن يعرف على وجه الدقة ما الذي تحبه، لكنه أراد أن يفتح لها
كل باب، وخلال ساعات قليلة امتلأ الجناح بأشياء كثيرة لم تكن تريشا
نفسها تعرف إن كانت ستستخدمها أم لا.

صناديق ألوان، وأقمشة، وأدوات نحت بسيطة، وكتب فارغة
مهيأة للرسم أو التدوين، وأوانٍ صغيرة للزراعة، وصناديق لحياكة
دقيقة، ومواد لصنع أشياء لم تكن قد تجربتها من قبل.

كان يحاول أن يغمرها بما قد يريحها حتى إن لم تطلبه، لكنها في تلك
الأيام الأولى، لم تستطع الالتفات إلى أكثر ذلك، لأن شيئًا آخر كان قد
وصلها.



كتاب من الملكة، هدية بسيطة كما سمَّتها الرسالة القصيرة المرافقة له، بمناسبة بدايتهما الجديدة، ومنذ أن وقع الكتاب بين يديها، حتى غرقت فيه، فقد كان يتحدث عن الرابطة المقدسة بين الجن.

أخذت تريشا تقرأ كيف تحدث الكتاب عنها، كيف أنه لم يصفها كقانون عاطفي، بل كجزء من جوهرهم وبنائهم الداخلي، جزء من الطريقة التي خلقت بها أرواحهم لتقابل بعضها بصدق لا تنفع معه المواربة.

كان يشرح في طبقات هادئة وعميقة، كيف تختلف هذه الرابطة في حقيقتها عن التي بين بقية المخلوقات، وكيف أن جوهرها يتمثل في الحماية المتبادلة من فساد الحقيقة، حين تنحرف الأهواء.

ولهذا، بقيت تريشا تقرأ، قرأت حتى لم تعد ترفع عينيها عن الصفحات إلا حين يثقل رأسها من النعاس، ثم تعود إليه ما إن تستيقظ.

ولكن الجناح من حولها كان يزداد ازدحامًا بصناديق الهوايات المؤجلة، إلى حد أنها تضطر إلى القفز حتى تتخطى الصناديق لتبلغ فراشها.



وحين لاحظ وارويك أن الفوضى البصرية باتت تضايقها، عرض عليها جناحًا أكبر وأوسع، أكثر قدرة على حمل ما يجيئها من أشياء وما قد تجرب به لاحقًا.

لكنها رفضت، واعترفت له -بقدرٍ غير قليل من الحرج- أنها تعلّقت بهذا المكان تحديدًا، وأن فكرة الانتقال منه لم تعد مريحة لها، فلم يجادلها، بل جهّز جناحًا آخر مجاورًا لها، وخصّصه لكل ما تحب، ولكل ما قد تحبه في المستقبل، وترك هذا الجناح لها كما اختارته.

في صباح أحد الأيام، كان وارويك واقفًا أمام بابها، غارقًا في كل تلك الأفكار، حتى إنه لم ينتبه أنها أجابته منذ اللحظة الأولى التي طرق فيها الباب برفق.

بقي واقفًا على حاله، يده خلف ظهره، وثمرته شيء من التردد المستتر في وقفته، حتى فتحت الباب بنفسها، وظهرت من خلفه.

رفعت عينيها إليه بنظرة متسائلة، رمش وارويك كمن نسي ما جاء لأجله، واستعاد وعيه إلى اللحظة حينها، ثم ابتسم لها ابتسامة خفيفة وقال:

«أردت أن أريك شيئًا».



أومأت:

«حسنًا».

هزَّ رأسه وفي صوته تلك النبرة التي لم تنجح في إخفاء تشوقه:

«في صوبة الفراولة.. وصل شيء جديد، وأريد أن أريك إياه».

كان ينقل وزنه من قدمٍ إلى أخرى، فمِنذ أن وصله طرد أليكس صباح البارحة، لم يتمكن من البقاء ساكنًا للحظة، وقلبه يتسابق مع أفكاره.

ارتفع حاجباها بخفة، وتمكَّن منها الفضول على الفور، وُجدت الصوبة أولًا كفكرةٍ صغيرةٍ من أجلها، ثم كبرت بمرور الوقت وصارت مكانًا يحمل معنىً خاصًا بهما في القصر، فابتسمت لا إراديًا، ثم خرجت من جناحها برفقته.

أخذًا يمشيان بتؤدة عبر الممرات الحجرية التي تتلوى بين الأشجار، كان الهواء لطيفًا، يميل إلى برودة بداية الصباح، والشمس قد أشرقت دون أن تسلط أشعتها بعد.



قالت تريشا لتقطع الصمت:

«أردت أن أخبرك بما فهمته من الكتاب حتى الآن».

أصدر همهمة قصيرة، لكن ذهنه كان مشتتاً لدرجة أنها التفتت إليه، وحدثت به لبرهة عندما التقطت توتره من الرابطة، فراقبته لثانية، ثم قررت أن تتركه مع أفكاره، مرجحة أن الأمر يخص شأنًا من شؤون المملكة لم يُرد الحديث عنه بعد.

وصلا إلى الصوبة، وفتح لهما الجنديان الباب المؤدي إليها، دخلت تريشا أولاً، تتوقع أن ترى صنفاً جديداً من الفاكهة.

ولكن ما إن وقع بصرها على ما في المكان حتى تذكرت مجدداً، أن وارويك بذل جهداً حقيقياً في هذه البقعة من أجلها.

لم يكن مجرد ركنٍ لطيف في قصر، بل عالماً صغيراً مشيداً لها، فيه صفوف الزرع المرتبة، والثمار التي يعرف أنها تحبها، والممرات الضيقة التي تجعل الهواء فيه حميماً.

قالت وهي تتأمل الفاكهة بنظرة ناعمة:

«يقول الكتاب إن الرابطة تكوّنت لتحمي الجن من تلاعبهم بالحقيقة».



تناولت مرشّ الزرع القريب وبدأت ترشّ الماء بخفة على الأوراق
والثمار، فيما تابعت بصوتٍ هادئٍ ينساب مع حركتها:

«بما أننا لا نستطيع الكذب الصريح؛ أصبحنا مع الوقت أمهر في
الالتفاف على المعاني والتلاعب بالكلمات، فكانت الرابطة أداة تكشف
المشاعر الحقيقية للطرفين».

كانت تتكلم وهي تتحرك بين الأحواض، ترش هنا، وتتوقف
هناك، ثم تنظر إلى ثمرة أخرى، أما وارويك فكان يتبعها بتأنٍّ، لأن
التوتر في صدره كان يتصاعد مع كلّ جملة، لسبب مختلف عما تقوله
تمامًا.

أكملت:

«لكن الرابطة بطبيعتها ليست متسلطة، فإذا شعرت برفض أحد
الطرفين لها، عزلت مشاعره عن الآخر، حمايةً لرغبته».

التفتت نحوه حينئذٍ، وسألته كأنها تفكر بصوتٍ عالٍ:

«لكن.. أتعلم لماذا كانت رابطتنا تكشف المشاعر بطريقة عنيفة،
رغم رفض كليتنا لها؟».



«لأننا كنا نبتعد لوقت طويل، وكلما افترقنا.. ضعفت، وعندما تضعف، تعود إلى وضعها الفطري، وهو الوصل العاطفي».

تباطأت خطوات وارويك حتى توقف، كانت كلماتها تفسر له أشياء كثيرة:

لماذا لم تكفّ الرابطة عن فضح مشاعرهما مؤخرًا، ولماذا صار كلُّ منهما يعرف من الآخر ما لم يعد يستطيع إنكاره، فلم يعودا يرفضان هذا الاتصال، ولم تعد الرابطة مضطرة إلى حجبها لوقت طويل مثل السابق، وهذا بالذات ما جعل يقينه بقراره يتجذر أكثر؛ لأن ما سيقوله لها اليوم لم يعد مجازفةً عمياء، بل خطوة جاءت في وقتها، وربما في أكثر الأوقات مناسبة.

كانت تريشا تمشي أمامه عندما شعرت من الرابطة بارتفاع حدّة توتره، فتباطأت هي الأخرى، واختفت ابتسامتها تدريجيًّا كلما ارتجف قلبه أكثر، ثم استدارت نحوه بتعابير قلقة.

لكنها وجدته يبتسم، ابتسامةً يداخلها خجلٌ حقيقي وارتباك



صادق، حتى إن ضحكات متقطعة خرجت منه، قصيرة ومحرجة، قبل أن يبدأ الحديث:

«أردت أن أريك شيئًا طلبته من أليكس».

تنفس كمن يحاول ترتيب الجملة التالية قبل أن يخرجها:

«وقد أرسله إليَّ اليوم، كان في خزانة مملكته منذ وقت طويل، وقد شد انتباهي من أول برهة، لكنني لم أتذكره إلا قبل وقت قريب».

كان وجهه يُبدي ترقبًا لا يخلو من الرهبة، بينما كان صدره مضطربًا على نحو جعلها تظن لثانية أنه يهيئها لخبر سيئ، لذلك قالت بعد أن غلب عليها القلق:

«وارويك.. هل أصابك مكروه؟».

اتسعت ابتسامته أكثر، وقال بيقينٍ غريب في بساطته:

«على العكس، لقد شفيت الآن تمامًا».

تقدم نحوها بخطى واثقة، وأخرج من جيب معطفه صندوقًا مخمليًا صغيرًا، اقترب حتى وقف أمامها تمامًا، قريبًا بما يكفي لتشعر



بحرارة حضوره، ثم أنزل عينيه إلى الصندوق الأبيض قبل أن يكمل،
وصوته أكثر هدوءًا هذه المرة:

«لم أظن يومًا أن هناك من يستحق أخذ هذا الشيء.. حتى تداخلت
قلوبنا، وكلّ مرة تقابلنا فيها، كنت أتأكد أكثر أن الوحيدة الجديرة به
هي أنتِ».

فتح الصندوق، ورفع عينيه إليها في اللحظة نفسها، يريد أن يلتقط
رد فعلها بكلّ تفاصيلها، أطرقت تريشا رأسها لترى ما الذي سبّب
له كلّ هذا الاضطراب، وما إن وقعت عينها على ما بداخله حتى
تجمدت من فورها.

في منتصف ذلك المخمل، استقرّ خاتم خلاب، يحمل جوهرة
على قيد الحياة، كانت ممدودة بطرفين حادين، علوي وسفلي، كرمح
مصقول، تحملها حلقتان ذهبيتان بلونٍ دافئ، العليا تمسكها كأنها
مخالب دقيقة من ذهب، والسفلى تحمل صفًا من الألماس المرصوص
بنعومة، وعلى جانبي الجوهرة الأساسية، استقر حجران صغيران
بالشكل نفسه، فبدا كأنهما جناحان مفردان.



ظنت لونها شفافاً في البداية، ثم تحركت يد وارويك قليلاً، فالتقطت
عينها شرخاً صغيراً في اللون عند الحافة، ومضة خافتة، بدت كأنها
انعكاسٌ خاطفٌ لشيء آخر مختبئ في الداخل.

قاطع انبهارها وهو يخرج الخاتم من مكانه، ثم أمسك بيدها برفقٍ
وثبات، ووضع الخاتم في إصبعها دون أن يستأذن، متابعاً:
«شعرت أنه يشبهك، لأنه فريد من نوعه، يعكس كل ما حوله
بطريقة مضاعفة، انظري..».

أمسك طرف خصلة من شعرها، ومررها بين أصابعها قرب
الجوهره، فتبدل لون الحجر في الحال إلى لون شعرها، إلا أنه بدا أعمق
وأكثر لمعاناً.

ثم قطف ورقة خضراء من نبتة إلى جواره، وقربها من الجوهره،
فأخذ الحجر لونها، ثم أعاده إلى العين أجمل مما كان في الأصل، أكثر
نقاءً وشفافية.

تأمل وارويك الخاتم في يدها كما لو أنه وجد موضعه الصحيح
أخيراً، ثم رفع عينيه إليها ونظر لها متنبئاً، وتمتم:
«نادرة للغاية».



فلم تعلم تريشا في تلك اللحظة، إن كان يصف الجوهره أم يصفها هي، رمشت عدة مرات بارتباك، وأخذت نفسًا عميقًا، ثم أشارت إلى الخاتم بينهما وقالت بخجل:

«ألن تسألني إن كنت موافقة؟».

ضحك بخفة، وكأنه يجيب عن أمر محسوم منذ البداية:

«لا يوجد خيار آخر».

عقدت ذراعيها، ورفعت حاجبًا بابتسامة جانبية متحدية، كانت تتوقع أن يتراجع عن العبث حالما يرى اعتراضها، أو أن يلين كما تعلم من حادثة الاختطاف، لكنه أضاف بحزم أكبر:

«يمكنك المقاومة إن كان ذلك سيريح كبرياءك، لكنك لن تهربي مجددًا».

ضيقت عينها في ضيق مصطنع، فرفع كتفيه، كأنه يقول لها:

(هذه هي الحقيقة، ولك أن تتكفي معها كما تشائين).



زفرت وهي تهزُّ رأسها باستسلامٍ لم يخلُ من اللعب، ثم اقتربت منه، حتى اضطرت إلى رفع رأسها لتقابل عينيه، رفعت يدها وربّت على صدره بخفة، وهمست:

«من الجيد أنني موافقة إذا».

أتاه الحرج على نحوٍ لم يتوقعه، وأحس للحظةٍ خاطفة أن وجنتيه على وشك أن تحواناه، فراجع خطوة، ثم عاد إلى هزله بسرعة، يختبئ من ضعفه في عادته القديمة.

نفض ذراعيه أمامه كما لو أنه يستعد لقتالٍ جسدي:

«أو قاتليني إن أردت، ونحدّد صاحب القرار بعدها».

حدّث به فاعرة الفاه لبرهة، ثم قهقهت برقةً، تلك القهقهة التي لا تخرج إلا حين يفاجئها بما هو أكثر طفوليةً مما توقعت.

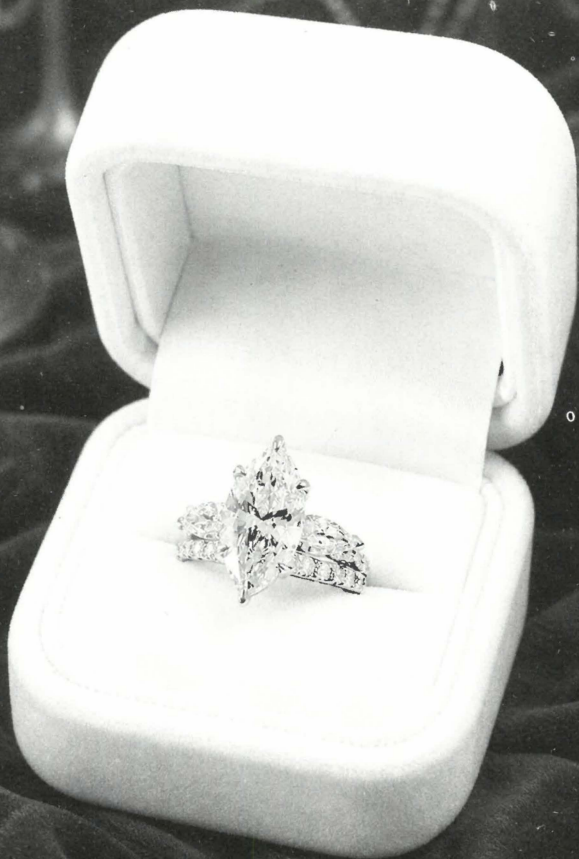
عاودت الاقتراب، ورفعت نفسها على أطراف قدميها، ثم طبعت قبلة ناعمة على خده، قبل أن تقول مبتعدة:

«ربما في وقتٍ لاحق».



تجمد في مكانه، ثم تراقص قلبه في صدره، وتسارعت أنفاسه على
نحوٍ كاد يُضحكه من نفسه، فاستدار باحثًا عنها، لكنها كانت قد
اختفت.

رفع يده إلى خده، يلامسه كما لو أن الأثر لا يزال هناك، ولم يدرك
أنها هربت هي الأخرى، فالاضطراب الذي يعصف به، كان يتدفق
عبر الرابطة من الجهتين، يُربكهما معًا، ويترك كلاً منهما ليظن أنه
الوحيد الذي فقد ثباته في تلك اللحظة.





سعادة متأخرة



كان أليكس يأخذ نزهته الليلية في قصره، وهو يفكر بما حدث مع وارويك بعد وصول طرده، وكيف تقدّم لخطبة تريشا، يتساءل بابتسامة ما إن تعثرت كلماته، أو إن تسلّح بالغرور كالعادة.

انقطع حبل أفكاره عندما مرّ بمرّ جانبيّ مفتوح على ردهة صغيرة، وهناك وقعت عيناه على تاشا وزى، لم يكن فيهما ما يلفت النظر من بعيد، مجرد مقعدين متقابلين، شمعتين خافتتين، والظلال تراقص على الحائط، لكنه وجد نفسه يتأملهما أطول مما شعر، كان دائماً يظن أن علاقتهما تشبه -على نحوٍ ما- علاقته هو بكيارا، كان يظن أن زي هو الطرف الهادئ الصامت، وتاشا هي الثرثرة التي تملأ الفراغ من حوله، فيوازنها بصمته كما كان يوازن هو كيارا بشباته.

لكن، ما رآه تلك الليلة أربكه قليلاً، فقد كان زي يتكلم دون توقف تقريباً، لم يكن يثرثر كما قد يفعل رو، ولا يبالغ بغرور كما يفعل وارويك، لكنه كان منسجماً على نحوٍ لم يتوقعه منه.

يتكلم بجمل طويلة نسيّاً، وتاشا تنصت إليه بصمتٍ غير معتاد منها هي الأخرى، مائلة نحوه بتركيز، كأنها تستمتع بهذا الجانب منه أكثر مما تستمتع بأي شيء آخر.



كان زي مختلفاً معها تماماً، متحرراً من ذلك الجدار الذي رآه فيه، لم يكن أقل هدوءاً، لكنه كان أكثر حضوراً، وأكثر كرمًا بالكلمات.

حينها ضربه إدراك بسيط، ولكنه حاد: لو كان مثله مع كيارا.. لو تكلم أكثر.. لو لم يكتفِ بالوقوف ثابتاً كلما اقتربت منه، منتظراً أن تسأله، أو أن تطرق هي الباب، أو أن تتكفل الرابطة بما يعجز هو عن قوله، لربما اعتمدت عليه أكثر.

لربما لم تشعر بالحاجة إلى أن تذهب إلى غيره في لحظات خوفها، لربما لم ينته بها الأمر إلى ذلك الاستياء الذي لم يفهمه في حينه، لأنه ظن أن الثبات يكفي دائماً، لأنه ظن أنها ستعود في كل مرة.

لكنه فهم الآن، أنه لم يكن ثابتاً، بل كان يقف كالجدار، بينما كانت هي في حاجة إلى بيت، كانت تحتاج صوتاً واضحاً، يصارحها لكيلا تستنتج المعنى بين الكلمات بنفسها، تحتاج من يمنحها من الحضور ما لا يضطرها إلى استجدائه عبر السؤال.

ظلَّ ينظر إلى زي وتاشا لحظة أطول، ثم ابتسم ابتسامة خافتة لنفسه، وخالية من اليأس، وأكمل طريقه وهو يردد داخله:

(لا بأس.. هذه بداية جديدة).



وقرر أنها حين تعود، لن يقف مثل السابق، ولن يتركها تفسر حبه
من المسافات والسكوت، والحماية وحدها، بل سيبدأ معها حياتها
الجديدة، وستبدأ معها أخيراً تلك السعادة التي طال انتظارها،
وصارت مستحقة للجميع.

لكنه لم يكن يعلم، وهو يمشي هناك في ضوء الممرات الخافت، أن
الصيادين كانوا في هذه اللحظات نفسها قد نصبوا خيماتهم في أراضي
أسكونزول، وأن نيرانهم كانت تشتعل بعيداً في الظلام، وأن الحرب
تقرب بخطى لا تسمعها القصور إلا متأخراً.

وأن السعادة التي لمحها الليلة كشيء ممكن، لم يعد لها مكان واسع
بين ما هو قادم.

الجزء التالي

محكمة الملوك والخطايا

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:

• أشرف غالب •

جميع الحقوق محفوظة ©



مكتبة ضاد الإلكترونية
t.me/twinkling4



أمسح الكود وانضم لأشرف ضاد
<https://t.me/twinkling4>

لحن الخوف و الصمت

تدفق ناعم سرى بينهما، لاثرى بدايته أو نهايته،
بدا الصمت كمعزوفة قديمة، مألوفة رغم غرابتها.

سما سامي

@samasami2828



adobensbic7
senileer_book
senileesbookll
www.adabibook.com

